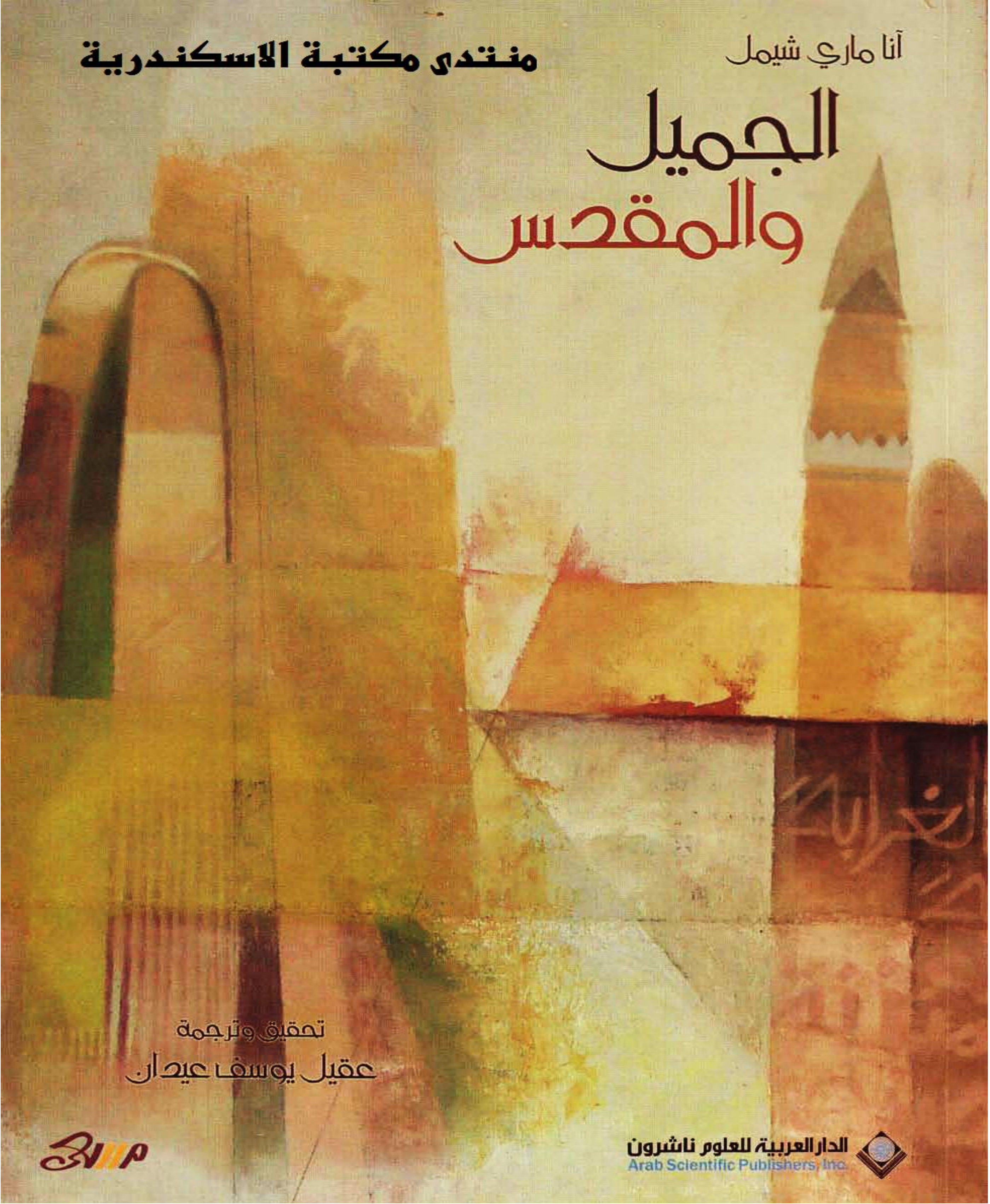
آنا ماري شيمل

الجميل والمقدس



تحقيق وترجمة
عقيل يوسف عيدان

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

الجميل والمقدس

بسم الله الرحمن الرحيم

الجميل والمقدس (دراسات).. آنا ماري شيمل

تحقيق وترجمة عقيل يوسف عيدان

لوحة الغلاف

الفنان التشكيلي عبد الله يوسف

الطبعة الأولى

1429 هـ - 2008 م

ردمك 978-9953-87-386-2

مسعى

ص.ب: 11882

الرمز البريدي 35159

الدسمة - الكويت

البريد الإلكتروني: info@masaa.info

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.masaa.info

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 785108 - 785107 (1-961) 786233

ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان

فاكس: 786230 (1-961) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

الجميل والمقدس

دراسات غير تقليدية في الحضارة الإسلامية

تأليف
آنّا ماري شيمِّل

تحقيق وترجمة
عقيل يوسف عيدان

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

المحتويات

تصدير

يجد القارئ فيما يلي ثلاثة بحوث كُتبت في خلال فترة من الزمن لعلها لا تقل عن أربعة عقود، كتبتها البروفيسورة أنّا مَاري شيمِّل في الفترة ما بين 1959 و 1967 أو ما عُرف بفترة ماربورغ وبون، أي في الفترة التي عملت فيها الدكتورة شيمِّل بالتدريس على مدى ستة أعوام، في قسم اللغة والآداب العربية والعلوم الإسلامية في جامعة بون، بصفة أستاذة ومستشارة علمية.

وهي الفترة التي ساهمت فيها بتعليم الدبلوماسيين الألمان، وبدأت تشارك فيها بالتحرير والإشراف على مجلة (فكر وفن). هذه المجلة كانت تنشر باللغة العربية قبل أكثر من أربعين عاماً مضت، وتحديداً في عام 1963 صدر العدد الأول من مجلة فكر وفن من لَدُن صحافي متخصّص بتاريخ الفنون هو ألبرت تايلا (1904- 1986)، وكانت مهام المجلة - كما صاغها تايلا في تقديمه للعدد الأول تحت عنوان «هدفنا» على النحو التالي: «إن مهمة مجلتنا هذه هي التحريض على التفكر والتوسّط بين الأمم وبناء جسور معنوية، وتقتضي هذه المهمة أن نتعارف وأن يحترم بعضنا بعضاً على ما نحن عليه».

وقد رأيت في تحقيق هذه النصوص أن أدخل عليها بعض التنقيحات التي تيسِّر قراءتها فضلاً عن أنها - فيما أرجو - لا تخل بأغراض مؤلفتها أو تخونها على أي نحو.

فقد صوَّبت بعض الأخطاء المطبعية وشرحت بعض المفردات والعبارات الصعبة وسدَّدت بعض الثغرات الناتجة عن تخرم المصدر الأصلي أو سوء التصوير، كما وقدَّمت تعريفاً موجزاً لجملة من الأعلام الواردة في هذه البحوث. كما قمت بإضافة بعض علامات التشكيل وكثيراً من علامات التنقيط.

وفي الحالات التي أجريت فيها تصويبات لغوية نبَّهت إلى ذلك في الحاشية مورداً الكلمة أو العبارة الأصلية. و لم أخرج عن هذه القاعدة إلاّ عندما يكون

مصدر الخطأ المصوّب مطبعياً دون أدنى شك ويكون التصويب أمراً لا جدال فيه. أمـا في الحـالات التي أضفت فيها كلمة أو عبارة لسد ثغرة على سبيل التخمين والاستنتاج بناء على السياق، فقد وضعت الألفاظ المضافة بين معقوفين على النحو التالي [...].

فـإذا عجزت عن سد ثغرة بدا لي أن ثمة أجزاء من النص لم أستطع التوصّل إليها أشرت إلى ذلك بإدراج عدد من النقاط. وقد عجزت أحياناً عن شرح بعض العبارات، فنبهت إلى ذلك في مواضعه.

كمـا قمت بترجمة عربية للمصطلحات والمفردات والكلمات وأبيات الشعر الأجنبية (فارسية، تركية) التي وردت في بحوث الكتاب على سبيل الاستشهاد من لـدن المؤلفة. والتزمت الدقة في ترجمة "النصوص" كما وردت في الأصل دون أية محاولـة لاستخدام عبارات بها صناعات بديعية معنوية أو لفظية للزينة، حرصاً على أمانة النقل.

وقبل أن أغادر هذه الملاحظات أود الوقوف عند الصعوبات التي واجهتني في أثـناء عملـي، فعلاوة على فكر الدكتورة شيمِّل الخاص وتعمّقها في الدراسات الإسـلامية، فالـبحوث تعـالج جملة من الموضوعات المتَّصلة بالحضارة الإسلامية بمخـتلف ثقافاتها، مما حمل المؤلفة منطقياً إلى الاقتباس من مراجع هذه الثقافات، فكـان من الأمثل في هذه الحالة أن أرجع إلى المصادر الأصلية عند تعاملي مع نقل مثل هذه المواضع، وقد أفلحت في الوصول إلى معظمها خاصة فيما يتعلق - بالطبع - بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وبمعظم أبيات الشعر العربية، إلاّ أنه استعصى في أحيان ليست بالقليلة الرجوع إلى مثل هذه المصادر الأصلية لأسباب منها ما هو راجع إلى أن الدكتورة شيمِّل كثيراً ما تقتبس من مراجع وسيطة غير عربية، أو أن الحصول على المراجع العربية أمر عسير لقِدَم المراجع وعدم إعادة طباعتها من جديد أو عـدم معـرفة دار النشر التي قامت بإصدارها، والمشكلة الأخيرة تواجه القارئ العـربي عمـوماً، حيث لم تنعم منطقة الشرق الإسلامي - إلاّ في النادر القليل - بأسـاليب الكترونية في البحث عن الكتب والحصول عليها كما هو الحال في بلاد الغرب المتقدمة تقنياً، ولهذا كله ألتمس العذر من القارئ الكريم.

إهداء

إلى أمي..

برزخ الابتهالات وأرخبيل التهجدات

أهديك خيطاً.. لتبق المتاهات لي

مفتتح

اليوم سيصبح الأمس
والغد سيصبح اليوم
وبعد ساعة يصبح اليوم غداً
ويسمى الأمس ويكون ماضيك
ماضيك الذي،
ربما،
لم تكن تقصده أبداً.

الشاعر الألماني/فيرنر شبرنغر

مُقَـدِّمَـة

(1)

عـــند وُرُود مفردة «الحضارة» أو عند دراسة حضارة شعب من الشعوب أو أمة من الأمم، يتحوّل فكر القارئ أو الدَّارس أو الباحث إلى جوانب متعددة وإلى مظاهر متنوعة من منجزات هذه الأمة أو ذلك الشعب. لقد حفظ لنا التاريخ كثيراً من الرسائل والمدوَّنات والكتب في حضارات الأمم والشعوب المختلفة، إلاَّ أن هذه (الكتب) لا تكاد تتفق أو تُجْمِع على نهج واحد في تعريف مفهوم الحضارة، ولا في أسلوب دراستها، وكثيراً ما تقف بعض هذه الكتب عند دراسة التاريخ، ولا يكاد يتجاوزه أو يتخطاه.

ويمكننا أن نقرِّر أن تقديم أو سَرْد جُملة من التعريفات لمصطلح الحضارة ليس لهـــا كـــبير جـــدوى، لأن التعريفات الكثيرة للحضارة، يرى الباحثون لكلّ منها وجاهـــته أو ما يُبرِّره، ولهذا نرى أن الفائدة تكون أعم إذا استخلصنا من كل هذه التعـــريفات مفهوماً عاماً للدراسات الحضارية دون أن نلزم أنفسنا بتعريف محدَّد، ومـــن المعلـــوم أن الدراســـات الحضارية لأي شعب أو لأية أمة تكاد تنحصر في الجوانب الآتية:

- نُظـــم الحكم وتطبيقاتها العامة، وما ارتبط بها من مُثُل عُليا، ومن معاني الحكم الـــصالح، ورعايـــة الحريات العامة، وتطبيق العدالة، وباختصار، كل ما يتعلّق بالحقـــوق والضمانات التي تقدمها النظم والتشريعات، مما يحقّق الأمن للإنسان ويحفظ كرامته.
- النـــشاط الفـــني بمختلف جوانبه ونواحيه، والفن بلا ريب مظهر متفوّق من مظاهـــر الحـــضارة، وهـــو عنصر له أهميته الكبيرة وقيمته العَميمه في تقدير

الشعوب والأمم، وبه يُقاس التقدّم في المجتمعات الإنسانية.

- العادات والتقاليد والتراث الشعبي. فهي التي تُفصح عن التاريخ الحضاري لكل شعب من الشعوب أو أمة من الأمم.
- النشاط العلمي، وهو ما يمثّله هذا النشاط من إسهام نظري وتطبيقي. فهذا الجانب من الإبداع الإنساني يهدف إلى دراسة أسرار الوجود والكون، كما أنه يقدّم التطبيقات العملية لمختلف النظريات العلمية، وبمعنى أوضح يتناول ما يُسهم به العلم في تيسير حياة الناس على هذه الأرض، وذلك بتذليل كل الصعوبات وتجاوز العقبات كافة التي قد تَحُول دون تحقيق ما يجعل العيش على هذه البَسيطة أيسر حالاً وأهدأ بالاً.

ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا أن كثيراً ما تستعمل كلمة «الثقافة» للتعبير عن نفس المعاني التي تعبِّر عنها كلمة «الحضارة»، فالمعنى اللغوي الذي تشير إليه كلمة الثقافة في العربية يُفيد التهذيب والصَّقْل، كما أنها تدل على التمكّن من العلوم والفنون والآداب.

وقد استخدمت لفظة «ثقافة» في العصر الحديث في معناها المعرفي والفكري الحضاري الذي نفهمه منها. فالمعنى المادي البسيط أصبح أصلاً لكل ما تعنيه هذه الكلمة من مفهوم عريض يشمل كل ما يهذّب النفس الإنسانية من ألوان الفكر والفن.

وإذا نظرنا إلى ما يوازي أو يناظر هذه الكلمة باللغات الأوروبية وجدنا في اللغة الإنكليزية كلمة Culture، وفي الإيطالية كلمة Cultura، وفي الألمانية كلمة Kultur. وجميع هذه الكلمات الأجنبية تتصل بالزراعة وتفيد الإنماء، وقد تطوَّر هذا المصطلح ليعني كل معاني الفكر والقيم الروحية والخلقية والفنية التي تساعد على نموّ الإنسان واكتمال ذاته.

فشتّان بين المعنى الأصلي للكلمة، وما استخدمت فيه من المعاني الفكرية والروحية، ومن الطريف أن يكون المعنى الشامل للثقافة وأثرها على الإنسان يتضمن فكرة الصَّقْل والتهذيب الذي يشير إليها المعنى العربي للكلمة.

يميـــز بعض المفكرين – ولا سيما المدرسة الألمانية – بين الحضارة والثقافة، في حين يرى بعضهم الآخر أن الثقافة والحضارة مترادفان. فالمفكرون الألمان يقصرون حـــضارة علـــى الإنجازات التقنية والعلوم البحتة التي تخضع للقياس الكمّي والتي تتـــراكم جيلاً بعد جيل، في حين أنهم يجعلون الثقافة تشتمل على المعرفة الإنسانية بنوعية خاصة كالفلسفة والدين والاعتقاد والطقوس والخرافات والفنون..الخ، إلاّ أنّ هذه التفرقة بين الحضارة والثقافة على أساس التفرقة بين المادي والعقلي، أخذت تـــزول لمصلحة مفهوم أعمق لمصطلح الحضارة يشمل المادي والعقلي بحيث تصبح الحـــضارة هـــي حركة المجتمع ككل، بما في ذلك اللغة والآداب والفنون والعادات والتقالـــيد والأعـــراف والمعتقدات الدينية والأخلاق والفضائل والنظم الاجتماعية والاقتصادية وكل الرموز التي يعبر بها الشعب عن ماضيه وحاضره ومستقبله.

أمـــا الأنثروبولوجيون، الأمريكيون بشكل خاص، فإنهم يقولون بأن الحضارة أوســـع من الثقافة، فهي إما ثقافة العالم بأسره أو ثقافة مجتمع كبير نسبياً تدوم فترة طـــويلة من الزمن وتتضمن التخصّص في المهن والأعمال والأدوار الاجتماعية كما تتـــضمن نشوء المدن وقيام التنظيمات السياسية والإدارية. باختصار، أن لا تكون الحضارة ثقافة شعب صغير أو بدائي.

أمـــا الثقافة، فهي أضيق من الحضارة، إذ أن لكل شعب من الشعوب ثقافته الخاصـــة حتى لو كانت تلك الثقافة ثقافة شعب صغير كشعب الاسكيمو الذي لا يزيد تعداده على نحو 30 ألف نسمة.

والـــثقافة على هذا قطاع من قطاعات الحضارة، فهي تشمل اللغة والعادات والتقالـــيد والفـــن والأساطير والمعتقدات وأشكال الملكية والإدارة ووسائل الصيد والحـــرب ومـــا يشبه. فالثقافة، هي للشعب المتقدّم وللشعب البدائي. إلاّ أن ثقافة الـــشعب المتحضّر يمكن أن ترتقي إلى درجة الحضارة، أما ثقافة الشعوب البدائية، فهي مجرد ثقافة، فللشعوب البدائية ثقافاتها دون أن تصل هذه الثقافات إلى مستوى الحضارة، فالحضارات هي من خصائص المجتمعات المتطورة الحائزة على قسطٍ وافر مـــن العمران والتطور. ومن هنا، كانت الثقافة عامة لكل المجتمعات، في حين أن الحضارة خاصة ببعض المجتمعات.

وهناك مَيْل عامِ إلى تضمين مفهوم الثقافة كل المعاني والقيم الروحية والأخلاقية والاجتماعية..الخ، وكل ما أبدعته "عبقرية" أمة من الأمم في ميادين الفكر والفن. ومعنى ذلك أن ثقافة شعب أو أمة ما تتسع لكلِّ ما أبدعته عبر عصورها التاريخية المختلفة، منذ بدأت تعيش حياة اجتماعية متحضرة حتى وقتنا الراهن. ومعنى ذلك أيضاً أن كلمة ثقافة تدل على قسم كبير من المعاني التي عليها مفهوم الثقافة، لكن الحضارة قد تنفرد ببعض المعاني التي لا تعتبر عادة ضمن مفهوم الثقافة. ومن ذلك بعض مظاهر التقدّم المادي، فوسائل النقل الآلي مثلاً قد تدخل في مفهوم الحضارة، على حين أن من العسير اعتبارها ضمن مفهوم الثقافة. إن كلمة الحضارة والثقافة تتجاوران في كثير من المعاني، وتنفرد الحضارة ببعضها، فالحضارة إذن أوسع مدلولاً من الثقافة.

والخلاصة، أن الحضارة هي شريحة عليا من شرائح الثقافة، فليست كل الثقافات حضارات في حين أن كل الحضارات ثقافات.

وقد نشأت الثقافة – في أول أمرها – متواضعة بتواضع المجتمعات التي شهدها فجر التاريخ البشري، و لم تكن الثقافة مختصة بجنس من الأجناس، أو ببعض الأجناس تتميّز بها دون سواها، فليست الثقافة بأيّ وجه من الوجوه ميزة عِرْقية، كما أنها ليست نتيجة حتمية للبيئة المحيطة.

فالبيئات المتشابهة لا يكون من الضروري أن تنتج الحضارات المتشابهة، ولا هي ثمرة مباشرة للظروف الاقتصادية، بل هي نتاج عوامل وظروف متعدِّدة تتحد معاً لتنتج تلك الحضارة، منها البيئة، ومنها الدين، ومنها الحياة الاجتماعية، ومنها الحياة الاقتصادية، ومنها الاحتكاك بالخارج والتأثّر به، وغير ذلك من الظروف التي لا مجال لاستقصائها ههنا.

فالثقافة المتطوّرة في فجر التاريخ كانت ثقافة مدن، ذلك لأن الدول القديمة ظهرت في صورة مدن أو ما يُعرف بدولة المدينة City-State، ومن هذه المدن ما عَظُم شأنه، وانتشرت حضارته حتى عمَّت العالم كله، كما هو الحال بالنسبة لأثينا، ومهما يكن الأمر فإن ثقافة المدينة كانت سابقة على ثقافة الدول، وحينما ظهرت الإمبراطوريات على مسرح التاريخ، بدأت تعمّ ثقافاتها، وتنتشر تبعاً

لانتشار نفوذها السياسي، فغزوات الإسكندر الأكبر (أو المقدوني) في الفترة ما بين (336-324ق.م) دشـــنت مـــا يُسمى بالعصر الهلينستي أو عصر «هلينة الشرق»، الـــذي افتتح لمحاولة الإسكندر توحيد العالم في ظل حكومة واحدة، وثقافة واحدة هي الثقافة الإغريقية.

ولكـــن هذا لم يكن ما يحدث دائماً، فكثيراً ما كان المنهزمون يسيطرون من الناحية الثقافية على المنتصرين، كما حَدَث حين تغلّبت ثقافة الإغريق المغلوبين على غزاتهم الرومان، أو كما تغلّبت ثقافة العرب على غزاتهم من المغول.

ولكـــي يُكتب للثقافة الحياة والمقدرة على استمرارية النمو والتطوّر، لا بُد لها أن تعطي وتأخذ وتؤثّر وتتأثّر، وبالتالي يمكن أن ينشأ قدر من الحضارات الإنسانية، يُصبح ملكاً لأبناء البشرية كافة.

وبمـــا أن الثقافة هي مجموعة المنجزات الفكرية والروحية لأمة من الأمم منذ فجـــر تاريخها حتى الزمن الحاضر، فالثقافة العربية إذن هي تراث زهاء أربعة عشر قـــرناً أو خمسة عشر قرناً في كل هذه الميادين الرحبة. وربما ينال الانبهار من بعض العـــرب أمـــام صـــور ومظاهـــر التقدّم العلمي والتقني والتكنولوجي في الغرب، فيـــسخرون من التراث الثقافي العربي، ويعدّون العرب مجرد شعوب جعلها التخلّف والجهـــل في نهاية ركب الإنسانية، ولكن الغربيين أنفسهم هم أول من يشهد بعمق الثقافة العربية واتساعها وشموليتها.

وللـــثقافة عناصر متنوعة، يصعب إحصاؤها أو حصرها، ولكنني أستطيع أن أقول أن منها الكلمة المكتوبة، ومنها الصورة، ومنها التمثال، ومنها العمارة، ومنها القيم والتقاليد الموروثة، ولكلّ عنصر من عناصرها خصائصه وقدرته على اختراق الـــتُّخوم، فالكلمة المكتوبة لا تصل إلى غير أصحاب اللغة إلاّ إذا تعلموا هذه اللغة، علـــى حين يستطيع أي إنسان من أية قومية أن يقف أمام أعمدة جرش أو بَعلبك ويـــتذوّق ما فيها من روعة الصُّنع، كما يستطيع الكثير منّا أن يستمع إلى الموسيقى الغـــربية الكلاســـيكية ويتذوقها بدون حاجة إلى تدريب خاص، أو بعد قليل من الـــتدريب علـــى تذوّق الموسيقى ما يمكّن من تسهيل وسرعة الالتقاء الثقافي بين شـــعوب العالم، فمثلاً نجد أن الرسم والتصوير والتسجيل الصوتي وغيرها قد جعل

تبادل الآثار الثقافية أمراً يسير المنال، وهكذا فعلت الطباعة بالكلمة المكتوبة، ويسَّرت وسائل الاتصال السريع من نقل جوي وإذاعة وبرق وبريد وأخيراً – وربما ليس آخراً – الانترنت، سُبُل الاتصال والتواصل الثقافي بصورة لم يسبق لها مثيل، وما أظن إلاّ أننا متَّجهُون نحو مقاييس ثقافية وحضارية متشابهة بعد أن تقاربت أرجاء العالم على هذا النحو المثير.

(2)

الحضارة هي مجموع الإنجازات الإنسانية أو إنها الشريحة العليا من هذه الإنجازات والمكتسبات في الميادين كافة وأهمها التطوّرات التي لحقت بالإنسان نفسه.

لقد أسهمت التطورات العلمية في العصور الحديثة وعلى رأسها نظرية العالم الانجليزي تشارلز دارون (1809-1882) في إعطاء مصطلح الحضارة أبعاداً جديدة، فقد حسم كتاب دارون «نشوء الإنسان» المعركة التي دارت فترة طويلة بين الأنثربولوجيا القائلة بالتطور والفكر الإيقاني المعارض لنظرية التطور، وأصبح من الممكن فهم الحضارة على أنها مجمل الإنجازات الإنسانية في الميادين كافة يتعلمها شعب ما أو عصر ما عن شعب أو عصر سابقين ثم يعلمها لمن بعده بعد الإسهام فيها والإضافة إليها. وعلى هذا تكون الحضارة هي حصيلة ذلك التفاعل بين الأجيال والشعوب والعصور منذ افترق أجدادنا القدماء عن أبناء عمومتهم القردة العليا منذ الآلاف من السنين كما يرى دارون.

وإذا كانت أكثر تعريفات الحضارة تشير إلى أنها انتقال من الحالة البربرية للإنسان إلى حالة أكثر رقياً وتقدماً، فإن هذه التعريفات تقابل مرحلة متأخرة من مراحل الحضارة بمرحلة سابقة ولا تتناول الحضارة ككل من حيث أنها مجموع الإنجازات والمكتسبات الإنسانية منذ كان الإنسان وحتى اليوم.

ونحن نستطيع أن نفهم الحضارة بمعناها الأوسع والأعمق عندما نكفّ عن مقابلة مرحلة بمرحلة كأن نقابل مرحلة الآلة البخارية بمرحلة الآلة اليدوية أو عصر البخار بالعصر الحجري، ونستبدل ذلك بالنظر إلى الحضارة على أنها الإنسانية قبالة الحيوانية، أو بتعبير آخر عندما نقابل إرث الإنسان الحضاري بإرثه الحيواني. فهناك

إذن، حــضارة إنسانية واحدة ولهذه الحضارة مراحل أو محطات كبرى. وقد درج الناس على تسمية هذه المحطات الكبرى بالحضارات.

ومــن هــنا، فإننا نجد المؤرخ الانجليزي أرنولد توينبي (1889– 1975) مثلاً يقــول بوجود ما يقرب من العشرين حضارة إنسانية، في حين يرى غيره أنّ هناك حضارة إنسانية واحدة.

كمــا درج الــناس أيضاً على تسمية الشعب القريب من الشريحة العليا من شــرائح الــثقافة أو الحضارة بأنه شعب متحضّر، والواقع أن هؤلاء يتحدثون عن الــتقدّم والتخلّف، فالشعب المتحضّر هو الشعب المتقدّم والشعب غير المتحضّر هو الشعب المتخلّف.

(3)

بعــد هــذه المقدمة العامة ننتقل إلى التعريف بموضوعنا الخاص وهو الحضارة العــربية – الإسلامية. ولست أحسب أنني أكون مغالياً في تقدير هذه الحضارة إذا وصفتها بأنها الصورة المشرقة لحضارة العالم في القرون الوسطى.

لقــد أُتيح للعرب أن ينشئوا دولة مترامية الأطراف امتدت من حدود الصين إلى ســاحل الأطلسي، ضمَّت في أرجائها شعوباً آسيوية وإفريقية وأوروبية مختلفة الأجــناس والأعراق والثقافات والحضارات، وقامت على بقاع من الأرض عَرفت أعظــم مــا عرفه العالم من منجزات حضارية وثقافية، قبل ظهور العرب بقواهم الخلاّقة على مسرح التاريخ.

وأيــة حــضارة قبل الحضارة العربية نجحت في جمع شعوب من قارات العالم القــديم، في ظل كيان ثقافي واحد، وتراث علمي وفكري مترابط، ومُثُل عليا تُعدّ من أسمى ما عرفته الإنسانية في تاريخها الطويل، إنها حضارة حفظت ما وصل إليها مــن حضارات العالم القديم، وأضافت إليه ما أسفرت عنه جهود أبنائها، ثم قدمته إلى العالم، فكان ما قدمته أساساً للحضارة.

لقــد عاشت الحضارة العربية حياة متصلة منذ ظهورها على مسرح التاريخ حتى وقت قريب، وكان لها إسهامات واضحة في كل نواحي الفكر والفن والحياة،

ومهما قيل عن اقتباسها من الحضارات القديمة، فقد تجلّت خصائصها واضحة وطابعها مميزاً في كل ما صدر عنها.

وإذا كانت المَدَنيَّة تفترق عن الثقافة من الناحية النظرية، فإنها ليست كذلك عملاً وتطبيقاً، لأن المظاهر المادية والمعنوية لأية حضارة تعمل جنباً إلى جنب في تكوين النُّظم الاجتماعية التي تُعدّ الثقافة عمودها الفقري وأساس بنيانها.

وعلى كلٍّ يمكن تعريف المدنية بأنها حصيلة ما حقّقه الإنسان من معارف وعلوم (كالحِرَف والصناعات والوسائل المادية والأساليب العلمية..الخ)، زائداً عليه المقدرة على التمييز بين قِيَم الأشياء، والتزام هذه القيم في السلوك اليومي، وذلك من أجل تدبير وتسهيل شؤون حياته المادية والروحية.

وليس من شك أن المدنية تَتَّسِم بالتعميم فهي ملك لجميع بني البشر، وليست مقياساً للتمايز بين الشعوب والأمم، فكل ما يبتكره أو يخترعه الإنسان لا يستطيع احتكاره أو الاستئثار به، من أن يصل إلى أيدي بني البشر عاجلاً أو آجلاً للانتفاع به والاستفادة منه.

وبناء على ما تقدم ذكره يمكنني تعريف الحضارة الإسلامية بأنها مجموعة القيم والأنماط المستمدة من مبادئ الإسلام وقِيَمِه التي تحكم النشاط المعنوي والمادي في المجتمع الإسلامي (من حيث السياسة والإدارة والاقتصاد والبيئة والعمران والمنجزات الإنسانية المختلفة.. الخ).

(4)

تعتبر الدكتورة أنّا مَاري شيمِّل Annemarie Schimmel (1922– 2003) من جملة أولئك المستشرقين والعلماء الذين انجذبوا للحضارة والثقافة والتمدّن الإسلامي، وأبدوا احتراماً بالغاً – على الدوام – لهذه الحضارة ومنجزاتها. بل لقد تميّزت الدكتورة شيمِّل عن أترابها من المستشرقين وأقرانها من العلماء في إدراك الكثير من الأهداف السامية والمقاصد النبيلة التي عجز عن تحقيقها نظرائها من الدارسين لحضارة الإسلام وثقافته.

ويمكـــن أن نعـــزو هذه النظرة الإيجابية إلى الخَلْفيَّة التي تعاملت بها الدكتورة شـــيمِّل مع الحضارة الإسلامية التي درستها؛ فقد ارتكزت هذه الخلفية على الكثير مـــن الحـــب والرغبة في اكتشاف الجوانب المضيئة فيها الأمر الذي "خالف" منهج عُتاة المستشرقين الغربيين بل ومدرسة الاستشراق عموماً.

تأريخـــياً، كان المنهج الأكاديمي للدراسات الإسلامية هو وليد منهج يزيده قِدَماً، وهو تحديداً الدراسات «الشرقية». والدراسات الشرقية بدورها، تأتَّت من منهج فرعي في «اللاهـــوت المسيحي». وكان المقصود من هذه المناهج دعم اللاهوت المسيحي عبر تـــأمين المعرفة الكافية باللغات التي كانت ضرورية لفهم الكتاب المقدّس ونشر رسالته؛ أبـــرزها كانت العبرية والآرامية والعربية. إذن، كانت الدراسات الشرقية منهجاً يركز بـــشكل خاص على النصوص «الكَنَسيّة»، وشاركت منهجها الأم، اللاهوت في مَيله إلى التركيـــز على التباين والاختلاف بين تلك النصوص، أي الكتاب المقدس والقرآن الكـــريم، وبالتالي، العالم المسيحي وعالم الإسلام. وبما أن المناهج صُمِّمت كذلك، فقد طوَّرت الدراسات الشرقية نصاً محورياً تقليدياً ركَّز على "الفروقات" وحتى على "عدم الانسجام" الأبدي بين الإسلام والعالم الغربي (المسيحي).

وفي وقتـــنا الـــراهن يعـــد المفكر الأمريكي (البريطاني الأصل) برنارد لويس (1916-...) الشخـــصية الأساسية والأكثر تأثيراً داخل هذا التقليد الثقافي وأكبر المتحمـــسين لـــه، فهو يستعمله لدعم فكرة «صدام الحضارات» التي تتبناها بعض المراكز والدوائر في العالم.

ولكن، وخلافاً لبرنارد لويس، كانت أنا ماري شيمِّل أحد أبرز الاستثناءات "داخـــل" الـــنص التقلـــيدي؛ عبر استعمالها النوع الأدبي المناسب، وتحديداً الشعر الـــصوفي، بحـــيث كانت قادرة على بناء جسور عاطفية وعقلانية في وقت واحد رابطة بين فروقات التقاليد اللاهوتية والقضائية المتنازعة.

لقـــد وصفت الدكتورة شيمِّل منهجها في الدراسة والبحث عندما قالت في إحدى المناسبات وبكل وضوح: «إن طريقي ليس هو طريق التصريحات والبيانات، ولا هـــو طريق الإثارات والزوابع. إنني أؤمن أن الماء الصافي سوف ينتصر بحركته الدءوب على مَرّ الزمن وعلى صم الحجر».

ولـــدت آنّا مَاري شيمِّل في 7 إبريل 1922 في مدينة ايرفورت Erfurt بولاية تـــورنغن في ألمانيا، وبدأت بتعلم اللغة العربية في سن الخامسة عشرة على يد أستاذ ألماني هو الدكتور هانس (إلينبرغ) ويعرف بالأفندي، وكان يحاضر آنذاك في جامعة ييـــنا، وأنهت الدراسة الثانوية في السابعة عشرة، وبدأت دراستها الجامعية في برلين بقـــسم اللغـــة العربية والدراسات الإسلامية، وحصلت على درجة الدكتوراه عام 1941 بـــبرلين وهي في التاسعة عشر من عمرها عن رسالتها حول حضارة العصر المملوكـــي في مصر، وبعد ثلاث سنوات حصلت على درجة الأستاذية من جامعة ماربـــورغ، وتعتبر شيمِّل أصغر من حصل على مثل هذه الدرجة العلمية حينذاك. وفي عـــام 1951 حصلت على درجة دكتوراه ثانية في رسالتها عن تاريخ الأديان ومكانة الإسلام بين الأديان السماوية.

قامـــت الدكـــتورة شـــيمِّل بأول زيارة لها إلى العالم الإسلامي سنة 1952 وبالـــتحديد إلى تـــركيا التي عادت إليها في عام 1956 بعد تلقيها دعوة من كلية الإلهيات في جامعة أنقرة حيث عملت كأستاذة مساعدة في العلوم الإسلامية واللغة العربية وكانت بذلك أول سيدة وأول شخصية غير مسلمة تُدعى إلي أنقرة، لتعطي طـــلاب كلية العلوم الدينية المنشأة حديثا في ذلك الوقت نظرة عامة علي الأديان الأخرى، وكذلك لتقوم بتفسير الإسلام بأسلوب جديد وفقاً للقواعد العلمانية التي رســـخها كمـــال أتاتورك. وأثناء إقامتها في تركيا، وفضلاً عن تدريسها في قسم تـــاريخ الأديـــان بجامعة أنقرة، شرعت شيمِّل بإجراء تحقيقات واسعة في الآداب التركية القديمة ولاسيما تراث الصوفية العريق هناك، وفي المسائل الإسلامية المختلفة في العـــالم الحديث. وكانت لصداقتها مع الكاتبة الإسلامية التركية المحافظة سميحة إيفردي تأثير كبير على تعرّفها بالإسلام في إحدى جوانبه ولاسيما مع نشوء علاقة روحية عميقة بينهما.

ابـــتداء من عام 1961 شغلت الدكتورة شيمِّل بعد عودتها إلى ألمانيا منصب مستشارة الشؤون العلمية في مجال الدراسات الإسلامية في جامعة بون كما عملت بتدريس الثقافة الهندو - إسلامية في نفس الجامعة، إلى جانب عملها كأستاذة للغة العربية والعلوم الإسلامية، وكذلك إشرافها وتحريرها في المجلة الدورية (فكر وفن)

حتى سنة 1982. وهي مجلة ثقافية علمية كانت تنشر باللغة العربية، نَشَرَت وترجمت عبرها الكثير من الأبحاث والمقالات حول الحضارة الإسلامية وثقافاتها المتعددة.

في عام 1967 تلقّت دعوة للتدريس في جامعة هارفارد العريقة بالولايات المتحدة الأمريكية، وفي عام 1970 خصّص لها كرسي تاريخ أديان الشرق في تلك الجامعة، كما عملت كمحاضرة زائرة في المجلس الأمريكي للعلوم عام 1982، ومحاضرة زائرة في جامعتي أيوا ونيويورك، هذا فضلاً عن إلقائها دروساً في معهد الدراسات الإسماعيلية بلندن في صيف كل عام.

درّست الدكتورة شيمِّل أيضاً في جامعات مختلفة في العالم منها كندا وبريطانيا والباكستان والمغرب ومصر والأردن وسورية واليمن، وكأستاذة زائرة في البحرين والإمارات العربية المتحدة والعراق والسودان. وتعرَّفت أثناء زياراتها لتلك البلدان سواء كضيف شرف أو مستشارة لشئون الثقافة الإسلامية علي عدد لا يحصى من المشاهير والشخصيات السياسية المعروفة. وتخرَّج علي يدها العديد من المستشرقين والباحثين، الذين يعيشون علي زاد تلك الفترة حتى الآن في حقل المعرفة وغيره من المجالات.

بفضل تحقيقاتها وأبحاثها ومؤلفاتها العديدة في مجال الحضارة والثقافة والتمدّن الشرقي نالت الدكتورة شيمِّل العديد من شهادات الدكتوراه الفخرية من جامعات شرقية وغربية عدة، كما منحت جوائز أدبية كثيرة وعدداً من شهادات الامتياز والتفوّق، أهمها جائزة (فريدريش ركارت) الألمانية سنة 1965، ووسام القائد الأعظم (باكستان)، والدكتوراه الفخرية من جامعة السند، وميدالية (همر برجستال) الذهبية، وجائزة (يوهان هاينرش فوس) من الأكاديمية الألمانية للغة والشعر، وعضوية الأكاديمية الهولندية للعلوم، ورئاسة الجمعية الدولية لتاريخ الأديان، وهلال الامتياز من الحكومة الباكستانية (أعلى وسام مدني)، وجائزة (جورجيو ليفي ديللا فيدا) في الدراسات الإسلامية من جامعة لوس أنجلوس سنة 1987، وشهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة أوبسالا في السويد، وجائزة الدكتور (ليوبولد لوكاس) من كلية الدراسات الإنجيلية في جامعة توبنغن الألمانية، ووسام الاستحقاق الأكبر من الدولة الألمانية، كما

وأطلق اسمها على شارع رئيسي في مدينة لاهور الباكستانية.

وحـــصلت الدكتورة شيمِّل أيضاً على وسام الاستحقاق الكبير في العلوم والفنون من المرتبة الأولى من الدولة الألمانية. كما منحت في العام 1995 جائزة السلام من رابطة الكتاب الألماني كأحسن كاتب بالألمانية ساهم بفكرة في دعم الـــسلام بين الشعوب وكما جاء في حيثيات الجائزة: «[لقد] كرّست جهدها طيلة حياتها من أجل التعريف بالإسلام وإيجاد روح القبول له ولمظاهر الحياة في إطـــاره، ومن أجل إيجاد إمكانية التقائه بأبعاده التجديدية حضارياً مع الغرب. والـــتي تعقّـــبت بفكرها تلك الإمكانية الهامة للسلام بين الشعوب، والساعية للتوفـــيق بـــين الإسلام والحداثة، والمنطلقة من محاولة الاستفادة من تمييز القيم الكامـــنة في جوهر الإسلام واستخلاصها منه. إن رابطة الكتاب الألماني لتعتبر تكـــريم آنا ماري شيمِّل في هذه الظروف المليئة بمظاهر التعصّب الديني المرعبة، دعماً لتلاقي الحضارات وليس للصدام بينها، وتقديراً لروح التسامح، وإكباراً للشعر والثقافة والفكر القائم على تقدير سائر مظاهر اختلاف الآخرين واحترام التفاوت بينهم».

كتـــبت الدكتورة شيمِّل في حياتها ما يزيد على مائة كتاب، أما المقالات المبـــثوثة في الدوريات الألمانية والعالمية والمحاضرات باللغات المختلفة، فلم تحص بعد. من مؤلفاتها العديدة نذكر على سبيل المثال: **جناح جبريل: دراسة أفكار الـــسير محمـــد إقـــبال حـــول الأمور الدينية** (ليدن 1963)، **أبعاد التصوف الإســـلامي** (تشابل هل 1975)، **الشمس الظافرة: حياة جلال الدين الرومي وأعمالـــه** (لندن 1978)، **الإسلام في شبه القارة الهندية** (ليدن 1980)، **ومحمد نـــبي الله: منـــزلة الرسول في الإسلام** (تشابل هل 1985)، **فك شفرة الإله: مقاربة ظاهرية للإسلام** (أدنبره 1994)، **في مملكة المغول العظام: تاريخ، فن، ثقافة** (لندن 2004).

أتقـــنت الدكتورة شيمِّل من اللغات الشرقية: العربية والفارسية والتركية والأردية والسندية والباشتوية والبنجابية. مما أهَّلها إلى ترجمت الكثير من الشعر الصوفي، خصوصاً لمولانا جلال الدين الرومي، الحسين بن منصور الحلاّج، ميرزا

ـــد الله، غالـــب الدهلـــوي، فـــريد الدين عطّار، يونس إمره، محمد إقبال وغيرهم.

لقـــد نَـــذَرَت الدكتورة شيمِّل حياتها العلمية والعملية على امتداد أكثر من نصف قـــرن في خدمة الإسلام، فكراً وحضارة وثقافة، وفي الدفاع عن العرب والمسلمين في العالم كله. ويكفي أن نلقي نظرة على الموضوعات التي بحثت فيها وكتبت عنها عشرات الكتب ومئات الأبحاث والدراسات والمقالات لندرك ذلك. فقـــد كتـــبت، على سبيل المثال، في التعريف بالإسلام، وعن الرسول (ص)، وعن تاريخ الحضارة الإسلامية، وعن الصوفية والفكر الصوفي، وعن العرفان الإسلامي، وعـــن الـــشعر العربي والفارسي والتركي، وعن الخط العربي، وعن الحياة المعاصرة للمسلمين وغيرها كثير.

(5)

يتضمن هذا الكتاب ثلاثة بحوث تتناول فيه المؤلفة الدكتورة أنّا ماري شيمِّل موضوعات متفرِّقة، أعدت في مناسبات مختلفة، ومع ذلك فهي مترابطة باعتبار أنها جميعاً تتصل بالحضارة الإسلامية، وتعرض هذه البحوث بصورة خاصة لثلاثة فنون أساســية مـــن الحياة الحضارية في الإسلام؛ هي: [**الجُنينة.. الأزهار والبساتين في حضارة المسلمين**]، [**التشبيه بالحروف في الأدب الإسلامي**]، و[**الباز الأشهب.. ملاحظات في البيزرة في الشرق والغرب**].

وقـــد تـــناولت المـــؤلفة في هذه البحوث، وهي التي تُعد حجّة في دراساتها التاريخـــية في ميدان الحضارة الإسلامية، جوانب من التاريخ والدين والأدب أبانت فيها الدكتورة شيمِّل عن إطلاع واسع وعلم جمّ وأناة في الحكم.

ولنأخذ البحث الأول «**الجُنينة: الأزهار والبساتين في حضارة المسلمين**». فالجُنينة أو الحديقة جزء من الطبيعة هيَّأهُ الإنسان لمباهجه وأعدَّ فيه خُلاصة ما وَجَـــدَه فـــيها من نبات جميل اختاره ومياه عذبة أجْراها وطير جَمَعه وحيوان حَشَره أو دَجَّنه، مع طُرُق أحسَن رَصْفَها ومَقَاصير أجاد بناءها ودَكّات رتَّبها للـــتأمل ومجـــالس نظّمهـــا للتّملي. هذا إلى اتساع رقعة الجو ومعابثة الأشعة

والظلال ومغاداة النسيم ومراوحته ومفاتن الفصول الأربعة ونصوع آناء النهار كـــل وقـــت له جماله وطلاوته كالشروق والبكور والغدوة والضحى والظهيرة والعـــصر والأصـــيل والغـــروب، وسحر آناء الليل وغموضها كاختلاط النور والظلام والشفق والغسق والعتمة والسدفة والموهن والسَّحر والفجر والصبح ثم مع ذلك مرافق مساعدة ومنافع مسعدة، فالحديقة أو الجُنينة - بتعبير المؤلفة - بهذا الشكل وعلى هذا الطراز مختصر الطبيعة المختار بل هي تنظيم لبعض أجزاء الطبـــيعة كما ترغب الإرادة الإنسانية المتحلّية بالحس الفني، والمتجلّية بالرهافة الجمالـــية. فهـــي تَعْمَد إلى تشكيل أجزاء الطبيعة الحية التي هي رهن التكامل والنمو والتفتّح والربوّ والازدهار والازدهاء ولكنها أيضاً رهن العسوّ والذبول والجفاء والفناء.

هذا التناقض في الصفات والخصائص يبرز الفرق بين فن الحدائق وبقية الفنون المـــتعارفة. ذلـــك أن طائفة من هذه الفنون الجميلة تعالج مواد هامدة وتؤلف بينها لـــتهب لهـــا وجوداً فنياً ممتعاً من نوع روحي خاص كما يفعل التصوير بالألوان والخطـــوط والأشكال وكما يصنع النَّحت بالمرمر والصخر والخشب وأمثالها، فهي تفرض على هذه المواد أشكالاً ونسباً ثابتة ونهائية.

ولكن "فن" الحدائق يعالج مادة حيّة لها قوانينها ونظامها في النمو والتكامل أو الـــنكوص والتـــراجع. فهي إن استجابت لرغبات الإنسان وما يريده من تشكيل وتأليف، فلابد من أن تخرج عن إرادته ورغباته بالعفوية التي تملكها والخصائص التي تتميـــز بهـــا. هـــذا نـــوع من التناقض والانسجام في وقت واحد بين المادة الحيّة والأشكال التنظيمية المفروضة.

وليس فن الحدائق إلاّ تعهّد ذلك الانسجام والتناقض والاختلاف والائتلاف والنجاح في الملائمة بين هذه الأضداد. قد تطغى المادة الطبيعية الحية في الأسلوب، فيقترب فن الحدائق من عفوية المناظر الطبيعية أو يوحي بها دون أن يلتزم بها تماماً. وقد يغلب التنظيم في الحديقة، فيحد القوى الطبيعية ويضيّق عليها ويجعلها قريبة من مواد فن العمارة وذلك بتقليم الورود والأشجار وترتيب المروج والأزهار وتنسيق الفسقيَّات والجداول وإعطاء الجميع أشكالاً هندسية ونِسباً متَّسِقَة متَّصلة ومنفصلة.

هـــ ـ حدّان المتقابلان الطبيعي والهندسي يترجَّح بينهما تاريخ فن الحدائق َـ مـ ـفسه إلى وقتنا الراهن. إن فن الحدائق الصيني والياباني ثم الإنكليزي مثال ـصـ ـ ـرع ـلأول، وفن الحدائق البابلي ثم الفرنسي مثال على النوع الثاني. والجامع ـ ـ ـرعين هو فن الحدائق الإسلامي.

ـعـــ ـأن الحديقـــة باختـــصارها للطبيعة واعتبارها مَعْرضاً لبعض مجاليها ـ ـــ ـرها تــضم ما في الطبيعة من قيم جمالية. فلا ريب أن الورود والنرجس ـ ـنفسج والريحان والأقاحي ينظر إليها الفن بمنظاره ويصنّف قيمتها الجمالية في مرتبة ـرِّقة واللطف والحلاوة والرَّهافة، كما ينظر إلى الدوحة الباسقة والنخلة ـ ـمحة الباذخة، فيشعر تجاهها بعاطفة السمو والروعة، وكلما أَنْعَم المرء النظر في ـطبيعة تأمّل محاسنها في مختلف الآناء والفصول استخفته مجاليها الممتعة وأنس بعـصـــرها البديعة وأَخْلَد إلى ما فيها من الائتلاف والاختلاف وتعدّد الألوان والأصـــباغ وإلى قوّة الحياة المنبثّة في غضارة نباتها وإلى ما ينبعث في مجاليها من ـ ـ وحنان.

إن موضـــوع الجـــنائن أو الحدائق مادة الحياة وما فيها من عناصر. ولما كان الكـــائن الحي رهن التبدّل والتغيّر احتاج هذا الموضوع إلى التعهّد الدائم والصيانة ـ ـئبة، وإلاّ سرعان ما ينتهي إلى التصوّح والاضمحلال ويفضي إلى الذُّوِيّ واليَبَس والانقراض.

إن تحت البساطة الظاهرية للحديقة أو الجنينة مفهوم معقّد وملتبس، ذلك أن تـــناول الحديقـــة بالتحلـــيل يتطلّب إلماماً واسعاً بموضوعات شتى؛ كعلم النبات، والعمـــارة والهندســـة والفن والفلسفة، بل وحتى التحليل النفسي لارتباطه الوثيق بالذاكـــرة. ولذلك كانت الحديقة أو الجنينة وستبقى موضوعاً مقتصراً على النخبة المثقفة عبر التاريخ.

لقـــد عاش الإنسان البدائي في عالم تكتنفه الرؤى "السحرية"، ويبدو أنه كـــان شديد الاندهاش، مثله في ذلك مثلنا في الوقت الراهن، أمام مرور الوقت بـــين الليل والنهار، وتعاقب دورة الفصول الأربعة، وأمام كل ما يكتنف العالم حوله من أسرار. وحتى اليوم لا يُعلم على وجه الدقة متى ظهرت أول حديقة،

وقــد يكــون لــذلك ارتباط بالنشاط الزراعي وإقامة أولى السياجات لحماية المحاصيل.

ومن المحتمل أن تكون الفكرة الجمالية والروحية للجنينة قد انبثقت من توليفة تجمــع التقالــيد والدين والغيبيات التي كانت سائدة في العالم البدائي. وربما كان إنــسان الــصحراء هــو أكثر من شَعَر بالحاجة إلى مكان محمي يَقيه حرّ الشمس الحارقــة ونــدرة المــياه. وقــد كان ذلك المكان حلماً يناقض تماماً عالمه الواقعي الصعب.

ويــنطوي التراث الحضاري الإسلامي على صور جمالية وفنية وأدبية وروحية بديعة في حب الطبيعة وتصوير مفاتنها. وقد تطرقت المؤلفة الدكتورة شيمِّل في هذا البحث إلى صور "ساحرة" وبليغة في هذا الشأن.

ومــن بين البحوث التي يشملها هذا الكتاب الذي أقدمه للقارئ الكريم بحث عن «**التشبيه بالحروف في الأدب الإسلامي**».

إذ تعتــبر صَنْعة الكتابة من مميزات الإنسان منذ أقدم العصور. وهنالك علاقة بينها وبين التصوير (الرسم). فقد كان الخط في ابتدائه صَنْعة تصويرية في كثير من الأمــم – والمثال المشهور لهذا هو الخط الهيروغليفي في مصر القديمة – ثم صار بعد ذلــك مجرداً بوسيلة الاختزال. ونجد الآن في الفن المعاصر علاقة أخرى بين فن الرســم وصــنعة الكتابة حين نرى أن بعض الرسامين يستعملون الخط زخرفاً وتزييناً محضاً.

وفي مجــال صَــنْعة الكــتابة يجد القارئ جوانب كثيرة متشابهة بين الشرق والغــرب. ففــي تطوّر صنعة الكتابة أبدع الخطّاطون ما أبدعوا في تزيين الحروف بأشــرطة ذات عُقد وبأشكالِ الأزهار وبتنويع الألوان. وأحياناً ما نكتشف مشابهة غريبة بينٍ هذه الأشكال في الغرب والشرق، مشابهة نشأت من اللاشعور، وأحياناً ما نجد تأثير صنعة الخط العربي وخاصة الخط الكوفي على فنون أوروبا أثناء القرون الوسطى.

لقد كانت صنعة الخط في الشرق الإسلامي أفضل الصنائع وأجلّها، ولا توجد في العــالم حضارة أخرى أَوْلَت فن الخط مثل هذا الاهتمام الكبير. أما في الغرب،

فـــحـ ُ الفـــنون التشكيلية التي ورثت عن الحضارة اليونانية القديمة تقوم بنفس ـــو ـدي تلعبه فنون الخط في الشرق.

ولا يزال الباحث يجد في الغرب في أيامنا هذه من أهل الفنون الذين استمدوا ـدمـــ من الصَّنعة الإسلامية، ويتجلى هذا الإلهام في الصَّنْعَة المجرَّدة العصرية؛ ومن حـ ـ ـخر تبنّى كثير من الرسامين ومن يتعلّق بالصَّنْعة في البلدان العربية وما يليها مـ ـدون والأمصار الصَّنْعة الأوروبية الكلاسيكية أو العصرية. وقد ينتج عن تلك ـ ـلافـــة بـــين التقالـــيد العريقة المختلفة صور جديدة ذات وجهيْن أحدهما شرقي و ـآخر غربي.

وقد وفِّق بعض الرسامين والنحاتين إلى خَلق صنعة جديدة شاملة كل ما هو حميـ وقيّم في الدنيا، وتظهر في أعمالهم وحدة أصيلة تفصح عن جمال لا هو بغربي و ـ ـشرقي، هذا الجمال الذي عبّر عنه الرسول (ص) في حديثه الشريف: «إن الله جميـ يحب الجمال». فليس هذا الجمال حُسناً ظاهراً فانياً، بل هو إفادة عن الحقيقة ـ ـصية والأصالة المخلصة.

إن عمـــل الرسام أو الشاعر حين يفتقد إلى هذه الأصالة وهذا الإخلاص حتى ـــو بَدا للعين جميلاً للوهلة الأولى لا يلبث أن يقع في عمق الإنسان. ومن الممكن كـــذلك أن يكون العمل الغير مخلص يخلّف أثراً وقتياً مبهراً في نفوس الناس إلاّ أنه جـــري بهـــم عـــن الحياة المستقيمة، ويفعل في قلوبهم أَثَر الزَّهْر المميت، فيسقيهم ـكـــذب والبغض واللهو. وهنا تأتي مسؤولية الإنسان على العموم والفنان، رساماً كـــان أو مـــؤلفاً، علـــى الخصوص ألاّ يفقد ارتباطه بالأصل العميق لحياته، بذلك ينبوع اللامتناهي الذي نشأت منه حياته.

وأخـــيراً، ففـــي هـــذا الكـــتاب أيضاً بحث رائد بعنوان «**الباز الأشهب.. ملاحظات في البيزرة في الشرق والغرب**».

يرمز الباز/الصقر إلى الروح السامقة والشمس العالية وإلى المبدأ الروحي على وجـــه العموم. وليس هناك من حضارة لم تضع هذا الطائر في المرتبة العليا من سلّم ـموجودات، فهو يرمز إلى الحرف الأول من اللغة الهيروغليفية، وقد عدَّه المصريون القدامـــى مصدراً لدفء الحياة وجوهراً للضياء الذي يُنير العالم. وهو بسبب تحليقه

في مفازات السماء البعيدة وقربه من الشمس يعد رمزاً للهواء والنار والقوة (الذكرية) التي تمنح الأرض (الأنثى) الخصب والحياة الجديدة. والباز/الصقر رمز «حوريس» الإله الوصي على الفراعنة.

واعتبره السومريون الذين مثلوا سرعته بالرعد والبرق، رمزاً للتحليق الجريء والنُبل البطولي. فيما اعتبره الإغريق رمزاً لآلهة القوة والحرب. أما المقدونيون، فقد كانوا ينقشونه على القطع النقدية ويعتبرونه مثلاً لقوى الروح السامية في صراعها مع قوى الظلام والعالم السفلي، في حين كان الفينيقيون ينحتونه على سفنهم ويجعلون له ذراعين تقودان الإنسان إلى بوابة الأبد.

وتوصي الزرادشتية، في الإمبراطورية الفارسية القديمة بأن تعرض للبزاة/الصقور جثث الموتى وتمنع دفنها في الأرض وحرقها وإلقائها في المياه، وذلك كي لا تلوث العناصر الثلاثة المقدسة: الأرض، النار والماء.

وعندما جاء الرومان احتل الباز/الصقر في ديانتهم الوثنية مكاناً رفيعاً، فأصبح شعار «جوبيتر» القوي، وسيد الصواعق النارية التي تطهّر حيناً وتعاقب حيناً آخر. وأعقبت الوثنية الرومانية، المسيحية التي أضافت بعداً رمزياً للباز/الصقر، فاعتبرته رسول السماء ورمز النبوة. وقد وردَ ذكره تضميناً في القرآن الكريم في آيتين:

﴿وَهُوَ الَّذي يَتوفَّاكُمْ باللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ (الأنعام/60).

﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ (المائدة/4).

واستمر الباز/الصقر رمزاً للأعالي والكبرياء وصراع القوى السامية مع قوى البشر حتى العصور الحديثة. وهو بما لديه من قدرة فائقة على الانقضاض وسرعة هائلة في إدراك الطرائد أصبح رمزاً كيميائياً. إذ يعدّه الكيميائيون رمزاً للخيال الخلاّق وانتصاراً لقوى التسامي الروحي على قوى الغريزة والجسد والمادة، حتى أن الشاعر الإيطالي دانتي (1265- 1321م) أطلق عليه «طائر الرّب»، واعتبره عالم النفس السويسري كارل يونغ (1875- 1961م) رمزاً للسموق والتعالي.

أما العرب فقد أبدوا اهتماماً خاصاً بالجوارح وعلى وجه الخصوص الباز/الصقر. تطلق العرب اسم (البيزرة) على الصيد بالصقور أو بالطيور الجوارح

عـمـــة. وكلمة (بيزره) هذه مأخوذة من (الباز) وهو أحد الطيور الجوارح. وكان يـــسمى صـــاحب الصيد (بالبازيار) ووظيفة البازيار كانت من الوظائف الهامة في ـدولة آنذاك.

وكانـــت العرب تصيد بالبازي منذ أيام الجاهلية ثم أصبحت أيام الأمويين والعباســيين تـــصيد بالنسور والعقبان والصقور والشواهين والبواشق وغيرها. ولكـــل نوع يغري على صيد خاص. فالصقر مثلاً يغري على الغزال والأرنب ولا يغـــري علـــى الطير لأنها تفوقه. وأول من صاد به هو الحارث بن معاوية الكندي.

أمـــا الـــبازي، فيغـــري على الطيور. والإناث منه أجْرَأ على عظام الطير من الذكـــور. ومن عاداته انه إذا أخطأ صيده ولّى خجلاً من إخفاقه حتى يجد لنفسه كهفاً يأوي إليه ولهذا علّقوا عليه الجرس ليدل على مكانه إذا اختفى.

وكان الصيد بالجوارح أيام الحكم العربي عادة مألوفة ومنتشرة الاستعمال انتـــشاراً واســـعاً. ولذلك، فإننا نجد في شعر تلك الحقبة فصولاً خاصة تعرف (بالطـــرديات) وهـــي القـــصائد التي قيلت في الصيد ويستعمل الشاعر العربي جرير (ت 110هـــ/729م) التشبيه بها في هجائه المشهور للراعي النميري عندما يقول:

أنـــا الـــبازي علـــى نمـــير أتـــيح مـــن الـــسماء له انصبابا
إذا علقـــت مخالـــبه بقـــرنٍ أصـــاب القلـــب أو هتك الحجابا
فغـــضّ الطـــرف إنـــك من نمير فـــلا كعـــباً بلغـــت ولا كلابـــا

وكـــتب بازيـــار الخلـــيفة أبو المنصور نـــزار الفاطمي الملقّب بالعزيز بالله (ت 386هـــــ/996م)، كـــتاباً ما يزال موجوداً حتى الآن عنوانه «البيزرة» وفيه يـــصف – من بين الأشياء الكثيرة التي يصفها – تربية الصقور وتدريبها، فيقول: «يـــبدأ المربي بالصقر الصغير، فيستولي عليه من عشّه قبل أن يعرف كيف يطير. أو هـــو يأخذه بعد أن استكمل وبلغ ثم يؤنسه. وهو في سبيل تأنيسه يصنع له غمامة تغطي رأسه وعينيه حتى لا يرى النور وشريطاً من الجلد يوضع فوق الجناحَيْن حتى

لا يصفّق بهما وشريطَيْن من الجلد آخرَيْن يربط كل طرف منهما بقَدَم ويترك الطرف الآخر للصقّار يمسك به في يديه، فيمنع الصقر من الطيران إلاّ إذا أراد. ثم يوضع الصقر في مكان مظلم نحواً من اثنتين وسبعين ساعة ولا يترك وحده أبداً حتى يعتاد على معاشرة الناس وبعد هذا يأخذ الصقر ثم يتعوّد على تناول الطعام من يد صاحبه الصقّار». ويمضي البازيار في سرد التفاصيل إلى أن يقول: «ويتضح مما تقدّم أن تدريب الصقر يحتاج إلى مهارة وصبر طويل».

أما طريقة الصيد، فهي كما يقول صاحب كتاب «البيزرة» كالآتي: «كان الصيادون يذهبون معاً للصيد في الصباح الباكر وقد وضعوا البزاة على أكتافهم وعندما يصلون إلى مكان الصيد ينزلون الصقر على الكتف ويمسكون برجليه في يد واحدة وما أن تلوح لهم فريسة حتى يرفعون الجلد عن الجناحين وعن العينين وعن الرجلين ويدفعون بالصقر إليها، فيقف الصقر على رأسها ويأخذ بلطمها بجناحيه، فترتبك الفريسة وهنا يلحق بها الصيادون ويأخذوها».

وكان العرب أول من ابتكر أسلوب "العصابة" أو غشاء الرأس في ترويض الصقور. فقد كانوا يضعون عصابة على أعين الصقور والبزاة حتى إكمال تدريبها، كما كان بعضهم يقوم بتخييط جفونها وبعد أن تكمل تدريبها يعمدون إلى إزالة الخيط، فيفتح الصقر عينيه على ضوء العالم وهكذا يولد مرتين.

والباز أنواع عدة، يعد الباز الأشهب أفخر أنواعه. والباز ينتشر في مناطق واسعة من المعمورة، واقترن اسمه بالملك. ويقال في لفظه (باز) وأفصح لغاته (بازيّ) بكسر الزاي وتخفيف الياء وجمعه بُزاة. ولفظه مشتق من البزوان وهو الوثب وكنيته أبو الأشعث وأبو البهلول وأبو لاحق.

ويقال إن أول من صاد به من الملوك قسطنطين ملك الروم وذلك أنه مرّ يوماً بجانب جبل، فرأى بازياً يطير ثم نزل على شجرة كثيرة الأغصان كبيرة الشّوك، فأمر بأن يُصاد له مجموعة من البُزاة، فَصِيدَت له وحُملت إليه، فربطها في مجليه، فعرض لبعضها في بعض الأيام أيْم الأفعى، فوثب عليه وقتله، فقال قسطنطين: هذا ملك بغضبه يغضب الملوك، فَنَصَب له بين يديه كندرة، وكان هناك ثعلب داجن يربى في البيوت، فوثب عليه فما أفلتَ إلاّ جريحاً، فقال: هذا ملك جبار لا يتحمل

ـبـه ثم مرَّ به طائر، فكسره ونهش منه، فقال: هذا ملك نوعه لما جاع أخذ طعامه ـسـتـ ـ وقدرة، فحمله على يده وصاد به.

ووصف الحكماء والملوك البزاة وزادوا في الوصف وأطْنَبوا في المدح، فقال حـفـ ـ ملك الترك: البازي شجاع مريد، وقال كسرى أنوشروان: البازي رقيق حـــسن لا يأخذ إلاّ في وقت الفرص، وقال قيصر: البازي ملك كريم إن جاع ـحـ وإن استغنى تَرَك. ووصفه ابن خفاجة: هو طائر يستدل بظاهر صفاته على كـــرم ذاته، طوراً ينظر بنظرة الخيلاء في عطفه، وتارة يرمي نحو السماء بطرفه، وهو جيد الصيد والأثر، حديد السمع والبصر، وقد جمع بين عزّة مليك وطاعة مملوك.

والــباز بطــبعه يصيد فريسته عكس الحر والشاهين، فإنه إذا أُخذ من وَكْره فرخاً ولم يكن متعلماً الصيد مع أبويه، فإنه يصيد وإذا كان الباز في الوكر مع أبويه وصـــاد معهمـــا، ففي ذلك الوقت يظهر مقدرة عالية وقت تأنيسه وإطراقه على فريسة.

انتشر حب الجوارح من الصقور والبزاة والشواهين والعقبان على أوسع نطاق في أوروبا خلال القرن الخامس عشر. وربما جاء هذا الاهتمام جرّاء تأثيرات مختلفة كالحروب الصليبية والحضارة العربية في الأندلس. وقد جاء في المصادر أن الملكة «بـــرتا» مـــن توسكانيا قد أهدت الخليفة «المكتفي» سبعة صقور وسبعة بزاة، وأن لإمبراطور الألماني «فريدريك الثاني» قد ألّف كتاباً في الصقور والبزاة أسماه (الصيد بالجـــوارح). وفي فرنسا أصدر الملك «شارلمان» قانوناً لحماية الصقور والبزاة. أما في انجلتـــرا، فقـــد أبـــدى الملـــك «إدوارد الثالث» شغفاً بالجوارح. كما يدرج الإمـــبراطور «تشارلز الخامس» ضمن عشّاق الصقور والمهتمين بترويضها وتدريبها والصيد بها.

ولم يقتـــصر حـــب البـــزاة والصقور والجوارح على أوروبا وحدها بل امتد ليـــشمل الشرق والغرب من الصين حتى الأمريكتين الشمالية واللاتينية. فقد عَبَد الهنود الحُمر الصقور وكانوا يتبرّكون بريشها وجماجمها. وقد ورد في رواية للرحالة ماركو بولو أن كوبلاي خان ابن جنكيز خان كان يملك ما يقارب ألف بازداري

يقومـــون بتـــربية البـــزاة والصقور وتدريبها. وتخبرنا المصادر أن المماليك اهتموا بالـــصقور أكثر من اهتمامهم بمملكتهم، فجعلوا لها خدماً وعمّالاً كأمير العشرة، وحـــارس الطـــير، وكاشـــف الطير، والخواندار الذي كان مسؤولاً عن إطعامها وحمايتها من البرد والمطر.

وللـــباز خـــصائص ينفرد بها عن غيره من الجوارح، من ذلك سرعة كسره وانقضاضه حتى قيل أنه أسرع من السهم وقد ضرب المثل به بسرعة خطفه. والباز إذا أُدِّبَ وأُحسِنَ تأديبه عَرَف مهمّته و لم يتجاوز حدوده، وهو من الجوارح الوفية لأهلها، وقد رويت عنه في ذلك أخبار كثيرة.

يتـــضح من هذا الاستعراض الموجز للبزاة والصقور في الرمز والتاريخ أن هـــذه الطـــيور تتميـــز بخـــصائص استثنائية عن بقية الطيور مما جعلها موضع اهـــتمام الملـــوك والقياصـــرة ومحط إعجاب الشعوب التي اتخذتها آلهة تقدسها وتتبرّك بها.

وفي هذا البحث تحلّق المؤلفة بين الشرق والغرب وراء البازي وتقدم معلومات وأخبار عن هذا الطائر الملكي غاية في الأهمية، فهي قد قَرَأت وجَمَعت - تقريباً - كـــل مـــا كـــتب ونقل عن هذا الجارح وعن الجوارح الأخرى من نفس فصيلته كالصقر والشاهين واليؤيؤ وغيرها.

(6)

لقـــد تميّزت كتابة الدكتورة آنّا ماري شيمِّل بعرض معلومات كثيرة وربطها بمظانهـــا التأريخية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية والأدبية وغيرها؛ إلاّ أن هناك مـــثالب لهذا الأسلوب تكمن في خطورة أن يعتقد القارئ أَصْلية ما هو ليس بأصل في العقيدة الإسلامية، فقد كانت المؤلفة في هذه البحوث أشبه بطائر يجول في كل الأزمـــان، ويحطّ على كل الأراضي، سواء التي فيها أجمل الثَّمر، أو تلك التي نباتها الـــشَّوك، أو على أرض لا يُعرف نوع نبتها، أهو ثمار أم شوك على هيئتها، ولهذا، فعلـــى القارئ أن يحتشد بذهن حاضر وعَين فاحصة كي يستطيع الولوج إلى عالم هذه النصوص ومعرفة مقاصده.

كمـــا أن القـــارئ قد يحسّ أحياناً بأنه يخالف المستشرقة الجليلة في بعض ما توصَّلت إليه من نتائج وأحكام، ولكن غلبة الإنصاف على هذه البحوث وسيطرة روح العلمية فيها جملة، جعلنا نقنع بتقديمها إلى القارئ دون أن نلجأ إلى مناقشة مـــا قـــد نختلف فيه مع المؤلفة، راجين بعد ذلك أن يجد القرّاء في هذا الكتاب ما يقـــدره من عون في الدراسة ومن إمتاع في القراءة ومن إثارة لاستشراف آفاق في بحث جديدة.

ومـمـــا لا شـــك فـــيه أن هـــذه البحوث تملأ بعضاً من الفجوات التي لم تجر ملاحظـــتها حتى الآن، وتقدم لنا في السياق فراسة محرّضة في فكر الدكتورة شيمِّل وفي الدور المؤثر للحضارة الإسلامية في تاريخ العالم.

وكلّـــي أمـــل في أن يكون هذا الكتاب لبنة خير في ميدان المعارف والآداب والفـــنون في الحـــضارة العربية/الإسلامية، يتجاوب مع حاجات القرّاء والبحّاثة، ويشجع الميل للاستزادة في شعابه العديدة.

عقيل عيدان

الكويت

الجُنَينة*

الأزهار والبساتين في حضارة المسلمين

[مجلة (فكر وفن)، العدد الثاني، 1963]

قال رلكه (Rilke)[1] وهو من أكبر شعراء هذا العصر[2] الألماني مخاطباً قلبه:

غَنِّي يا قَلْبي جَمَال البَسَاتين التي لا تَعرفها
بَسَاتين كأنَّها مَسْكُوبة في زُجَاج، بَرَّاقة، لا
يُوصل إليها،
مِيَاه أصْفَهان أو شيرَاز ووردهما
بَرِّك عليها، إثْنِ عليها فهي لا تُقاسُ بشيءٍ
في العَالَم...

Singe die Garten, mein Herz, die du nicht kennst;
Wie in Glas
eingegossene Garten klar, unerreichbar.
Wasser und Rosen von Ispahan oder Schiras,
singe sie selig, preise sie, keinem vergleichbar.

ومــا كــان هذا الشاعر إلاّ واحداً من سلسلة طويلة من الأدباء الأوروبيين مَدَحوا بساتين[3] ممالك[4] الإسلام وغنُّوا أبياتهم في وصف حُسنها الخيالي مع انه لم يشاهد أيٌّ مــنهم قَطْ بُستاناً فارسياً[5] في حياته. وكان مع ذلك صورة البستان الشرقي في مخيلة مواطنينا[6]، وقد قرأوا ما قرأوا من حكايات ألف ليلة وليله التي

توصف فيها حدائق الأمراء وجُنَينَات الجن التي فيها شُجَيرات من ذَهَب أثمارها من الجواهر وأزهارها من زمرد (...)[7] وياقوت إذا مسَّتها الريح تقع على أرضٍ ترابها مـــن فـــضة، وبعـــض ذلك [جاء أيضاً من] استئناس أهل أوروبا بأشعار الشعراء الإيـــرانيين مـــن [مثل] سعدي الشيرازي[8] وحافظ[9] ووجدوا في أبياتهم وصف للبـــساتين الـــشيرازية، ووجـــدوا أيضاً بياناً عن الوَرد والنرجس ومقارنة المحبوب بالأزهار الزاهرة، واستحسنوا ذلك غاية [الاستحسان]، وصار «كلستان شيراز»[10] أو «بستان فارس»[11] عبارة معروفة عندنا.

وفي الحقيقة يمكننا أن نقول إن للمسلمين محبة خاصة للبستان والأزهار، وهذا من الطبيعي بالنسبة لملَّة كان موطنها في منطقة من أرضنا غلب عليها الحَرّ ومعظم أراضـــيها عقـــيم إلى[12] أنْ أَنْعَم الله عليها بالأمطار، أو صَدَف أن كانت واقعة في أوديـــة خصبة أو على شط الأنهر الكبيرة؛ ودلَّت على هذا بآيات كريمة من القرآن المجـــيد حيث تؤخذ مثال النبات الذي ينبت من التراب الميِّت كمثال بارز للقيامة كما قال تعالى:

﴿وَنَـــزَّلْنَا منَ السَّمَاء مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا به جَنَّات وَحَبَّ الْحَصيد * وَالنَّخْلَ بَاسقَات لَهَا طَلْعٌ نَضيدٌ * رِزْقًا للْعبَاد وَأَحْيَيْنَا بِه بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلكَ الْخُرُوجُ﴾[13].

وأيضاً:

﴿وَفـــي الأَرْض قطَعٌ مُتَجَاورَاتٌ وَجَنَّاتٌ منْ أَعْنَاب وَزَرْعٌ وَنَخيلٌ صنْوَانٌ وَغَيْرُ صنْوَان يُسْقَى بمَاء وَاحد﴾[14].

وإن كانـــت هـــذه الأرض مظهـــراً للنِّعَم الإلهية من نَخْلٍ ذات الأكمام وأزهار وفاكهـــة وثمـــرات بهـــيجة، فنِعَمُ الآخرة توصف أيضاً [بأنها] جنة خالدة «**جنّة عالية قطـــوفها دَانـــية**»[15]. وأصـــبحت للمسلمين بساتينهم التي انشأوها في الأندلس وفي العراق، في مصر وفي إيران وبعد ذلك في تركيا وهندستان[16] جنّات صغيرة، جُنينات، على سطح الأرض ذَكَّرَتهم بأن بُشراكم اليوم جنّات تجري [من] تحتها الأنهار[17]..

وكـــان البستان والنبات محبوباً عندهم لسبب ثالث أيضاً؛ وقد قال تعالى في آيـــات مخـــتلفة إنْ **﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾**[18].

.فـ فهم كثير من المؤمنين معنى هذا التسبيح الدائم[19] الذي يصدر من كل ما
.. حجر وشجر وبين طيور وزهور، وكان ذو النون المصري[20] الصوفي الكبير في
ـ .. ـت مهجرة يعلّم أحبابه ومريديه أسرار هذا الذّكر والتسبيح الذي تشترك
ـه حينئذ كنه واعترف في دعاء له:

.لهي ما أُصْغي إلى صَوت حَيوان، ولا حَفيف شَجر، ولا خَرير مَاء، ولا ...ـرنم طائر، ولا تَنعُّم ظلّ، ولا دَوِيّ ريح، ولا قَعقَعة رَعد، إلاّ وَجَدهَا شَاهدَة ..حدانيتك، دَالّة على أنه ليس كَمثلكَ شيء. وإنك غَالب لا تُغلَب وعَالِمٌ لا تجهل وحليم لا تسفه وعَدْل لا تَجُور وَصَادق لا تَكذب»[21].

.. قد أحد الشعراء التُّرك، وهو يونس إمره[22]، أول الشعراء المتصوّفين في ..ـرن في القرن الثالث عشر الميلادي واصفاً الجنّة العليا:

..ون جنتك ايرماقلري
قر الله ديو ديو..[23]

.ي:

أنهَارُ تلْكَ الجَنّة
تجْري تَقُول الله
خرَجَتْ عَنَادلُ الإسْلاَم
تَترنّم تَقُول الله...
تهْتَزّ فروع الطُّوبى
يَقْرأ كلّ لسَان القرآن
أمّا وَرْدُ الجَنّة
فَرائحته هي «الله»[24]

ويعبر عن هذا الإحساس بالذّكْر الدائم للنبات وبأن كل زهرة حامدة لله مسبّحة له، حكاية سمعتها عن متصوّفة تركية في مدينة استانبول[25] عندما زرنا مقبرة الشيخ مركز أفندي[26]. وقد كان هذا الصوفي مريداً لسُنْبل أفندي في أوائل

القـــرن الثامن عشر الميلادي، وطلب سُنْبل أفندي يوماً من الأيام ومن مريديه أن يجمعـــوا زهراً ليزينوا الخانقاه[27] بها. وجاءه كل واحد منهم وفي يده باقة جميلة من أطـــيب الزهـــر إلاّ مركز أفندي، ففي يده زهرة ذابلة فحسب. وسأله الشيخ عن ســـبب ذلك، فقال مركز أفندي مجيباً: «يا سيدي ومولاي، إني تمشَّيت في بساتين المدينة وغاباتها وما رأيت زهرة إلاّ وهي مشغولة بالتسبيح والذِّكر والحَمد والثَّناء، الـــوَرد بعطـــره والزَّنبق بألسنته العشرة الصامتة والنَّرجس بعيونه الذهبية، وكيف أستطيع أن أَقْطِفَ أحدها وأَقْطَع ذِكْرَها؛ وفي النهاية وَجَدْتُ زُهَيرة ما بَقِيَ لها عطر ولا لـــون وقـــد فَاتَ ذِكْرها وانقطع تسبيحها وها هي». فعانقه الشيخ وجعله[28] خليفة له بعد مدَّة.

ونقرأ في كتب التاريخ القديمة بأن الخلفاء والسلاطين ما زالوا ينشئون بساتين وحدائـــق ذات بهـــاء حيثما وجدت المياه، وقد دوَّن المسعودي[29] ما فعله الخلفاء العباســـيون في العـــراق، ووصـــف المقريزي[30] بساتين مصر، وجمع جلال الدين الـــسيوطي[31] في [كـــتابه] «حُسْن المُحاضَرَة» ذكر الرَّياحين والأزهار الموجودة في البلاد المصرية وما وَرَد فيها من الآثار النبويّة والأشعار الأدبية والإشارات الصوفية.

ويحكى أن الخليفة المستكفي العباسي[32] كان يحب الحدائق والأدب وقرأ أحد الـــشعراء في حضوره شعراً في حقِّ محل اسمه باطرنجي[33] فيه كثرة [من] الأزهار، وقيل إن هذه الأبيات لأبي نواس[34]، وهي:

مـــن حديثـــي إني مَررت بها يوما	وقلـــبي مـــن الهـــوى مـــستطارُ
وبهـــا نَـــرْجِسٌ يُـــنادي غلامـــي	قـــف فقـــد أدركتْ لدينا العُقارُ
وتغنَّـــى الـــدُرّاجُ واستمطر اللَهْوُ	وجـــادتْ بـــنورها الأزهـــارُ
فانثنـــيا إلى رِيـــاضِ عُـــيونٍ	ناظـــراتٍ مـــا إن بهـــنّ احـــوِرارُ
ومكـــانُ الجفـــون منها ابيضاض	ومكـــان الأحـــداق منها اصفِرارُ
بيـــنما نحـــن عندها صرخ الورد	إليـــنا يـــا مَعـــشر الـــسُّمّار
عـــندنا قهـــوةٌ تغافـــل عـــنها	دهـــرُها بالوجـــود مـــنها ضِمارُ

. ـبـــا للـــورد مـــن ان تنـــبوأ	عـــن النـــرجس المـــضاعف زارُ
فـــ ى النرجس الذي صنع الورد	فـــنادى مستـــصرخاً يـــا بهـــارُ
. ى ـــوردُ عَسكرَيْن من الصور	فـــنادى فجـــاءه الجُلَّـــــنارُ
. ـحـشـــا تُفّـــاح لُبْـــنان لّمـــا	حَمِـــيَتْ في وَطيـــسها الأوتـــارُ
. ـحشا البهار جيشاً من الأُتْرُجّ	فـــيه صِـــغارُه والكِـــبارُ
فـــ يتُ الربيعَ في عَسكَر الصُفْر	وقلـــبي يـــشفّه الإحْمـــرارُ
ـيس إلاّ لحُمْـــرةٍ مـــن خُـــدود	مـــن أُنـــاسٍ بَغوا علينا وجَاروا[35]

وقال: فلم أرَ المستكفي منذ ولّي الخلافة أشدّ سروراً منه في ذلك اليوم[36].

وأما الخليفة القاهر[37]، فكان أيضاً عاشقاً للأزهار كما قال المسعودي:

«وكـــان للقاهـــر في بعض الصحون بستان نحو من جريب قد غرس فيه ـــرنج وحمـــل إلـــيه من البصرة وعمان مما حمل من أرض الهند قد اشتبكت ـــجاره ولاحـــت ثماره كالنجوم من أحمر وأصفر وبين ذلك أنواع الغروس و ـــرياحين والزهـــر وقـــد جعل في ذلك الصحن أنواع الأطيار من القماري و ـدباســـي والشَّحَارير والبَبَّغ مما قد جلب إليه من الممالك والأمصار (...) ولما فضت الخلافة إلى الراضي اشتد شغفه بذلك الموضع»[38].

ونـــرى في أشعار شعراء هذا القرن كل ما في البساتين من الأزهار: الأقحوان ضاحك[39] والنمام والسوسن والشقائق والبنفسج والياسمين[40] ونبات باقلاء «أتوا في حواشـــن سابغات»، كما قال الصنوبري[41] [وكان] صاحب حديقة جميلة في حلب التي قال فيها وهو يغار عليه من الناس:

وَرْدٌ بَـــدا يَحْكي الخُدودَ ونَرْجسٌ	يَحْكـــي العـــيون إذا رَأَت أحْبَابَها
ونَـــبَات بـــاقلاء يـــشبه نُـــوره	بلـــق الحمـــام مـــشيلة أذنابهـــا
والـــسَّرو تَحْـــسبه العيون غَوانياً	قـــد شَمَّـــرت عـــن سُوقِها أثوابَها
وكـــأنَّ إحـــداهن من نَفْح الصَّبا	خُـــوداً تلاعـــب موهـــنا أتـــرابَها
لـــو كـــنتُ أملك للرياض صيانة	يـــوماً لمـــا وَطـــئ اللّئام ترابَها[42]

وقد أرسل[43] السلاطين والأمراء [الرسل] إلى البلدان البعيدة حتى وجدوا من الأزهار النفيسة ما لم يجد غيرهم. وحَكى صاحب كتاب (نَشوار المحاضرة)[44] أنه رأى وَرْد أسود حالك السَّواد له رائحة زكية وأنه رأى بالبصرة وردة نصفها أحمر قــاني الحمرة ونصفها الآخر أبيض ناصع البياض والوَرَقة التي وقع الخط فيها كأنها مقسومة بقلم[45].

ورأى بعضهم بحلب وردة لها وجهان أحدهما أحمر والآخر أصفر[46]. وبالغوا بوصف الأزهار، وروى السيوطي عن رحالة[47] في الزمان القديم:

«وقــال إنه رأى بالهند وردة مكتوباً عليها «محمد رسول الله» وقال آخر: دخلــت الهــند، فرأيت في بعض قُراهَا وردة كبيرة طيبة الرائحة سوداء عليها مكتوب بخط أبيض «لا إله إلا الله محمد رسول الله»»[48].

وهذا إشارة إلى[49] قيمة الوَرد التي سنذكرها تفصيلاً فيما بعد.

ولا فــرق بــين خلفاء بني العباس والسلاطين الذين حَكموا في سائر بلدان الإســلام، واختصَّ[50] الأتراك بحبّهم للبساتين. وكان خمارويه بن أحمد بن طولون[51] حاكم مصر في خلافة المعتمد[52] والمعتضد[53] جعل بستاناً عظيماً بالفسطاط. قال المقريزي فيه وفي مثله:

«وكان للخلفاء عدّة بساتين يتنــزهون بها، منها البساتين الجيوشية، وهما بــستانان كبيران: أحدهما من عند زقاق الكحل خارج باب الفتوح إلى المطرية، والآخــر يمــتد من خارج باب القنطرة إلى الخندق. وكان لهما شأن عظيم ومن شــدّة غرام الأفضل بالبُستان الذي كان يجاور بُستان البعل، عمل له سُوراً مثل سُور القاهرة، وعمل فيه بحراً كبيراً وقُبّة عشاري تحمل ثمانية أرَادب[54]، وبنى في وسط البحر منظرة محمولة على أربع عواميد من أحسن الرخام، وحفّها بشجر الــنارنج، فكــان نارنجهــا لا يقطع حتى يتساقط (...) وجلب إليه من الطيور المــسموعة شيئاً كثيراً واستخدم للحمام الذي كان به عدة مطيِّرين، وعمَّرَ به أبراجاً عدة للحمام والطيور المسموعة، وسرَّح فيه كثيراً من الطَاووس»[55].

وأمــا ســلاطين المماليــك مــن الجراكسة والأتراك، فكانوا أيضاً معجبين بالبساتين، ويحكى عن آخر سلطان من المماليك حكم مصر، قانصوه الغوري[56] –

ـــي فتي في عام 1516 عندما هزمت الجنود العثمانية جيشه المصري في مرج دابق
- ـه كـ مشغوفاً بالأزهار، ووصف ابن إياس[57] بستاناً له في قلعة القاهرة وقال
ـ ـسـة 915هـ/1511م):

في هـــذه السَّنة أَيْنَعت الأشجار التي غرسها السلطان بالميدان وأخرجت ما ـتـــ ـه من الأزهار ما بين ورد وياسمين وبَان وزنبق وسوسَان وغير ذلك من الأزهار ـعريـبة. ولقد عاينت به ورداً أبيض ذكيّ الرائحة، وهو غير أنواع الورد التي بمصر ـوقــد نقـــل من الشام (...) فكان السلطان يضع له[58] دَكَّة كبيرة مطعَّمة بالعاج ـو لآبـــنوس (...) وتظلّه فروع الياسمين (...) ويعلّق في الأشجار أقفاص فيها طيور مـسموع[59] ما بين هَزارات[60] ومُطوّق وبلابل وشحارير وقماري وفَواخت[61] (...) ـويعتق بين الأشجار دجاج حَبَشي وبَطّ صيني وحِجل وغير ذلك»[62].

وفي عـــين العـــصر الذي أحيا فيه السلطان قانصوه الغوري مرة أخرى مدينة ـقـاهـــرة ببساتين ذات جمال فائق، أخذ بابر التَّيموري[63] الذي فتح بلاد الهند في ـعـ 1526 وصار جَدّاً لسلاطين [الإمبراطورية] المغولية الهندية، يُنشأ في شمال غربي هـنـدســـتان بساتين وحدائق[64] لأنه نفسه وعساكره لم يستطيعوا تحمّل حرارة هذه ـــــطقة وغبارها، وكتب السلطان نفسه في كتاب الوقائع محدّثاً فيه باللغة التركية ـعن كل ما حَدَث له في [ما] مضى [من] حياته منذ عنفوان الشباب إلى أن أصبح ـعـ ـيٍ فاتحاً لبلاد الهند وقال:

«قـــد أنـــشأت (في مديـــنة اكـــرا[65]) بساتين في كل ناحية ظننتها لائقة ــــذلك، وزرعـــت الـــورد والنرجس في كل حديقة وهي في مربعات منتظمة متقابلة».

وأصـــبح هذا البستان نموذجاً للبساتين التي بناها السلاطين المغول فيما بعد في ـلاهـــور وفي دهلي واكرا ووادي كشمير وأينما استقرّوا[66]، واشتهرت هندستان ـهذه البساتين المنتظمة والحَسَنة الهيئة، وكل من وَصَف الدولة المغولية من المسافرين لأوروبـــيين في القرنين السابع عشر والثامن عشر قد أعطا وصفاً تفصيلياً ومدحاً كـــاملاً لهذه الحدائق؛ وأما رسّامو الدولة المغولية، فقد صوَّروا جمال هذه البساتين حتي أزهرت فيها أعجب الأزهار وقد جَلَسَت على شَط الأنهر أو في ظل الأشجار

المليحة سيدات القصر وخادماتهن يلعبن بالكرة ويتنــزهن وهم مثل بساتين بشرية في ثيابهم الموشّاة بأزهار الذّهب والفضّة.

وندرك من تصوير هؤلاء الرسامين شيئاً من جمال هذه البساتين المغولية، ولعلّ الزائــر أن يتخــيَّل نبذة من هذا الحُسن الماضي إذا دخل أحد البساتين في اكرا أو دهلــي أو لاهور. وإذا ببستان شاليمار[67] في مدينة لاهور، وهو منقسم على ثلاثة أقــسام كــل واحد منها مربع، تجري تحته المياه، ويدخل من طريق طويل، يوصل السالك إلى منظر خيالي يرى المياه الزرقاء فيها والقباب الظريفة من الرخام الناصع البياض الشفاف أظرف من خيال أي شاعر كان، تحيطها الأزهار الكثيرة الألوان، ويمتد البستان بعد ذلك إلى قسم ثالث فيه الأشجار المظلة تحمي الإنسان من القَيْظ. وأما جُدران[68] هذا البستان وأبوابه الضخمة التي كانت الأفيال تدخل منها، فهي مزينة بالقاشانيات[69] المزهرة كأنها صورة[70] البستان نفسه.

وعــندما يــزور السائح اكرا يشاهد تاج محل[71] وهو مقبرة السلطانة ممتاز محــل[72] زوجة السلطان المعظم شاه جهان[73]، وهذه المقبرة التي تم بناءها في سنة 1653 في أضــعاف بستان كبير واسع ذي أشجار ومروج ينعكس في مياه فضية، وكان هذا المحل مشهوراً منذ أنشأ بابر بادشَاه هناك حديقة خاصة لعائلته، وقد ودَّ الــسلطان جهانكير[74] وزوجته العاقلة الألمعية «نور محل» أن يجلسا في هذه الجُنينة ويَبِــيتَا في القُصيرات الرخامية. وأنشأت نور محل بعد ذلك مقبرة زوجها جهانكير أيضاً في شكل بستان عجيب المنظر.

واختصَّت بنات السلاطين المغول وزوجاتهم في إنشاء بساتين مزهرة، ومن تمشَّى في مديــنة لاهور صادف كثيراً من آثارهن القديمة: وهناك بستان «جلابي باغ[75]» الذي فيه مقبرة إحدى السيدات، وهناك «جوبرجي» أي الأبراج الأربعة، ولم يبق مــن هــذا البــستان المشهور الذي بنته بنت السلطان شاه جَهان إلاّ ثلاثة أبراج بقاشانيات باهرة، ما زالت تزهر عام بعد عام.

ويكون السائح سعيداً إن قابل في لاهور أحد المتخصِّصين بتاريخ هذه المدينة كما هو الدكتور عبد الله جغتاي[76]، فيريه بساتين «زيب النساء»[77] المعروفة باسم ابنة اورنكزيب عالمكير (المتوفية 1707) الشاعرة المتصوفة، وإن أردت مشاهدة هذا

ـكـــ ـ اليوم لم تجد منه إلاّ بقية جدار وبرج في ناحية فقيرة من جنوب المدينة ولم حصـ ـنـث ماضيه المجيد، ولكن هناك حائط فسيفسائي[78] يصوّر أصيص[79] مملوء ـحمـ لأزهار، وكأن هذه الفسيفساء قد حافظت على روح الحديقة الفانية وعلى عصـ مـ رائحة هذه الأزهار المنسية.

وقـــد فهم الشعراء المسلمين[80] سواء كانوا في بلاد العرب أو في إيران أو في ـــ ـكيا أو في هندســـتان أن الحدائق والأزهار فانية، لأن «كل من عليها فان»[81]، ـحزِنُوا لزوال هذا الجمال وعدم دَوامه، فترنَّموا من الأشعار ما لم يترنَّم به غيرهم، ووصـــفوا الأزهـــار والبساتين بأفصح وصف كأنهم وصفوا محبوبيهم من الغلمان ـ ـسـت الجميلات الظريفات.

وقـــد أحـــسن في هذا الوصف أدباء العصر العباسي مثل أبي نواس وابن المعتز[82] ـ خالـــدي[83] ومن يليهم من الشعراء، واشتهر بعضهم بأشعارهم المخصَّصة بموضوع ـأزهـــار مـــثل الـــصَّنَوبري الحلبي المتوفى سنة 945م، وقد ذكرنا [له] شعر من قَبْل، ومواطـــنه محمـــود بن السِّندي كشاجم[84] الكاتب. وصارت لهؤلاء الأدباء [في] كلّ ـهرة رمزاً لحُسن خاص ودليلاً على صفة مخصوصة، ووصفوا ما رأوا في بغداد وحلب ودمشق وحدائق فارس والشام وأعطوا بذلك شهرة باقية لهذه الأزهار الفانية.

وما كان عدد الأزهار المعروفة كبير في ذلك الوقت، وللشعراء أزهار فضَّلوها عى غيرها. ومنها البنفسج الذي جاء في حقّه حديث غريب:

«**فَـــضْلُ دهـــن البَنَفْسَج على سائر الأدهان كفَضْلِ ولد عبد المطلب على ســـائر قـــريش، وفَضْل البَنَفسج على سائر الزهور كفَضْلِ الإسلام على سَائر الأديان**»[85].

وما أحسن قول الشاعر في هذه الزهرة الرقيقة:

كأنّمـــا شـــعل الكـــبريت منظره أو خدَّ أغيَد بالتحميص مقروص[86]

ونرى من هذه الأبيات البنسفج كما قال جلال الدين السيوطي:

«**سَـــمَاوية اللّـــبَاس، مسْكيَّة الأَنْفَاس، وَاضعَة رأسَها على رُكبَتها كعَاشقٍ مَهجور تَنْطَوي على قَلْب مَسْجُور**»[87].

أو ملبوساً بخرْقَة خَانقاه المتصوّفة؛ وفي شعر آخر يشبّه الشاعر البنفسج بجنود العباسيين لأن أَعْلَاَم هذه السلالة كانت سوداء[88].

وأحـــبَّ الشعراء في العراق وفي الأندلس الياسمين الأبيض وقال فيه المعتمد بن عباد[89]:

كأنمـــا ياسمينـــنا الغَـــضّ كَـــوَاكب في الـــسَّمَا تَبْـــيَضْ
والطـــرق الحُمـــر في بواطِـــنه كخـــدٍّ عَـــذراء مَـــسَّه عَـــضْ[90]

وكانت كناية الكواكب بهذا النبات المزهر مشهورة في الشرق والغرب كما يجري في بيت لشاعر عباسي:

سَـــمَاء زَبَـــرْجَد بالحُـــسنِ تَسمُو يَلـــوحُ بهـــا نُجـــوم من لُجينِ[91]

وقـــد زيَّـــنَ الملـــوك بساتينهم بحياض فيها النّيلوفر[92] الأبيض أو الأزرق أو الأحمر، ومازال الشعراء في الأندلس وفي بلاد فارس يصفون هذا المنظر الجذّاب[93]:

وبـــركة تَـــزْهُو بنيلوفـــرٍ نَـــسِيمُها يُـــشبه ريـــحَ الحبـــيبِ
حـــتى إذا اللَّـــيلُ دَنَـــا وَقْـــته ومَالَـــت الـــشمسُ لوقتِ المغيبِ
أَطْـــبَق جَفْنَـــيه علـــى جيـــبه وغَاصَ في البركة خَوْفَ الرَّقيبِ[94]

وما أهمل [الشعراء] الشقائق[95] الحمراء اللطيفة التي تجعل الصحراء الميتة بحراً أحمـــراً في أيام الربيع، ومن الطبيعي أن كُشاجِم شاعر حلب ونواحيها[96]، مَدحها أحسن مَدح إذ قال:

فَـــرَّجَ القَلـــب غَايـــة التَّفـــريج ابتِهَاجـــي مـــا بَـــين رَوْض بهيجِ
فكـــأنّ الـــشقيق فـــيه أكالـــيلُ عقـــيقٍ علـــى رُؤوس زُنـــوجِ[97]

وقـــد فاقـــه في الإبداع الشاعر الأندلسي ابن الزقاق[98] ولله درُّه في تلك الأبيات:

يـــض مـــن الـــشَّقَائِقِ أضْـــحَى — يَـــتَهادى فـــيها نَـــسِيم الـــرياحِ
ـنيـــا والغَمَـــام يجلـــدُ مـــنها — زَهـــرات تَـــرُوقُ لَـــوْنَ الـــراحِ
فـــي مـــا ذَنْـــبُها فقلـــتُ مجيـــباً — سَـــرَقَت حُمرة الخُدود المِلاح(99)

وأبدع البحتري(100) التشبيه:

شـــقَائقُ يَحْمِلْـــنَ الـــنَّدى فكأنهُ — دموعُ التَّصابي في خُدودِ الخَرائدِ(101)

وصارت هذه الكناية مستعملة فيما بعد ونجدها عند الشعراء الإيرانيين كثيراً، وفي مُصْلح الدين سَعدي الأديب المشهور بمثل هذا البيت:

زالـــه بر لالـــه فرو آمـــد هنكامـــم سحـــر
راست جون عارض كلبوي عرق كرده باز(102)

أمـــا النَّـــرجس(103) الأبيض فهو أحب [الورود] إليهم من غيره وهو الكناية معروفة للعَيْن(104)، وقالوا فيه:

«كان كسرى أنوشروان(105) مغرماً بالنرجس وقال إني لأستحي أن أباضع في مجلس فيه النرجس لأنه أشبه شيء بالعيون الناظرة»(106).

وجاء في حديث رواه السيوطي في مَدح النَّرجس وهو:

«شمّـــوا النَّرجس ولَوْ في اليوم مرَّة، ولَو في الشَّهْر مرَّة، ولَو في السَّنة مرَّة، ولَو في الدَّهْر مرَّة، فإن في القلب حبّة من الجنون والجذام والبرص لا يقطعها إلاّ شمّ النرجس»(107).

وقال بعضهم:

الجِـــسْمُ فـــيه قَـــضِيب من زمرد — والجفْن من فضةٍ والعَين من ذهبِ(108)

ووَافَقه ابن المعتز بقوله:

عُـــيونٌ إذا عَايَنْـــتَها فكأنَّمـــا — مَـــدَامِعُها مـــن فـــوقِ أجْفَانها دُرُّ
محَاجِـــرُها بِيضٌ، وأَحْدَاقها صُفْرٌ، — وأجسَامها خُضْرٌ، وأنفاسها عِطْرُ(109)

وما كان أحد الشعراء في عصر[110] العباسيين أشدُّ شغفاً بالنرجس من الصَّنَوبري الحلبي الذي قال فيه مثلا:

أَرَأيتَ أَحْسَن من عيونِ النَّرجسِ	**أمْ من تَلاحظهن وَسَط المجلسِ**
دُرٌّ تشقَّق عن يَواقيتٍ على	**قُضْب الزمرد فَوق بُسط السندسِ**
أَجْفَان كافور خَفَقن بأعينٍ	**من زعفرانٍ ناعمات المَلْمسِ**
فكأنّها أقْمَار ليلٍ أَحْدَقت	**بشموسِ أُفقٍ فَوق غُصْن أمْلَسِ[111]**

وأَحْسن بِبَيتيه هذين:

وعندَنَا نَرْجس أنيقْ	**تَحْيَا بأنفاسِه النُّفوس**
كأنَّ أجْفَانه بُدُور	**كأنَّ أحْدَاقه شُمُوس[112]**

وصارت كلمة نرجس في الأدب الفارسي والتركي الكناية المخصوصة للعين البشرية، وإن قرأت هذه الإفادة، مثلاً «نَرْكس مخمور»[113]، [أو] «نركس نِيمْ خُفْته»[114]، فإفْهَم أنه العَين المخمورة، أو عَين المحبوبة التي أفاقت من نومها.

وقد أبدع كشاجم عبارة أخرى لتوصيف هذه الزهرة وقال وقد قلَّده كثير من الشعراء المتأخِّرين:

كَأَنَّما نَرْجسنا	**قد تَبدَّى من كَثَبْ**
أَنَاملٌ من فضّةٍ	**يحملن كاسَات ذهبْ[115]**

حتى أن أحدهم، وهو أبو إسحاق[116] في إيران، شَبَّه النرجس بخبز في وسطه صَفَار بَيضة، أو شَبَّهَهُ بعضهم بدينارٍ حَوله ستَّة دراهم.

ومع أن الصَّنوبري فضَّل النرجس المزهر على الأزهار كلها، لكن الشعراء والمتصوّفون أجمعوا على أن أحسن الأزهار وأبهاها الوَرد.

ولا تحصى الأبيات التي قيلت في مدح هذه الزهرة الجميلة ووصفها. ولأحدهم شعر في الورد يجادله النرجس[117] (ونسبوه للصنوبري ولكن ذلك ليس من الممكن لأن هذا الشاعر كان يفضِّل النرجس على الورد):

ـعــم الــوَرْدُ أنَّــه هُــو أبْهَــى | مــن جمــيعِ الأَنْــوَار والــريحان
ـحــته أَعْــينُ النَّــرجس الغَضِّ | بَــذل مــن فــوقها وهــوان
ـبــ أحــسن الــتَّورُّد أم مقلــة | ريم مــن فــضَّة الأجفــان
فماذا يَــرْجو بحُمــرته الخد | إذا لم يَكُــن لــه عيــنان
ـرهــى الــوَرْدُ ثم قــال مجيــباً | بقــياسٍ مُستحــسنٍ وبــيان
ورْدَ الخُــدود أحــسن مــن | عَــينٍ بهــا صُفرة من اليرقان[118]

ورأوا في الــورد كل ما في الدنيا من سعادة وجمال وبهاء[119]، «**وَلَو كان من ـــر قد كان عَطّارا**» – كما قال ابن المعتز – وهو أيضاً مثل دكّان جَوْهري يجمع في نفسه الجواهر كلها:

«**هو دُرٌّ أَبْيَض ويَاقُوتٌ على كراسي زَبَرْجَد أخضر بوسطه شَذَر من ذَهَبٍ ـثر**» [120].

وهو أيضاً السَّاقي يسقينا الخمر الحمراء في كأس لامعة، وهو المحبوب النازك ـــه وهو محجوب كما قال أبو العلاء صاعد الأندلسي[121] في باكورة الوَرد:

أدْنــكَ يــا ســيدي وَرْدةً | يُذكّـــرك المــسْكُ أَنْفَاسَــها
كعــذراءَ أَبْــصَرَها مُبْــصرٌ | فغطَّــتْ بأكْمَامهــا رَأْسَــها[122]

وقد يُشبّهه شاعر تركي أيضاً بالعروس المغطاة[123] بحجاب أحمر؛ ولكن الورد ـــو أيــضاً الملــك الجليل راكبٌ فَرسه الزمردي كما حَكى ابن عساكر[124] عن حبيبة المتوكّل[125] إنه:

«**.. قــد حَمــى الوَرْد ومَنعه من الناس كما حَمى النُّعمان بن المنذر[126] ـشَّقيق واســتبدَّ به وقال لا يصلح للعامة، فكان لا يُرَى إلاَّ في مجلسه وكان يقول: أنا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين وكل منَّا أوْلَى بصاحبه.**

كُــلُّ الــرَّياحين جُــنْد | وهــو الأمــير الأجَــل[127]

وكتب في ذلك العماد الأصفهاني[128]:

قــالَ لي هَــذِهِ الــرَّياحين جُنْدي   أنــا سُلطانُها وشَوْكي سِلاَحي[129]

وكــان الــورد في نظــر الشعراء القدماء بمقام نبي، أي عيسى بن مريم، لأن رائحته الحلوة الخفيفة تُحيي الأموات مثل نَفخ المسيح[130].

والورد أيضاً عند الشعراء المسلمين [يعدّ] في كل منطقة كتاب الحكمة الإلهية لا يقرأه حَقَّ قراءته إلاَّ العندليب المشغُوف. وقال ابن المعتز في شَبَه النرجس بالعَين، والوَرْد بالخدود:

أتــاكَ الــوَردُ مَحــبُوباً مَصُوناً،   كمَعــشوقٍ تكَــنَّفَهُ الــصّدودُ
كــأنّ بــوَجهِهِ، لّمــا تَــوافَتْ   نجــومٌ في مَطالعِهــا سُــعُودُ
بَــياضٌ في جَوانِــبِهِ احمِــرارٌ،   كما احمرَّتْ من الخَجلِ الخدودُ[131]

واقتــبس آخَــرٌ هذا الدليل وقال في الوَرد الأَسْود وهو مشهور في العصور الوسطى لندرته:

لله أَسْــوَد وَرْد ظَــلَّ يَلْحَظُــنا   مــن الــرياضِ بأحــداقِ اليَعَافيرِ
كأنهــا وَجَــنَات الــزِّنْج نَقَّطهــا   كَــفُّ الإمام بأَصْنَافِ الدنانيرِ[132]

وقــد انتهــى شاعر مسلم في بلاد السِّند في المبالغة إذ قال يستعمل الكناية ورد – خد:

قد مُلئَت المرآةَ من صورة[133] خَدِّك وَرْدا
حتى أن البَبَّغا الذي يَنْظُر فيها يصير في الحالِ عَنْدليبا.

ومــن الطرف الآخر، رأى فيه بعض الشعراء أثراً من الدَّم ومن الجرح والبَلاء كما وصفه ابن الزّقاق:

سَــتَرَ الــوَرْد بالغديرِ وقد درَّجَهُ   بالهــبوبِ مَــرَّ الــرِّياحْ
مــثل دِرْع الكَمــيّ مزَّقَها الطَّعنُ   فَــسَالت بــه دمــاء الجِرَاحْ[134]

. كثيراً ما شكا [الشعراء] من زوال الورد، فإنه وإن يكون حديث الجَوَى في ... لا يبقى منه أثر في المساء. والناس يشبّهون عدم دَوام الوَرْدْ بقلّة بقاء الوِدْ ... أبو دلف[135]:

... حبكم كالــوَرْدِ ليس بدَائم | ولا خَيْــر في مَن لا يَدُومُ له عَهْدُ
... لَكُم كالآسِ حُسْناً ونضرة | لــه زهرة تبقى إذا فَنَى الوَرْدُ[136]

. أصبح الورد لذلك في الشعر الفارسي كناية عن عدم وفاء الحياة الدنيوية، ... أحد الأدباء قد فهم سرّ هذا الفناء لمّا قال:

... المــلال إذْ طَالَــت إقامته | فَظَــلَّ يظهر أحياناً ويَحْتَجِبُ[137]

. قــد فاق الوَرْد على الزَّهر كما فاق الثريا عن الثرى، ولله درّ من سمّاه إنعاماً ... وما أحق الشاعر الفارسي الكسائي[138] وهو من الشعراء القدماء في إيران ... قال]:

كَلْ نعمتي است هديه فرستاده از بهشت
مردم كريمتر شوند اندر نعيم كَلْ
اي كَل فروش كَل جه فروشي براي سيم
وز كَل عزيز تر جه ستاني بسيم كَلْ[139]

وترجع فكرة أن للورد أصل غير دنيوي إلى حديثين مرفوعين[140] وهما:
«لمــا أَسْــرى بي إلى السماء سَقَطَ إلى الأرض من عَرَقي، فَنَبَت منه الوَرْد، فمن أحب أن يشم رائحتي، فليشم الوَرْد»،
«الــوَرْد الأبيض خُلق من عَرَقي ليلة المعراج وخُلق الورد الأحمر من عَرَق جبريل وخُلق الوَرْد الأصفر من عَرَق البُراق».[141]
وأما أدب إيران، فسمَّاه بعض الأدباء الغربيين «أدب كُلْ وبُلْبُلْ»[142] يعني ... يلعــب فــيه عشق العندليب الحزين للورد الجميل الظالم دوراً عظيماً، وكانت حكاية العندليب مع الوَرْد مشهورة مثل حكاية ليلى والمجنون أو فرهاد

وشـــيرين[143]؛ وهي حكاية عشق الروح الإنسانية وشَوقها إلى الجمال المطلق الإلهـــي، لأن الــوَرْد هو في التصوّف القديم وحتى في بعض الأحاديث النبوية رمز للحضور الإلهي.

وقـــد نقـــل روزبهـــان البقلي[144] الصوفي حديثاً شريفاً يقول: «**كلما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم وَرْداً قَبَّله ووضعه على عينيه**»[145].

وقد شاهد هذا الصوفي الإيراني الكبير تَجلّي الحضور الإلهي في شكل سَحَاب من الوَرْد الأبيض والأحمر، لامع شاسع، كنُورٍ وَرْدة مُشعشعة وكوَرْد أحمر عظيم.

وفي الحقـــيقة أصبح الوَرْد أحسن عبارة عن جمال الله وجلاله عند المتصوّفين، لأن فيه لطافة ورائحة مُوحية مع الأشواك القاتلة.

وأمـــا حكايـــة العندليب مع الوَرْد، فهي حكاية الإنسان الذي يحب الحُسن المطلـــق الذي يبتليه بأنواع البلايا في طريق الشَّوق إلى أن يموت ويصل إلى محبوبه الـــذي وصَاله محال للعاشق ما دام حياً. وأَحْسَن الشاعر (ويقال إنه السلطان أَكْبَر الهُنْدِسْتَاني) الذي أفاد من هذا السر بالبيت التالي:

شبنم مكَو كه بر ورق كَلْ افتاده آست　　　كآن قطرها زديده بلبل افتاده آست[146]

وقد أشار ابن المعتز لهذا الطرف الجلالي في بيت له:

فلَـــو رآهُ حَبـــيسٌ فوقَ صَومعةٍ،　　　لَقـــالَ: في مثلِ هذا فادخلوا النّارَا[147]

وقـــد آمن شعراء العرب والعجم من المتصوّفين بأن كل وردة فيها عطر من الجنَّة، من «بُسْتان الوصال» كما قال مولانا جلال الدين الرومي[148] الشاعر الأكبر والأفـــصح في وصـــف حُسن البساتين على العموم وجمال الورد على الخصوص. ووصـــفه [بأنه] «شمس مركّبة من أقمار» تَصْفَرُّ في حُضوره كل زهرة في الحديقة مثلما تَفنى الأفكار في حضرة المعشوق.

ونـــشهد في غـــزليات جلال الدين الرومي وتلامذته من الشعراء الإيرانيين والأتـــراك خاصية أخرى وهي نتيجة للتطوّر الأدبي الصوفي، فإن رَأى الشعراء في المـــرحلة[149] الأولى [في] البستان والأزهار رمزاً للمحبوب ورَأوا عَيْنه في النرجس

وجنته في الورد وجسمه الظريف المليح في السَّرو وثوبه الحرير في أوراق الشَّقائق، عند شاهد المتصوّفة في البُستان انعكاس للجمال المطلق كما قال مولانا الرومي:

در باغ هزار شاهد مه رو بود كَلها وبنفشها مُشكين بو بود
وين آب زره اندر جو بود آن جمله بَهَانه بود آن خود أو بود[150]

أما الشعراء من غير المتصوّفين، فقد استحسنوا هذا الأسلوب وأخذوا يستعملون أزهار الحديقة كناية لمحبوبيهم؛ وإن شبّهوا قبل ذلك الوَرْد بالخدود، وبذلك أصبحت الخدود عندهم وَرْد والعُيون نَرْجس، وصارت المحبوبة كلها بُستاناً لطيفاً متحرِّكاً، وأما البُستان الطبيعي، فهو يَستعير ألوانه وأشكاله من حُسن المعشوقة كما قال حافظ الشيرازي في غزل له:

قَد سَرَقَ البَنَفْسَج رائحته من مِسْك شَعرك
وقد أَخَذَ السَّرو ظرافة الحركة من لَطافة مَشيك
وقد وصَّى الصَّبا للياسمين أن يقلّد ابتساماتك
أنت بُستان أمنياتي[151]، مزهرة من الرأس إلى أخمص القدم

وأَحْسَنَ شُعراء إيران في هذا النوع من البَيَان وبلغوا نهاية البلاغة فيه، ونادراً ما استعمل شاعر فارسي أو تركي في العصر[152] الكلاسيكي هذا الطراز، ويعرف كل من استأنس بالأدب الأعجمي أهمية هذه الرموز اللطيفة.

وزِدْ علـى هذه الأزهار التي مضى ذكرها محبَّة العجم لزهرة أخرى ازدادت أهميتها وكَبُرَ دورها بعد انقضاء القرون الوسطى في إيران وفي الدولة العثمانية، وهي زهرة السَّوسَن المعمَّم أو المدعوّة حنون الغزال، واسمها بالفارسية والتركية هو لاَلـه[153]. ونجد وصفها في كثير من الأشعار، وصوَّرُوها في شكل قَدَح أحمر أو أصفر فيه شراب، أو شبَّهوها بشعلة تلتهب بها المروج، أو أخذوها مثالاً للمنافق الأسود القلب. وقد رأى محمد إقبال[154] الشاعر الباكستاني فيها القوة الناشئة التي تَرُوم تحقيق إمكانيات الحياة في نفسها حتى تصبح شعلة العشق الأزلي الأبدي.

أمـا الأتراك، فقد اعتنوا بغرس هذه الزهور الجميلة واستخرجوا منها أشكالاً غريبة وألواناً عجيبة نشاهدها في الكتب القديمة المصوَّرة حتى أن قيمة بَصَلة واحدة

منها بلغت آلافاً من الدنانير. ولم يكتفوا بتربية هذه الأزهار في بساتين قصورهم في استانبول[155] فحسب بل زيَّنوا حيطان جوامعهم وبيوتهم برسوم السَّوسن المعمَّم؛ وقد أفهمتني صديقة تركية لي في مدينة أدرنة[156] المشهورة بمدارسها وجوامعها الكثيرة الزِّينة سبب هذه العادة وقالت إن كلمة «لالَه» عكسها بالحروف العربية كلمة «هلال» وهو عَلَم الإسلام، وإن كلمة «الله» مركبة من عَيْن الحروف، فإذا «لاله» [هي] الإفادة الكاملة للحقيقة الإسلامية[157].

ويقودنا البحث الآن إلى موضوع آخر وهو متعلّق بالفنون الجميلة في البلدان الإسلامية.

إن الشعراء والأدباء بَذَلوا جهدهم في أن يخلّدوا جمال الأزهار بواسطة أبياتهم، ويؤبِّدوا حُسن البساتين في أشعارهم، وسموا كتبهم «كُلستَان» أو «كُلْشَن» [أي] (بستان الورد) أو «بُوستَان» أو «الشقائق النعمانية» أو مثل ذلك وزيَّنوا الأدب الإسلامي بأحلى عِطْر وأبهى لون.

أما الرسَّامون والجَوهرجيون والخطّاطون وسواهم[158] من أهل الصَّنعة والفن، قَطَفوا أزهاراً من الجنَّة العُليا ووضعوها على جُدران الجوامع والمقابر السُّلطانية، ونَسَجَها النَّساجون في قماشهم النفيس، وركَّبها الخطاطون بالحروف العربية حتى أوجدوا الخط المسمى بالكوفي المزهر[159]، أو وضعوا خط النسخ[160] في بعض الأماكن على نوع من المربَّعَات ذات الأزهار والأوراق.

ومن رسوم الزهر والنبات الطبيعية في الصَّنعة الإسلامية تطوَّر ما يسمى [ب] الأرابيسك[161]، وهو جنس من التَّزيينات التي تنبت فيها ورقة من ورقة وزهرة من زهرة على نظام غير طبيعي، وفي حين أن الشِّعْر الفارسي بوصفه للبساتين وصفاً خيالياً رمزياً يتيح لنا التمتُّع بجمال أبهى من جمال البستان الدنيوي، فإن الأرابيسك يجلب نظر الناظر إلى بستان المعرفة المجرّد، فتنصرف عَينه عن الشكل الطبيعي وتقرب من أصل هذه الأشكال ومن خالقها، خالق الأزهار والبساتين والجنَّة[162].

ونجد هذا النوع من التَّزيينات في القاليات الفارسية والتركية ومن الطبيعي أن رؤساء الدولة في بلدان قَلَّت زراعتها وعسر فَلح أرضها أوجدوا لأنفسهم بساتين اصطناعية وهي القاليات، ولا مسوّغ للشك أن القاليات الإيرانية أحسن ما يوجد

ـ عـــ ـه. وفيها الأزهار اللامعة والكؤوس المملوءة بالأزهار في ألوان قَوس قزح، ـ ـ حـ فيهـ أيضاً قاليات فيها رسومات من حدائق حقيقية تجري فيها المياه، فتتحيَّر عمـ ـ ـد لاحظت ظرافتها، فتتساءل أهي أزهار حقيقية أو صناعية، أهذا قالي أم ـــــنـ ـ؟ وكـــثيراً مـــا كان البستان الصناعي ألمع لوناً وأملح شكلاً من نموذجه ـطـبعي.

و ٔمـــا بخـــصوص النسَّاجين، فتأمَّل الحرير المخمل الإيراني والتركي والهندي ـ ـ ستـرق[163] الذي فيه الورد المذهَّب والأشجار المفضَّضة[164]. وإن وقَعَت عينك عـى ـ ٔبسة العثمانية المنسوجة من الحرير الثقيل الموشَّاة بالأزهار الكبيرة تفهم بيت عـــصـ الـــشعراء الأتراك الذي يعبّر فيه عن خَوفه من أن يجرح ظل أشواك الورد ـــ ـوحة في الثوب الحرير جسم معشوقه اللطيف.

ومـــا كانت صَنْعة التَّزيين بأزهارٍ أو بساتين خيالية مقتصرة على الطبقة العليا ـعـى محيط الأغنياء في بلاد الإسلام، بل كان حب الأزهار منتشراً في ما بين غني ـفـــير، فإن لبس الأمير أو الأميرة ثوباً مزهراً من ابريشم صيني وَشَت[165] النساء ـفـــيرات زهـــراً علـــى ثـــيابهن وزيَّنَّ الأغطية في بيوتهن بالأزهار المنقوشة قَدر ـستطاعتهن.

وفي الأناضول[166] نجد صَنْعة اختصَّت بها هذه البلاد وهي ما يسمى في اللغة ـــ ـركية «اويا»[167] وذلك أن تأخذ المرأة التركية خيطاً دقيقاً جداً من الحرير من ـــ ـوان مختلفة بحسب الأزهار التي تريد خياطتها بصنَّارة دَقيقة، وتجعل منها شريطاً ـويـلاً تزيّن به بشنوقها. وهذا الاويا صغير جداً وحجم كل زهرة في الشريط بقدر ـسنَّة على الأكثر، وترى فيه من الورد والفلفل الأحمر بأزهارِه وثَمَرِه واللَّيْلَك[168] ـ ـبنفسج وما خلق الله من الأزهار، تحفظها يد المرأة التركية الماهرة في شريط حرير ـ تفنى زهورها إذا هبَّ الريح الشديدة في برد الشتاء في الأناضول.

وقـــد ســـبق ذكر القاشانيات التي زيَّن بها أرباب الصناعة المسلمين حيطان مساجدهم وجوامعهم وقصورهم وقبورهم، فهناك المثال الأمثل للصَّنْعة التي خلقت ـــساتين غير فانية كما تُشاهد في تركيا وإيران وباكستان وهندستان، وقد انمحت ـثار البساتين الأصلية وبقيت الأبواب والأبراج اللامعة بالقاشانيات؛ وتجد في جدار

جامـــع أَحْـــسن مـــا يكون من الزّنبق الأبيض والأزرق، تحيطها [أشجار] السَّرو الخـــضراء المظلمـــة؛ واختلفت أنواع الأزهار وألوانها، فمثلاً في جنوب الباكستان الغربي أَي في السِّند وملْتَان كانت الأزهار زرقاء، فكل ما ترى هو في لون السماء مـــن أزرق خفـــيف مائي إلى اللازورد المظلم، وأما الأشجار في هذه القاشانيات، فتشبه ظل الأشجار والأزهار إذا وقعت على صحراء بيضاء في وقت الغروب.

وأمـــا في البنجاب[169]، فحافظت الأشجار والأزهار على ألوانها الطبيعية من أخـــضر وأصفر وأزرق ولا تجد الأحمر إلاّ في القرن الثامن عشر. وفي مدينة شيراز[170] في فارس ترى حائط «جامع وَكِيلِي»[171] ممتلئاً بالورد الأحمر الفاتح وهذا اللون لا يـــوجد إلاَّ بعد القرن الثامن عشر؛ وأما في تركيا، فقد أبدع أساتذة التزيين في هذا المـــضمار، فجعلوا الجوامع بساتين صناعية منذ القرن السادس عشر وغرسوا على قاشـــانياتها الشجيرات الزرقاء بأزهار حمراء، وتحصى في حيطان جامع واحد وهو جامـــع رستم باشا[172] زوج ابنة السلطان سليمان القانوني[173] ثلاثة وخمسين نوعاً مـــن الـــسَّوسن المعمّم كلها بالألوان الزرقاء والبيضاء أضيف في بعضها شيء من الأحمر. ومثل ذلك موجود في كثير من المعابد المنشئة في بلدان الدولة العثمانية.

وعندما ينظر المؤمن إلى هذه الرسوم بعد الفراغ من صلاته يتذكَّر الجنَّات التي وَعَـــدَها الله الذين آمنوا. وما أسعد صاحب صَنْعَة تُذَكِّر الإنسان أن للمتَّقين عند ربِّهم جَنَّات نعيم[174].

الهوامش والإحالات

- ـصلت المؤلفة كلمة (جنينة) أو (جنة) على كلمة (روضة) أو (حديقة)، لأنها أكثر الكلمات ـــلفة ذكراً في القرآن الكريم. فقد ذكرت كلمة (روضة) مرة واحدة مفردة، في الآية 15 مـ سورة الروم. ومرة واحدة جمعاً، في الآية 22 من سورة الشورى. وذكرت كلمة (حديقة) ـــلاث مرات فقط في صيغة الجمع: الآية 60 من سورة النحل، والآية 32 من سورة النبأ، و لآية 30 من سورة عبس. أما كلمة (جنة) فقد ذكرت 70 مرة مفردة، وثمان مرات مثناة، و69 مرة جمعاً.

  ِلكـــه، ريْنَـــر ماريا (1875– 1926م): شاعر نمساوي – ألماني، يُعتبر أحد عمالقة الأدب حديث. غلب على شعره التصوّف والتجريد. قضى شطراً من حياته في باريس حيث توثّقت صلته بالنّحات رُودان. أهم دواوينه: «سونيتات إلى أورفيوس» عام 1923. توفي بتسمُّم في ـدم ناشئ عن وخزة شوكة.

2. لمقصود القرن العشرين المنصرم.
3. بـــستان: كلمة فارسية مكونة من (بُو) ومعناها الرائحة الذكية و(ستان) ومعناها مكان؛ وهي تـــدل علـــى حديقة الأزهار ذات الرائحة العطرة. واستعارها الأتراك وأطلقوها على حديقة الخـــضر التـــي يزرع فيها البطيخ والشمام والبقل. أما في العربية، فتختلف معانيها باختلاف الأقالـــيم، فهـــي تدل في بيروت على قطعة من الأرض بها أشجار التوت ويحيط بها سياج، وتـــدل فـــي الجزائر على أشجار السرو. (انظر: مجموعة مؤلفين. (ب.ت). دائرة المعارف الإسلامية. ج3. بيروت. دار الفكر. ص 626–627).
4. أي الدول الإسلامية.
5. يغلـــب على إيران الطبيعة الجبلية إذ يحدّها من جميع جهاتها إلاّ الشرق جبال عالية ويخرج مـــن سلاســـل الجـــبال فـــروع تغشى سطح إيران بخطوط صخرية متشابكة، وقد أدت هذه الظـــروف الطبيعية الوعرة إلى غرس حب النبات لدى الفرس، بل أنه كان مقدساً لديهم منذ زمـــن بعيد، ففي كتاب الفرس (الأفستا– نور الخلود) يعتبر النبات والماء من المقدسات، وقد انعكـــس هـــذا العـــشق للنبات على التحف المعدنية التي ترجع إلى العصر الساساني، فنرى الفـــارس يمسك بفرع النبات تبركاً. وإن كانت الطبيعة الإيرانية، وكذلك المعتقدات القديمة قد أيقظـــت لـــدى الفرس حب النبات، فإن الدين الإسلامي وتصويره للجنّة قد رسّخ لديهم هذا الحب، فبلغ الاهتمام بالحدائق وتنسيقها مبلغاً فائقاً، حتى أنهم قد أطلقوا على حدائقهم المسوّرة اســـم «جنة»». ويرجع إلى الفرس الفضل في تلقين العالم الإسلامي بأسره فن إنشاء البساتين ذات المناظر الطبيعية الخلاّبة، والزروع الجميلة والشجيرات المشذّبة، ويدل على أثر الفرس في فن البساتين بالعالم الإسلامي احتفاظ اللغة العربية بكثير من الكلمات الفارسية التي تتعلّق بالحدائـــق مثل: بستان وفردوس. (انظر: البهنسي، صلاح أحمد. 1990. مناظر الطرب في التصوير الإيراني. ط1. القاهرة. مكتبة مدبولي. ص 117).
6. تقصد المؤلفة أبناء جلدتها من الألمان.
7. كلمة غير واضحة في النص الأصلي.

8. أبـو عبد الله مُشرف بن مُصلّح السعدي الشيرازي أو سَعدي الشيرازي (ت 691هـ/1292م): أحد النجوم اللامعة في سماء الأدب الفارسي، فقد بلغ أعلى الدرجات في اللغة الفارسية، ونثـره، ونظمـه، يعـدان أحسن مثال في السلاسة، والبلاغة. اضطره الغزو المغولي إلى التطواف في الأناضول وسوريا ومصر والعراق ليستقر آخر الأمر في مسقط رأسه شيراز. ولـسعدي ديوان ضخم يُعرف بالكليات جمع بين دفتيه كلّ تراثه، ويضم ست رسائل نثرية. وله قصائد عربية وفارسية وغزليات، وأشعاراً تسمى الطيبات والخبيثات والبدائع والخواتيم، وقطعـاً ومفـردات، ونـوعاً من الشعر يسمى الملمّعات يتكون من أبيات وشطرات فارسية يـتخللُها أبيات وشطرات عربية. أول منظوماته الهامة، والمشهورة هي «بوستان» ويشتمل هـذا الديـوان علـى قصص شعري غاية في الإبداع، وهو في هذا الديوان شاعر، إنساني، ومعلـم أخلاقي، وبعد سنة من إتمامه، ألّف مصنفه الآخر «كلستان» وهو من أجود ما كتب فـي النثر الفارسي، وأسلوبه يطابق اسمه «روضة الورد/حديقة الورد»، ويحتوي القصص، والأمـثلة، والحكـم، والنصائح الأخلاقية، والاجتماعية، كل ذلك بعبارة لطيفة، مجردة عن الـزوائد، والحشو. وكان تأثير سعدي في الناحيتين: الأدبية، والأخلاقية، بعيداً، وعميقاً، ليس فـي إيران وحدها فحسب، بل في العالم أجمع، وقد نقلت آثاره – نظماً، ونثراً – إلى جميع اللغات الحية. وقد احتفل رسمياً في إيران عام 1372هـ. الموافق سنة 1952م. بافتتاح بناء جديـد فخـم لضريح الشيخ كما احتفل بإزاحة الستار عن تمثال من الرخام للسعدي بشيراز. والـضريح بوضـعه الحالـي مقـام في سفح جبل (بهندج) على مساحة قدرها سبعة آلاف وسـبعمائة متـر مربع، يشغل البناء الرئيسي منها 261 متراً مربعاً، وتشغل قاعة الاستقبال 141 متـراً مربعاً، وأنشئ في بقية هذه المساحة حديقة وبستان، ويشتمل بناء الضريح على مكتبة تضم آثار الشاعر وبها مخطوطات قديمة لبعض آثاره.

9. حـافظ، شمس الدين محمد (ت 792هـ/1390م): شاعر فارسي. يلقّب بلسان الغيب. يعتبر أشـهر شـعراء إيران الغنائيين بدون منازَع. ينضَح شعره بحب الإنسانية، وبازدراء للنفاق والـرياء، وبـتوْق صوفيّ إلى الاتحاد بالذات العليا. وقد جمع بذوقه الصوفي اللطيف، بين تعالـيم الفلسفة، وآيات القرآن الكريم. يمتزج الواقع، في مسيرة حياته بالأسطورة. ولكن من الـثابت أنه ولد في شيراز (ولذلك عُرف بـ "حافظ الشيرازي") وأنه سلَخ معظم سِني حياته فـيها، وأنه نشأ في كنف الفاقة والعَوز. وكان حافظ على نقيض سعدي لم يغادر شيراز، إلاّ فـي سـفره القصير إلى ميناء هرمز، ومرة إلى مدينة «يزد»، ثم أنفق حياته في شيراز، إذ حبّبها إليه صفاؤها، وجمالها، وبهاء مصلاها، وشاطئ نهرها «ركن آباد» كما يردد ذلك في شـعره. أمـا ديـوان حافظ، ففيه، قصائد، وغزليات، وقطع، ومثنويات، ورباعيات. ولكنه مـشهور بالغزل، فقد بلغ غزله الصوفي، ذروة الفصاحة والبلاغة في بساطة، ورقّة، وكانت تتـسع عـباراته القـصيرة، للمعاني الكبيرة، اللطيفة، وفضلاً عما له من الرونق والبساطة والإيجـاز، فـإن روحه الصافية كانت تتجلى في كل بيت من أبياته. وكان حافظ بعيداً عن الـزينة الـزائفة التي كان يتظاهر بها أهل الطرق والمذاهب. فقد وبّخ في أشعاره المرائين، والمشايخ، والزهاد، والمتصوفة. ترجمت آثاره إلى كثير من اللغات العالمية.

10. كلـستان – Golestan؛ اسـم مكـوّن من كلمتين: الأولى (كل – Gol) أي الورد، والثانية (ستان – Stan) وهي اللاحقة التي تفيد معنى المكان. فيكون معناه «منبَت الورد» أو «حديقة الورد» أو «روضة الورد» أو «جنة الورد». وهو أحد كتابيْ سَعدي الأشهر.

... حافظ الشيرازي.

- في الأصل ...

- سورة ق ...

- سورة الرعد: 4.

- إشارة إلى قوله تعالى: {في جنة عالية * قطوفها دانية}(سورة الحاقة: 22 – 23).

- هندستان: هي منطقة باكستان وشمال الهند.

- إشارة المؤلفة إلـــى قوله تعالى: {يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم الـــيوم جـــنات تجـــري مـــن تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم}(سورة الحديد: 12).

- سورة التغابن: 1.

- في الأصل: «الدايم».

- ذو النون المصري، أبـــو الفيض ثوبان بن إبراهيم (ت 246هـ/860م): محدّث وشاعر صوفي مـــصري مـــن أصل نوبي. نشأ في أخميم، وتوفى بالجيزة. قال عنه المستشرق الإنجليزي ريـــنولد نيكلـــسون: «هو أحق الرجال الصوفية على الإطلاق أن ينسب إليه أنه واضع أســـس التـــصوف». كـــان عالمـــاً بعلوم الشريعة وبعلوم الحقيقة، وبعلوم الصنعة (الكيمياء). يعـــد أول مـــن تكلم في مصر بالأحوال ومقامات أهل الولاية وأول من عرّف التوحيد بالمعنى الصوفي. قيل في اسمه ذي النون لأنه امتُحن في دينه مثل النبي يونس (ع)، وأوذي كثيـــراً لكـــونه أتـــى بعلم جديد هو علم التصوف. ولقّبوه بأبي الفيض لأنه كانت له مواهب فيضية. وينفرد ذو النون بغرامة للطبيعة وله فيها مقالات كثيرة.

- انظر: الحفني، عبد المنعم. 2003. الموسوعة الصوفية. ط1. القاهرة. مكتبة مدبولي. ص 223.

- يونس إمره/إيمريه Yunus Emre (ت حوالي 843هـ/1439م): شاعر ومتصوّف عثماني. استخدم في أغلب أشعاره ألقاباً مثل: قول يونس، عاشق يونس، مسكين يونس، يونس إيمريه (يعني (يونس العاشق). يعتبر أقدم ممثلي الأدب التركي «العثماني». يكتنف الغموض حياته حيث يتعذّر التمييز بين ما هو حقيقي، من أخباره، وما هو خرافي. وأكثر شعره يدور على محـــوريْ الحب الإلهي وقَدَر الإنسان ومصيره؛ وقد كان لهذا الشعر أثرٌ بعيد في المتصوفين الأتراك الذين تعاقبوا من بعده وفي شعراء النهضة الوطنية التركية بعد عام 1910.

- ترجمتها: تتدفق أنهار الجنة منشدة.. الله الله.

انظـــر: Emre‚Yunus. 1989. The drop that became the sea. Boston&London. Shambhala. P...

- وترجمة أخرى:

ها هي أنهارُ الجنة تَصب مُناديةً يَا الله

خرجت بَلابل الإسلام مُغرّدة يَا الله

تهتزّ أغصَانُ أشجارِ الجنّة قارئة القرآن

تفوحُ أزهارُ بساتينِ الجنةِ وتَنثُرُ اسم الله.

انظر: المصدر السابق.

25. عملت المؤلفة في الفترة بين (1954- 1959م) بالتدريس في (كلية الإلهيات) في أنقرة بتركيا؛ حيث قامت بتدريس علم مقارنة الأديان باللغة التركية.
26. مركز أفندي: لم أعثر على ترجمته في كتب التراجم والتصوف.
27. خَانْقَاه؛ جمع خَوَانِق: لفظة فارسية معناها البيت. وهي بناء ديني أقيم على نظام الصحن المحاط بأواوين أربعة، بلا مئذنة ولا منبر. يضمّ مسجداً لا تقام فيه صلاة الجمعة ويلحق به ضريح ومدرسة وسَبيل تدرَّس فيه العلوم الدينية كالحديث والشريعة والفقه والتفسير من وجهة نظر المذاهب السنية الأربعة.
28. في الأصل: «استقره».
29. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت 346هـ/957م): مؤرخ وجغرافي عربي. ولد ببغداد وتوفي في الفسطاط بمصر. قام برحلات إلى الهند والشرق الأوسط وإفريقيا. يُعتبر أول كاتب عربي جمع بين التاريخ والجغرافيا العلمية في مصنف واحد هو كتابه الكبير «مروج الذهب ومعادن الجوهر». ومن آثاره أيضاً: «التنبيه والإشراف» و«أخبار الزمان ومن أباده الحَدثان».
30. المقْريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ/1441م): مؤرخ عربي مصري. ولد بالقاهرة وتوفي فيها. أشهر مصنفاته: «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» المعروف بـ «خطط المقريزي» وهو مرجع أساسي لدراسة جغرافية مصر وتاريخها وآثارها.
31. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ/1505م): عالم موسوعي مصري. لم يترك موضوعاً من موضوعات المعرفة إلاّ ألَّف فيه. وقد بلغ عدد مصنَّفاته قرابة ثلاثمائة على الأقل، من أشهرها «الإتقان في علوم القرآن»، و«حُسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة».
32. المُستكفي أو المستكفي بالله (ت 338هـ/949م): الخليفة العباسي الثاني والعشرون. كان مُستضعفاً يعوزه العزم. دام حكمه سنة وأربعة شهور ليس غير. وفي أيامه دخل معزّ الدولة البُويهي بغداد، وسرعانَ ما خلعه عن العرش وألقى به في غيابة السجن، فبقي فيه إلى أن مات.
33. بَاطِرُنْجي: قرية قرب القُفْص من نواحي بغداد. (الحموي، شهاب الدين ياقوت. 1955. معجم البلدان. ج1. بيروت. دار صادر ودار بيروت. ص 324).
34. أبو نُواس، الحسن بن هانئ (ت 198هـ/814م): شاعر عربي عباسي. ولد بالأهواز ومات ببغداد. اتصل بخلفاء بني العباس، وبالخليفة الأمين بخاصة، ومدحهم ونادمهم. دعا إلى استبدال وصف الحياة الحضرية بدلاً من البكاء على الأطلال ووصف الحياة البدوية.
35. قارن: ديوان أبي نواس الحسن بن هاني الحكمي. ط1. م3. تحقيق إيفالد فاغنر. بيروت. دار المدى. 2003. ص 415 - 416.
36. لم أعثر على مصدر هذه الواقعة.
37. القاهر أو القاهر بالله، محمد بن أحمد (ت 339هـ/950م): الخليفة العباسي التاسع عشر. خلعه الجند وسَمَلوا عينيه وسجنوه ثم أطلقوا سراحه. ذكروا أنه كان أول خليفة سُملت عيناه.
38. لم أعثر على نص الواقعة.

39. الأقحــوان؛ ورد ربيعـــي صيفي يعيش حتى أواخر الصيف. وله ألوان عديدة منها الأبيض والأصــفر والبرتقالـــي وهـــو أشهرها. وله ساق قصيرة وزهرته منوّرة تبعث على السكينة والهدوء وتدعو للتأمل والفرح. وهو ورد الزينة المنــزلية الثمينة وورد الباقات. له منــزلة لا بأس بها بين الناس وذلك لعطائه الغزير إذ ينبت بكثرة ووفرة. تعامل الإنسان معه وأدخله في يومياته، فكان بارزاً في الحياة الاجتماعية وذلك لجماليته المفرطة بالعذوبة والنداوة.

40. الياسمين؛ ورد يفتح في أوائل الربيع ولا يوجد في البراري. بل يزرع في الحدائق والبساتين والأحواض والمساكب. وله أنواع عدة منها: الياسمين الأبيض والياسمين الأصفر والياسمين الأبــيض البلدي. وهو أشكال وأحجام عدة. وله رائحة عبقة عدا الأصفر إذ أنه لا رائحة له مطلقــاً. ولبعض أنواعه أزهار متداخلة الألوان إذ يمتزج البني مع الأبيض مع بعض النقاط الــسود. ومــنها نــوع شجري يطول ويكبر حتى يصل إلى ارتفاع لا بأس به وهو في كل مــسمياته يُــستعمل للزينة والأناقة والعطور. الياسمين تماشى مع الإنسان وتداخل في صميم حياته، فدفعه إلى السير معه وأغنى مسيرته واستفاد منه ليكمل صورة ما أو ليخلد رمزاً في وجدانه الجمعي وليعينه أحياناً في سبر أغوار حالة تمر عليه. وهو ورد الحب والجمال وورد التأمل والرِّقة يهدى في المناسبات الفرحة إن في لقاء أو جلسة حب أو في بهجة خاصة.

41. الــصَّنَوْبَري، أحمــد بن محمد الضبي الحلبي (ت 334هـ/946م): شاعر غلب على شعره وصــف الرياض والأزهار. دعي بالصنوبري نسبة إلى جده الذي كان صاحب "دار للحكمة" مــن دور المأمون، فجرت محاورة تفوّق فيها الجد، فقال له المأمون: إنك صنوبري الشكل، يعني الذكاء وحدة المزاج، والصنوبري من شعراء سيف الدولة الحمداني.

42. مطلع قصيدة الصنوبري وهو:

يـــا ريـــم قومــــي الـــيوم ويحــــك	**فانظــري ما للرُّبى قد أظهرت إعجابها**
كانـــت محاســـن وجههـــا محجــــوبة	**فـــالآن قــد كــشف الــربيع حجابهـــا**

قــارن: الــضبي، أحمد محمد بن الحسن. 1998. ديوان الصنوبري. تحقيق: إحسان عباس. ط1. بيروت. دار صادر. ص 389-390.

43. في الأصل: «أرسلت».

44. المقصود هو جامع التواريخ المسمى بكتاب «نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة» للقاضي أبو علي المحسن بن أبي القاسم التنوخي (ت 384هـ/994م).

45. قــارن: تــيمور باشا، أحمد. 1961. الموسوعة التيمورية: من كنوز العرب في اللغة والفن والأدب. ط1. القاهرة. لجنة نشر المؤلفات التيمورية. ص 96.

46. المرجع السابق.

47. في الأصل: «سياح».

48. تيمور باشا، أحمد. الموسوعة التيمورية. مرجع سابق. ص97.

49. في الأصل: «علی».

50. في الأصل: «اختصت».

51. خمارويــه بن أحمد بن طولون، أبو الجيش (ت 282هـ/895م): السلطان الثاني في الدولة الطولونــية بمصر. ولد بسامراء، ونشأ في مصر. كان ميّالاً للسِّلم، ولهذا كادت الشام تضيع

مــنه فــي أوائل عهده ويأخذها منه الخليفة العباسي. توطدت علاقته مع الخليفة المعتضد بن الموفق بعد أن تزوج الخليفة العباسي قطر الندى ابنة خمارويه.

52. المُعْـتَمد أو المعتمد على الله (ت 279هـ/892م): الخليفة العباسي الخامس عشر. اضطرب أمر الدولة في مستهل عهده بسبب من غَلَبة الموالي عليها وتحكّمهم في شؤونها. فلم يكن من أخــيه الموفَّــق (وكــان ولياً لعهده) إلاّ أن استبدّ بالحُكم مقلصاً سلطة المعتمد إلى أبعد حد، ومعيداً إلى الدولة ما افتقدته من استقرار.

53. المُعتَـضد أو المعتضد بالله (ت 289هـ/902م): الخليفة العباسي السادس عشر. أقام العدل، وأصلح النظام المالي، وأعاد تنظيم الإدارة، وقرَّب أهل العلم والدين، مما حمل بعض قُدامى المؤرخــين علــى القول: «قامت الدولة بأبي العباس وجُدِّدَت بأبي العباس» يقصدون السَّفاح والمعتضد.

54. الإردَبّ: مكيال يسع أربعة وعشرين صاعاً، أو ست ويبات.

55. قــارن: المقريزي، أحمد بن علي. 1270هـ. خطط المقريزي. ج2. القاهرة. دار التحرير للطبع والنشر (عن طبعة بولاق). ص 269.

56. قانصُوه الغُوري (ت 922هـ/1516م): سلطان المماليك البرجيِّين. جركسي الأصل. يُعرف بـــ "الملك الأشرف". قاتله السلطان سليم الأول في "مرج دابق" قرب حلب، فانهزم عسكر الغوري ومات قانصوه قهراً، فيما ذُكر. له ديوان شعر.

57. ابن إياس، محمد بن أحمد (ت 930هـ/1524م): مؤرخ عربي مصري. يُعتبر مؤرِّخ عصر المماليك. أهم آثاره: كتاب «بدائع الزهور في وقائع الدهور» الذي يُعرف عادة بـــ «تاريخ ابن إياس»، و«عقود الجمان في وقائع الأزمان»، و«نَشْق الأزهار في عجائب الأقطار».

58. في الأصل: «يجلس على».

59. في الأصل: «مسموعة».

60. الهَزَار: طائر حسن الصوت. وهو اسم فارسي معرب.

61. الفَاخِـتَةُ: ضــرب من الحمام المُطوّق إذا مشى توسَّع في مشيته وباعَدَ بين جناحيه وإبطيه وتمايَل. جمعه فواخت.

62. قارن: الحنفي، محمد بن أحمد بن إياس. 1960. بدائع الزهور في وقائع الدهور. ط2. جزء 4. تحقيق: محمد مصطفى. القاهرة. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. ص 172.

63. بابر (بابير، بَبُر) (1483–1530م): هو لَقَب ظهير الدين محمد، مؤسس الأسرة المغولية في الهند. ينحدر نسبه من تيمورلنك (عن طريق أبيه) وجهانكيز خان (عن طريق أمه). كان منذ 1497 أميــراً علــى سمرقند (إمارة فرغانه). استولى سنة 1504 علي كابل، ثم زحف من هــناك علــى الهند، بعدما استعداه بعض أمراءها على حاكمهم. فَتَح قَنْدهار عام 1522، ثم احــتل مدينتيْ دلهي وآكرا عام 1526 وأنشأ الإمبراطورية المغولية في الهند. عُرف بإجادته الشعر والنثر، وقد ترجمت مذكراته إلى الإنجليزية 1921–1922.

64. أولــى الحدائــق التــي بناها بابر كانت (رام باغ) على ضفاف نهر جامونا. وهي من أقدم الحدائق في الهند التي لا تزال موجودة إلى يومنا هذا وقد اشتق أسمها من لغة الماراتا. يقول بابر في مذكراته «بابر ناما» متحدثاً عن حديقته: «بعد قدومي إلى أغرا بوقت قصير، مررت بنهر جامونا واخترت بقعة مناسبة لتكون حديقة. كان المكان بأكمله قبيحاً ومقرفاً، لدرجة أني

لم أجد بجانب النهر كله منطقة أفضل منها في أغرا. كنت مضطراً لاختيار هذه المنطقة والعمل على الحصول على أفضل ما يمكن منها. بدأت بحفر بئر ضخم ثم شرعت ببناء خزان كبير للمياه قبل إحاطة المنطقة بسور وبناء قاعة ضخمة للمتفرجين أمام القصر الحجري. بعدها أنهيت بناء أجنحة السكن الخاصة ثم الحمامات وبعدها الحدائق التي كانت تتصف بقدر كبير من النمطية. في كل ركن منها زرعت مساكب مناسبة له وورودا في أحواض متناظرة مع بعضها. والهنود الذين لم يسبق لهم أن رأوا شيئاً مثل هذا أطلقوا اسم كابل على الجانب الذي بنيت فيه القصور». هذا الوصف المطوّل لتصميم الحديقة في أغرا يوضح الأسلوب الذي ادخله بابر على حدائقهم.

65. آكرا أو أغرا – Agra.

66. منذ أقدم العصور كانت الأزهار والنباتات والأشجار تحظى بالإعجاب والرعاية الكبيرين في الهند. ويتضمن الأديان السنسكريتي والبوذي إشارات كثيرة للحدائق. غير أن أول الأعمال الموثّقة عن فنون الحدائق لم تظهر في الهند إلاّ في العهد الإسلامي، حيث أحضر الحكّام المسلمون تقنيات زراعتها من وسط آسيا وفارس لتصبح بعد ذلك فنوناً أصيلة في البلاد. ثم تطوّرت باستخدام الأساليب المبتكرة وبلغت أوج تقدمها في حدائق كشمير التي بناها الإمبراطور المغولي جهانجير وزوجته الإمبراطورة نور جيهان. تذكر المراجع التاريخية أن البلاط المغولي طراً قد انتقل في رحلته الموسمية هذه ما لا يقل عن ثلاث عشرة مرة إلى كشمير تلك العاصمة الصيفية عابراً المعابر الجبلية المغطاة بالثلوج في بير بانجال على الفيلة وهو ما كان مغامرة محفوفة بالمخاطر في ذلك الزمان. وكان وجهاء البلاط الآخرون يعتزلون في حدائقهم الخاصة في التلال المجاورة هرباً من حرارة الصيف الخانقة في المدينة.

67. من بين حدائق المغول، تبرز حدائق «شاليمار» التي توصف بأنها خلاصة إبداع الأباطرة المغول، بممراتها الجميلة والأجنحة الرخامية والخزانات وغيرها، وقد عاشت المشغولات المستخدم فيها الورق الملوك على أسقف الجناح الرئيسي للحديقة لما يقرب من 400 عام. تقع حدائق شاليمار على الجانب الأقصى من بحيرة دال وقد سميت على اسم قرية تجاورها. وكان الإمبراطور جهانجير قد وضع مخططها عام 1619. وتتخلّل الحديقة سواقي الماء وتظلّل ممراتها أشجار التشينار الضخمة وكانت مقر إقامة صيفي لأباطرة المغول، والحديقة موزعة على أجزاء ثلاثة: حديقة خارجية وحديقة وسطى للإمبراطور حصراً وثالثة للإمبراطورة ورفيقاتها. تنتهي الخارجية منها عند "ديوان عام". وفيها عرش رخامي أسود صغير لا يزال يشرف على شلال مياه. وكانت الحديقة تشرع أبوابها أمام العامة مراراً لتمكينهم من رؤية الإمبراطور المتربع على عرشه في قاعة للمتفرجين من الرعية. أما الحديقة الثانية، ففيها "ديوان خاص" وهي مقصورة على الخاصة من الحضور في وسط الحديقة. وتضم الثالثة فناءً من الرخام الأسود بنته نور جيهان للنسوة. وتعد حدائق شاليمار مكاناً محبباً لقضاء شهر العسل بالنسبة للهنود قبل اندلاع الحرب الأهلية عام 1980.

68. في الأصل: «جدر».

69. القاشانيات: من أنواع الخزف النقي. يُنسب إلى مدينة قاشان الفارسية.

70. في الأصل: «عكوس».

71. حين زار الفنان والكاتب والشاعر البريطاني إدوارد لير (1812- 1888) «تاج محل» لأول مـرة، صاح من فرط الدهشة والانبهار بهذا المعلم التارخي الفني الرائع «من الآن فصاعداً يجـب أن ينقـسم سكان الأرض إلى فئتين، أولئك الذين شاهدوا تاج محل، وأولئك الذين لم يـشاهدوه»». وتـاج محل هو التحفة التاريخية وأحد أجمل مباني العالم، حيث كان أمر ببنائه الإمبراطور المغولي المسلم شاه جَهان تخليداً لذكرى زوجته وليكون البناية مقبرة لها. ويشار إلـى أن الإمبـراطور شـاه جهان أمر ببناء تاج محل خلال 18 سنة من العمل المتواصل (1631- 1648م). وتقـول إحدى أشهر الأساطير التي ظلت دارجة للقرون الثلاثة الماضية أن بـناء هـذا الـصرح التاريخـي فـي بلدة أغرا شمال نيودلهي عاصمة الهند (حالياً) أن الإمبـراطور شاه جهان عقد العزم على الحؤول من دون أن ينسخ أي ملك آخر عمله الفني البديع، وبالتالي قام بتقطيع أيدي بعض الحرفيين الذين وضعوا مخطط تاج محل وساهموا في عمارتـه. ومـن غـريب مخالفات القدر، أن السلطان المغولي لم يهنأ بالعرش والصولجان والـسطوة والـسلطة حتى يرى إنجازه التاريخي الذي أمر ببنائه وهو على كتف السلطة، إذ خلعه ابنه عن العرش وأودعه السجن على بعد بضعة كيلومترات عن القصر الملكي المسمى «الأحمـر القوي» الذي كان يراقب منه تاج محل مستخدماً مرآة صغيرة معلقة على الشرفة. ويقـع تاج محل في منطقة تغص بآثار المغول من قصور وقلاع في مدينتي أغرا وفتحبور سيكري اللتين ظلتا عاصمة المغول لسنوات طويلة قبل أن ينقلوا حاضرتهم إلى دلهي، وكان الإنجليز قد أرادوا نقل تاج محل بعد تجزئته إلى قطع إلى إنجلترا ليعيدوا تركيبه مرة أخرى هـناك إلاّ أنهـم أقلعوا عن الفكرة حين أشار عليهم الخبراء أن إعادة التركيب قد لا تتحقق وبالتالي سيضيع تاج محل نهائياً.

72. ممتاز محل (1594-1631م): هي حفيدة اعتماد الدولة ميرزا غياث بيك (والد الإمبراطورة نـور جيهان)، رئيس وزراء الإمبراطور المغولي الرابع جهانكير، وابنة خواجة أبو الحسن الـذي كـان يعرف في بلاط جهانكير بلقب يامن الدولة آصف خان- رجل ذو طلعة مهيبة ويحظى باحترام كبير. هكذا كانت نشأة (أرجُمون بانو بيغوم)، التي عرفت لاحقاً باسم ممتاز محل، ابنة عائلة من أشراف القوم. ولدت ممتاز عام 1594. ولما كانت تتحلى به من جمال أملـت عائلـتها أن يكتب لها المجد مثل عمتها نور جيهان وأن تحوز على مكانة رفيعة في بلاط إمبراطور الهند.

73. شاه جَهان (1592-1666م): إمبراطور مغولي من أباطرة الهند. ابن الإمبراطور جهانكير. بنـى "تاج محل" وعدداً من مساجد آكرا ودلهي. اعتلّت صحته عام 1657، فنشب الصراع على خلافته بين أولاده الأربعة. وفي غمرة هذا الصراع احتجزه واحد من أولاده هؤلاء في إحدى القلاع عام 1658 حتى وفاته.

74. جهانغير أو جهانكير أو جهانجيرِ (1569-1627م): رابع أباطرة الأسرة المغولية في الهند. ابـن الإمبراطور أكبر. كان سكيراً، مدمناً الأفيون، ولكنه تمتّع بحسٍّ جماليٍّ مُرهَفْ، فشجَّع فنَّ الرسم تشجيعاً كبيراً. وقد عُرف أيضاً برعايته للثقافة الفارسية في الهند المغولية.

75. بَاغ (فارسية): بستان أو حديقة.

76. مُرافق ودليل الدكتورة شيمّل في إحدى رحلاتها إلى تلك المنطقة.

77. زيب النساء الهندية (ت 1701م): هي زيب النساء بيكم (أي خاتون = سيدة) ابنة الشاه محيي

الـــدين أورنك زيب عالمكير الهندي، من الملوك وسلالة التيمورية. وأمها كانت دلرس بنت شـــاهنواز خان الصفوي. كانت حافظة لكتاب الله مفسرة له واسم تفسيرها (زيب التفاسير). كما كانت عالمة أديبة ولم تتزوج حتى ماتت وكانت تشاعر الشعراء.

78. في الأصل: «فسيفيسا».

79. الأصيص: وعاء من الفخار غالباً، تستنبت فيه النباتات. جمعه: أصائص، وأُصُص.

80. في الأصل: «الإسلاميون».

81. سورة الرحمن: 26.

82. ابن المُعتَز، عبد الله (ت 296هـ/908م): شاعر وخليفة عباسي. تولّى الخلافة يوماً وليلة، ثم خُلِـع وقُـتل. عُـرف في شعره بالنــزوع إلى الصناعة، وبحُسن الاختراع، وإجادة التشبيه والاستعارة. من أشهر آثاره: «كتاب البديع»، وكتاب «أشعار الملوك».

83. الخالـــدي، أبـــو بكر محمد بن هاشم بن وعلة (ت 380هـ/990م): شاعر وأديب، من أهل البصرة. اشتهر وأخوه (سعيد) بالخالديين. وكانا من خواص سيف الدولة الحمداني. وولاّهما خِزانة كتبه. لهما تآليف في الأدب. وكانا يشتركان في نظم الأبيات أو القصيدة، فتنسب إليهما معاً.

84. كُشاجم، محمود بن الحسين (ت 360هـ/970م): أديب ومنشئ عربي. من أهل "الرَّمْلة" في فلـسطين، ومـــن أصـــل فارسي. من آثاره: «أدب النديم»، وديوان شعر. قيل إن "كُشاجِم" مـــنحوت مـــن أوائـــل حـــروف العلـــوم التي أتقنها، وهي الكتابة والشعر والإنشاء والجدل والمنطق.

85. قـــارن: الشوكاني، محمد بن علي. 1392هـ. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة. بيروت. المكتب الإسلامي. ص 196.

86. لم أعثر على بيت الشعر المذكور أو قائله.

87. لم أعثر على مصدر النص.

88. كـــان شعار الدولة العباسية والتي امتد حكمها من عام 750 إلى عام 1258م الراية السوداء؛ حـــيث كـــان اللون الأسود عند العباسيين رمزا للانتصار على الأعداء وكان لهم علم يسمى الظـــل وراية تسمى السحاب، إضافة إلى ذلك كانت للعباسيين أعلام أخرى مفضضة ومذهبة لفترة امتدت حتى عام 813م وذلك أيام خلافة المأمون وألغيت بعد ذلك وأعيد استعمال اللون الأسود حتى نهاية الحكم العباسي على عهد المستعصم آخر خلفاء هذه الدولة. وفي أكثر من روايـــة كان يذكر بأن العباسيين كانوا يرتدون ثيابا سوداء، فلهذه لا نستغرب تمسكهم باللون الأسود.

89. المُعـــتَمد أو المعـــتمد بـــن عَـــبّاد (ت 488هـ/1095م): آخر ملوك العبّاديين، في اشبيلية بالأنـــدلس. وصفه بعض مترجميه قائلاً إنه «كان أَوْحَد أفراد الدهر شجاعة وحزماً وضبطاً للأمـــور». جعل من اشبيلية أحد مراكز الثقافة الإسلامية في عصره، وكان هو نفسه شاعراً وكاتباً مرموقاً.

90. لـــم أعثـــر علـــى هذين البيتين في ديوان المعتمد بن عباد، ط4. القاهرة. مطبعة دار الكتب والوثائق القومية. 2002.

91. لم أعثر على بيت الشعر المذكور أو قائله.

92. زهــرة النيلوفر نبتة هندية الأصل تنبت من تلقاء نفسها في الماء العذب وتواجه هذه الزهرة مطلــع الــشمس وتــزداد تفتحاً كلما ازداد سطوعها، وحين يأتي الغروب تأخذ أوراقها في الانــضمام حتــى تغطس في الماء، والعجيب أن طائراً لطيفاً يتدانى منها عند مهبط الشمس فتنــضم أوراقهــا عليه وتغيب به في الماء، وتظل كذلك طوال الليل فإذا حل الصباح طفت الزهــرة علــى وجه الماء، وتفتحت منها الأوراق وانطلق منها الطائر الذي غمرته بالحنان الليل كله.

93. في الأصل: «الجاذب».

94. لم أعثر على أبيات الشعر المذكورة أو قائلها.

95. الــشقائق أو شقائق النعمان؛ زهر برّي يظهر ويتفتح في منتصف الربيع ويعيش حتى أوائل الــصيف. ينبت في الحقول والبراري ولا رائحة له. ويتميز بلون ساحر وهو الأحمر الناري الذي يوحي بروعة وإحساس خارقين بالسَّمر والانعتاق في الفرح والحب ويظهر على شكل أضــمومات وتجمعــات في أجمات كبيرة وعلى مسافات واسعة وخاصة في الأرض البور المــشبعة بالمطر. وهو لم يهجَّن إلى الآن ولم يُستنبت في حدائق خاصة. وله أسماء مختلفة حسب البيئة المحيطة. يمكن أن نستنتج معان عدة لهذه الزهرة، أولها الانفعال الذي تثيره لدى الناظر حيث تهيج في الإنسان رغبات شتى بعضها مكبوت وبعضها ظاهر وبعد هذا يبدأ فعله في العاطفة وتأجّجها بحرارة ويندفع الإنسان أحياناً إلى حمل زهرات عدة منه أو وصفها في مكان ظاهر بيّن. ولون الشقائق الأحمر؛ هو لون الحب الأول لدى العذارى والشباب، فالحب هــنا ثورة وحياة؛ والحياة هي إحدى دلالاته التراثية أو الأسطورية كما نستشفها من علاقاته الأســطورية، فهــو بحــد ذاتــه مثير للحب وشاهد عليه ويحمل إشارته، وهو ورد حيوي، فالحركة سمة رئيسة من سماته.

96. في الأصل: «وحواليها».

97. قــارن: ديوان كشاجم. تحقيق: خيرية محمد محفوظ. بغداد. مطبعة دار الجمهورية. 1970. ص 98.

98. ابن الزّقاق، علي بن عطية بن مطرف اللّخمي البلَنسي (ت 528هــ/1134م): شاعر عربي أندلسي، عُرف بشاعر الطبيعة. له غزل رقيق ومدائح اشتهر بها. توفي دون الأربعين.

99. قــارن: ديــوان ابــن الزقاق البلنسي. (ب.ت). تحقيق: عفيفة محمود ديراني. بيروت. دار الثقافة. ص 125.

100. البحتــري، الوليد بن عُبيد الله (ت 284هــ/897م): شاعر عربي. يعتبر أحد أكبر الشعراء فــي العــصر العباسي. تتلمذ على أبي تمام، ولكنه لم يذهب مذهبه. اشتهر بحُسن الديباجة وروعة الوصف. شبَّه النقّاد شعره بسلاسل الذهب.

101. قارن: ديوان البحتري. (ب.ت). تحقيق: عمر فاروق الطباع. مجلد 1. بيروت. شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم. ص 362.

102. ترجمتها: وَقَع النَّدى على الشّقَائق وقْتَ الصَّبَاح، كأنهّا خُدودٌ ورديةٌ قَد عَرقت.

103. النرجس زهر الربيع المبكر إذ يبدأ تفتحه مع أواخر يناير ويستمر حتى أوائل الصيف، فهو ربيعي حصراً. استنبته الإنسان منذ القديم وزرعه في الجنائن والأصص ولا يزال ينبت في البراري وخاصة في بعض المناطق الباردة. وهذه الزهرة نوعان المطبق المكمَّم والعادي،

والمطـــبق أجمـــل من العادي. أما ألوانها، فالأصفر على الغالب واللون الثاني هو الأبيض على الأصفر. رائحتها عبقة قوية تنتشر لمسافات بعيدة وعبيرها طيب يأخذ بمجامع القلوب. ولـــذلك تُحَـــب لـــرائحتها أكثر من منظرها. فهي زهرة الحب بلا منازع. ورائحتها تدوم طـــويلاً، لـــذا تتـــزيّن البيوت بباقات لتزويق المنـــزل ولنشر الرائحة العطرة. دخلت هذه الزهـــرة حياتنا، فجمّلتها وأكملتها لعلاقاتها الحسية والمعنوية، فهي للحب والفرح والخصب وللتأمل واللقاء والأشواق، تنقلنا خلال رحلة تواجدها إلى عالم نقي حي من الأحلام والرؤى الفياضـــة. يطلـــق الأندلسيون اسم بَهار أو البَهار على النرجس، ويَرد النرجس في لسانهم أيضاً؛ وهو بَهارُ البر.

104. أكثر العرب من تشبيه النرجس بالعين، في المشرق وفي الأندلس؛ واشتهرت أبيات الوأواء الدمشقي:

فأمطـــرتْ لؤلـــؤاً مـــن نـــرجس وسَقَت ... ورداً وعـــضَّت علـــى العـــنّاب بالبَـــرَدِ

وقال أحمد بن فرج الجَيَّاني:

للـــــروضِ حُـــسن فقِـــف علـــيه ... واصـــرف عِـــنان الهـــوى إلـــيه

أمـــا تـــرى نرجـــساً نـــضيراً ... يدنـــــو إلـــــيه بمقلتـــــيه؟

105. كـسرى أنوشـــروان (ت 579م): أشهر ملوك الفرس الساسانيون. دانت له جزيرة العرب، وأجزاء من أرمينيا والقوقاز. روّج التجارة، وشجَّع التعليم، وشيَّد المدن.

106. لم أعثر على مصدر النص.

107. قـــارن: الـــشوكاني، محمـــد بن علي. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة. مصدر سابق. ص 196.

108. لم أعثر على بيت الشعر المذكور أو قائله.

109. قارن: ديوان ابن المعتز، 1995. ط1. بيروت. دار الجيل. ص 360.

110. في الأصل: «دور».

111. قارن: ديوان الصنوبري. مصدر سابق. ص 161.

112. قارن: ديوان الصنوبري. مصدر سابق. ص 140.

113. ترجمتها: العين النعسانة.

114. ترجمتها: العين النشوانة.

115. قارن: ديوان كشاجم. مصدر سابق. ص 62.

116. لم أستطع التعرف على هذه الشخصية.

117. للـــشاعر الأندلـــسي ابـــن الفرج الجَيَّاني (366هـــ) قصيدة ناقض فيها قصيدة الشاعر ابن الرومي (ت 283هـــ) المشهورة، وهي قصيدة غير مطوّلة فضّل فيها النرجس على الورد، واثـــار بـــذلك ردوداً كثيرة عليه في المشرق وفي الأندلس؛ وكان أكثر الأندلسيين يفضّلون الـــورد، ولكنهم لا يُزرون بالنرجس. ولم يسلكوا سبيل ابن الرومي الذي نصر النرجس ثم وصف الورد وصفاً قبيحاً.

118. يقـــصد أن النرجس أصفر؛ وعينه - على هذا - مصفرّة، وهل تكون الصُفرة في العين إلاّ مع داء اليرقان. قارن: ديوان الصنوبري. مصدر سابق. ص 448.

119. إن أوصـــاف الـــورود تتجلـــى فـــي الإنسان وتعبر عن حالاته ووجداته. فالأغنية الشعبية المطعّمة بالأزهار حملت هذه المعاني، والمثّل ثبّتها في الذاكرة الجمعية، والتطريز نقش بها الــثوب وحـــلاّه، وحفـــل الطين ،الفخّار بهذه المعاني، وأيضاً الزجاج والصلصال، فالورد يحزن حزن العاشق المتيّم ويبكي بكاءه ويفرح فرحه، والتراث الشعبي في العالم كافة أنْسَنه وأنطَقَـــه، فتكلّم وكلّم كما يتكلم الإنسان، وأرسل وراسل، وحاور، ولم يترك كلمة غلاً قالها من الهمس حتى الصراخ.

120. لم اعثر على مصدر النص أو قائله.

121. صـــاعد الأندلسي، أبو القاسم صاعد بن أحمد (ت 462هـــ/1070م): مؤرخ عربي أندلسي ولي قضاء طليطلة حتى وفاته. من أشهرِ آثاره: «طبقات الأمم»، و«جوامع أخبار الأمم من العرب والعجم»، و«مقالات أهل المِلل والنحَل».

122. قارن: تيمور باشا، أحمد. الموسوعة التيمورية. مرجع سابق. ص 97.

123. في الأصل: «المغطية».

124. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت 571هـــ/1176م): مؤرخ ومحدّث عربي. ولد بدمـــشق وتوفـــي فيها. يُعتبر إحدى القمم الشامخة في التأليف التاريخي عند العرب. له في التاريخ كتاب «تاريخ دمشق الكبير» المعروف بـــ «تاريخ ابن عساكر».

125. المتوكل أو المتوكل على الله (ت247هـــ/861م): عاشر الخلفاء العباسيين. عُرف بتعصّبه لمـــذهب أهل السُّنة، ومحاربته المعتزلة، واضطهاده لفرق إسلامية أخرى. أمر بهدم البِيَعْ النـــصرانية والـــيهودية المُحْدَثة في بغداد. واصل سياسة الاعتماد على الجند الأتراك، التي دشّنها المعتصم، فتآمروا عليه وقتلوه.

126. الـــنعمان (الثالث)، ابن المنذر بن ماء السماء (ت 15ق. هـــ/608م): آخر ملوك اللخميين في الحيرة، وأشهرهم على الإطلاق. مدحه النابغة الذبياني وحسان بن ثابت وغيرهما. كان له يوم بؤس ويوم نعيم. عزله كسرى وسجنه في المدائن.

127. انظر: تيمور باشا، أحمد. الموسوعة التيمورية. مرجع سابق. ص 96.

128. الأصـــفهاني، العماد (ت 597هـــ/1201م): أديب ومؤرخ مسلم. من أهل أصفهان. يُعرف بعمـــاد الـــدين الكاتـــب الأصـــفهاني. عمل في خدمة صلاح الدين الأيوبي. تميزت آثاره بالإســـراف في اصطناع المحسّنات البديعية. أشهر آثاره: «خريدة القَصْر وجريدة العصر» وقد أرَّخ فيه لأدباء زمانه.

129. لم أعثر على هذا البيت من الشعر للعماد الأصفهاني.

130. هـــناك زهرة تحمل اسم «شوكة المسيح»؛ حيث يقال إنه صنع للسيد المسيح حين صلب تاج من الزهور يشبه هذا الزهر، وهذا الزهر له وردة حمراء صغيرة محاطة بسور من الأشواك.

131. قارن: ديوان ابن المعتز. دار بيروت. مصدر سابق. ص 188.

132. لم أعثر على بيت الشعر أو قائله.

133. في الأصل: «عكس».

134. قارن: ديوان ابن الزقاق البلنسي. مصدر سابق. ص 131.

135. القاســـم بـــن عيسى بن إدريس بن معقل أو أبو دُلف العجلي (ت 226هـــ/840م): من بني عجـــل بـــن لجيم. أمير الكَرَج، وسيد قومه، وأحد الأمراء الأجواد الشجعان الشعراء. قلّده

الرشيد العباسي أعمال «الجَبل» ثم كان من قادة جيش المأمون وأخبار أدبه وشجاعته كثيرة. يعد من العلماء بصناعة الغناء، يقول الشعر ويلحنه. توفى في بغداد.

136. قارن: هزاع بن عيد الشمري. 1995. أبو دلف العجلي- مفخرة من مفاخر العرب. ط1. الرياض. دار أجا. ص 32.

137. لم أعثر على بيت الشعر أو قائله.

138. الكسائي: لم أعثر على ترجمته في كتب الأدب والتراجم.

139. ترجمتها: الوَرْد نعمة من السماء وهدية أرسلتها الجنة، فإن بعته، يا تاجر الزهور، بفضة، من ذا يشتريه بهذه الدراهم وهي أكثر قيمة منه.

140. الحَديث المَرفُوع: هو ما أضيف إلى النبي (ص) من قول أو فعل أو تقرير أو صفة. (أبو الدهب، أشرف طه. 2002. المعجم الإسلامي. ط1. القاهرة. دار الشروق. ص218).

141. قارن: الشوكاني، محمد بن علي. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة. مصدر سابق. ص 196.

142. أي أدب الوردة والبلبل أو العندليب. وفي الشعر الفارسي يظهر البلبل يعشق الوردة، ويغني لها ويبثها شكواه وأنينه، وقد ترق له فتبكي بدموع ملؤها الندى والحب والعتاب.

143. فرهاد؛ هو بطل ملحمة العشق الشعرية الفارسية المعروفة (شيرين وفرهاد) في منطقة (كرمنشاه). وتقول الملحمة إنّ العاشق (فرهاد) كان ينحت تمثالاً على صفحة جبل (بيستون) الشهير، من أجل حبيبته (شيرين)، وبأمر من حاكم ظالم كان يودّ التفريق بينهما، للاستئثار بـ (شيرين). وقبل أن يتم (فرهاد) نحت التمثال، بلغه خبر كاذب عن موت معشوقته (شيرين)؛ فرمى القدوم الذي كان ينحت به في الهواء، وتلقاه برأسه ومات منتحراً. وحين علمت (شيرين) بموت حبيبها، زارت قبره وغرزت خنجراً في قلبها، وماتت منتحرة فوق القبر. ومعنى اسم (فرهاد) في العربية هو (مَهيب)، أي الذي يهابه الناس لقوّته أو شدة بأسه.

144. الشيخ أبو عبد الله روزبهان بن أبي النصر البقلي (ت605هـ/1209م): صوفي فارسي من أهل شيراز. يعد من أقطاب الطريقة الأويسية. يُعرف بالشيخ الشطّاح، لكثرة شطحاته، طُبعت بعض كتبه ونشرت من لدن المستشرقين. من مؤلفاته: الأنوار في كشف الأسرار، ثمرة الأشجار (منظومة فارسية)، رسالة القدس لأهل الأنس، سير الأرواح، شرح الشطحيات، صفو المشارب في العشق، عرائس البيان في حقائق القرآن.

145. لم أعثر على نص الحديث.

146. ترجمتها: ما هذا النَّدى الذي وقع على الورد، إنه دُموع العَنَادل.

147. قارن: ديوان ابن المعتز. دار بيروت. مصدر سابق. ص 251.

148. جلال الدين بن محمد الخطيبي البكري (الرومي) (ت 672هـ/1273م): عالم ورياضي ومدرّس وشاعر وصوفي كبير. يُعرف بـ «مولانا جلال الدين»، ويعتبر أحد أعظم شعراء الحب الإلهي. ولد بمدينة بلْخ من أعمال أفغانستان. درس بمدينته أولاً ثم ببغداد فالحجاز فقونية بتركيا. ثم أكمل دراسته بحلب ودمشق، وعاد إلى قونية ليدرّس مكان والده. سلك التصوف على يد الشيخ شمس الدين التبريزي. أنشأ طريقة صوفية خاصة عُرفت بـ «الطريقة المولوية». أشهر أثاره ديوان «مثْنَوي» الذي يقدّر بحوالي 27 ألف بيت، يعد - بحق- من

أروع ما أنتجه الفكر، ويشتمل على قصص ديني، وأخلاقي، بأسلوب رشيق جذّاب. ولقد كان لكتاب مثنوي أثر عظيم في الفكر والأدب الصُوفيين عند المسلمين. ومن أعماله الأخرى؛ المجالس السبعة، فيه ما فيه، الرسائل، الرباعيات، ديوان شمس تبريز.

149. في الأصل: «الدور».

150. ترجمتها: كل ما في البستان من أزهار ومياه وينابيع وأشجار هو تجلّي للجمال الإلهي والمثال الأمثل للجَنَّة العُليا.

151. في الأصل: «تمنياتي».

152. في الأصل: «الدور».

153. لالــه: كلمة فارسية بمعنى زهرة قرن الغزال Tulip. ولهذه الزهرة أهمية ملحوظة عند العثمانيين ولهم شغف شديد بها، ففي احتفال السلطان مراد الثالث بختان ولده الأمير محمد، صنع نموذج كبير لهذه الزهرة وحمل في موكبه وهذا مشاهد في (سور نامه) مراد الثالث؛ وهي قصيدة نظمت بمناسبة ختان ابنه. ومما يجدر ذكره أن الأتراك العثمانيين وحدهم الذين رسموا هذه الزهرة كعنصر زخرفي في العمارة والخزف. وقد ذكر أحد المؤرخين العثمانيين أن نزح دفتري (بمعنى دفتر الأسعار) فيه تحديد لمائتي وخمسين نوعاً من هذه الزهرة وقد أحضر حسن أفندي المؤرخ من إيران سبعة أنواع من هذه الزهرة، وفي عام 1062 للهجرة جاء سفير النمسا بعشرة أنواع منها. ويذكر بوسبك Busbeque سفير هولندا في استانبول كتب عن هذه الزهرة، فوصف في تقرير له كتبه سنة 1620 ما رآه في أثناء سفره من أدرنه إلى استانبول من أنواع الزهور ذات الرائحة الزكية والألوان الجميلة. وقصة نقل زهور قرن الغزال من تركيا إلى هولندا معروفة، فقد أعجب بها بوسبك هذا ونقل البعض منها إلى حديقة داره في هولندا فأزهرت بها، وحرص على الاحتفاظ بهذه الزهور لنفسه، وكان يضن بها على غيره ممن رأوها عنده وأعجبوا بها، فعمد هؤلاء إلى سرقتها من حديقته. وهكذا انتشرت زهور قرن الغزال أو اللاله أو التوليب في هولندا وغيرها من البلاد الأوروبية. وبذلك انتشرت هذه الزهرة التي تنبت في أوروبا ويذكر هذا المؤرخ ثمانمائة اسم لزهرة اللاله. وهناك في التاريخ العثماني ما يعرف بعصر اللاله «لاله دورى» بمعنى عصر زهرة قرن الغزال وهو عصر السلطان أحمد الثالث (1718-1730 م). والسبب في هذه التسمية أن الأتراك في هذا العصر كان لهم شديد الشغف بهذه الزهرة وقد كانت هذه الزهرة أكثر ما يشغل الناس ويملك عليهم إعجابهم. وقد تأنّق الأتراك في تسمية هذا الزهر على حسب ألوانها وشكلها ومن هذه الأسماء تاج القيصر واللؤلؤ الأزرق، كما قيل لبعضها حمراء الخد والكأس الذهبية وقد تنافس المتنافسون في اقتناء هذه الزهرة، فقد غرست اللاله في حدائق خاصة بها، كما راجت تجارتها إلى حد بعيد وغالى التجار أعظم المغالاة في رفع أسعار النادر منها حتى اضطرت الدولة إلى أن تجعل على هؤلاء التجار رقيباً يسمى الشيخ محمد لاله زاري. وكان هذا الرقيب ذا سلطة تخول له نفي التاجر أن استزاد. ولقد أصبحت مدينة اسطنبول أشبه شيء بروضة فيحاء من زهر قرن الغزال. وفي عام 1730م شقّ الانكشارية عصا الطاعة ورفعوا راية العصيان، فاقتحموا على مصطفى باشا القبطان حديقته وهو واقف يشاهد جمال أزهارها، فخنقوه مع الصدر الأعظم إبراهيم باشا وكان كذلك شديد الولع بهذه الزهرة.

154. محمد إقبال (1877-1938م): شاعر وفيلسوف هندي مسلم. نظم باللغة الفارسية واللغة الأردية. وكان أول من دعا إلى إنشاء دولة باكستان. أشهر آثاره الشعرية: قصيدة طويلة عنوانها « أسراري خُودي» أي أسرار النفس، وأهم آثاره الفلسفية: «إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام».

155. تقع مدينة "استانبول" (إسلام بول) في الجزء الأوربي من تركيا، فوق مدينة "القسطنطينية" الرومانية القديمة، وهي ذات طابع جغرافي فريد، إذ يحدها من الشمال البحر الأسود ومن الشرق بحر مرمرة ومن الجنوب بحر إيجة ومن الغرب شريط ضيق من الأرض متصل بقارة أوروبا. وترجع أهمية هذا الموقع في أنه يجعل استانبول أحد أهم نقاط الاتصال بين قارة آسيا وقارة أوربا، وأنها تعد من أحصن المواقع الستراتيجية في العالم، كما أنها تعد مفتاح أوربا من الشرق.

156. أدرنة إحدى مدن تركيا وتقع في أقصى الجهة الغربية من القسم الواقع في أوروبا قريبا من حدود بلغاريا واليونان. أسس الرومان مدينة أدرنة في القرن الثاني الميلادي واحتلها العثمانيون في سنة 1362م وصارت عاصمتهم من 1365 إلى 1453م والآن هي عاصمة المقاطعة التي تسمى أيضا باسم أدرنة.

157. اسم الزهرة التركي (لاله) يعطي مكتوباً بالحروف العربية نفس قيمة العدد في كلمة «الله» وفي كلمة «هلال»، فالكلمات الثلاث - تبعاً لحساب الحروف القديم أي حساب الجمل - تساوي ستة وستين. فأي زهرة يمكن لها أن تناسب الأتراك أكثر من هذه التي تشير من ناحية إلى الإله الواحد الأحد وتشير في الوقت نفسه إلى رمز الإسلام وهو الهلال. (انظر: شيمل، انا ماري. 2004. الشرق والغرب: حياتي الغرب - شرقية. ترجمة: عبد السلام حيدر. ط1. القاهرة. المجلس الأعلى للثقافة. ص 131).

158. في الأصل: «ومثلهم».

159. الخط الكوفي المزهر: وفيه ترسم أرضية نباتية في الفراغات البينية للحروف أو للأرضية كلها، ثم تسقط عليها الكتابة. وفيه أيضاً تزدان الحروف بمراوح نخيلية تشبه زخارف التوريق، وشاع استعمال هذا النوع في إيران في عهد السلاجقة، وفي مصر في العهد الفاطمي.

160. في الأصل: «الخط النسخي».

وخط النسخ وضع قواعده الوزير ابن مقلة، وأُطلق عليه النسخ لكثرة استعماله في نسخ الكتب ونقلها، لأنه يساعد الكاتب على السير بقلمه بسرعة أكثر من غيره، ثم كتبت به المصاحف في العصور الوسطى الإسلامية، وامتاز بإيضاح الحروف وإظهار جمالها وروعتها.

161. كلمة أرابيسك أطلقت على الزخارف النباتية المتشابكة والتي تتكرر بانتظام، وترسم الزخارف النباتية المتشابكة من أوراق نبات الأكانبت أو من أوراق وسيقان الكَرمة أو من سعف النخيل. ولقد عمّم المستشرقون هذا المصطلح ليدل على النمط العربي في الزخرفة بصفة عامة. ولقد كان التعبير عن هذه النباتات تجريدياً. وزخرفة الأرابيسك ليس فيها تعبير حركي وتعتمد على التكرار بإيقاع منتظم. وتؤثر جمالياً بتغير النور والظل وبتدرج واختلاف الكثافة الزخرفية. ومن أبرز الأمثلة لهذا النوع من الزخارف الموجودة على الخشب بمسجد بن طولون بالقاهرة.

162. تصف سور القرآن الكريم موقعين لحدائق الجنة بالتفصيل. فالصور والعناصر الموعودة تصف أربع جنّات ذات أسوار مربعة الشكل، تجري من تحتها أنهار وجداول ماء مستقيمة،

تروي أزهاراً فواحة مصفوفة، وأنهار من خمر «لذة للشاربين»، وأشجار باسقة تظلل أرَائك النعــيم الأبدي. وقد جاء هذا الوصف كما يلي: {مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مُــصفّى}(محمد:15). لقد قام مفهوم الجنائن المسوّرة وحدائق الأفنية الداخلية على أوصاف القــرآن الكــريم للجــنة الموعودة، ويزيد العدد الإجمالي للإشارات التي تتحدث عن جنة الفــردوس عن 120 إشارة محددة وموصوفة بدقة، وقد انتشر ذلك المفهوم شرقاً، إلى الهند والقـــارة الآســيوية، وبلغ ذروة تطوره في حدائق ملوك المغول العظيمة، حيث يعتبر "تاج محــل" و"حدائــق شــاليمار" و"ضريح همايون" وغيرها في بلاد الهند القديمة ومن ضمنها باكستان الحالية، أمثلة حية على هذا التراث الجميل. كما انتشرت الفكرة شمالاً إلى سمرقند وآســيا الوســطى وخصوصاً في العصر التيموري. وكانت قد انتشرت غرباً إلى الجزيرة العربية، ومن ثمة، إلى المغرب العربي وصقلية وإسبانيا عبر الحروب العربية في المشرق والمغــرب، وســاهمت بالنهاية في إيجاد الحدائق الفرنسية الكلاسيكية الأصلية. ولا تزال ساحة الأسود في قصر الحمراء بغرناطة، التي هي صورة رمزية من صور"جنة الفردوس" مأثورات ذات تناسق رباعي في تخطيط كوني بديع، محط إعجاب العالم حتى وقتنا الراهن.

163. الإستبرق هو الديباج الغليظ.

164. أي المحلاّة بالفضة، أو ما طلاه بها.

165. وَشَت: وَشَى فلان الثوب، وشْياً، وشيةً: نمنمه ونَقَشه وحسَّنه.

166. الأناضــول شــبه جزيرة جبلية في غرب آسيا على البحر المتوسط تشمل معظم الأراضي التركية وتعرف بآسيا الصغرى. تقدر مساحتها بحوالي 743000 كم2 تحيط بها بحار إيجة ومرمرة والبحر الأسود.

167. أويــا أو أوياس هو طراز الدانتيل الذي تخاط أزهاره وأوراقه بنعومة كاملة بإبرة كروشيه رفيعة كإبرة الخياطة.

168. اللَّــيْلك؛ مــن الورود الشجرية تقريباً، فساقه ساق شجرة وأغصانه أغصان وردة. زرعه الإنــسان واستنبته في بساتينه وحدائقه الواسعة. وهو اسم جنس واحدته ليلكة. زهرته تضج حــياة وإشراقاً وانعتاقاً في الدروب، وله ألوان عدة، منها الخمري والخمري الغامق القريب مــن الأســود، والأسود الفاتح. إذن ألوانه تموجات الخمري والأسود وتجليات هذه الألوان وحــرارتها. زهــره زهر الحب العنيف المحتدم وأوائل الحب. فهو يكاد يرقص لحــركته وانــسجامه مــع ذاته ويستعمل في الزينة المنــزلية ضمن باقات. له عند الناس منــزلة هامة، وله سحره الخاص في الربيع يسر منظره الرائين ويجذبهم.

169. البــنجاب ولاية باكستانية. ومعنى بنجاب، أرض الأنهار الخمسة. ويعد محمود بن سبكتكين الغزنوي أول من نشر في البنجاب.

170. شــيراز: مديــنة عريقة في القِدَم تقع قرب تَخْت جَمشيد. وفي العصور الإسلاميّة اهتم بها الديالمة فبنى فيها عَضُد الدولة العمارات الشاهقة، وبلغت كثرة فيها على عهده حدّاً اضطُر معه إلى تشبيد مدينة أخرى قربها باسم (جرد خسرو). وشيراز مدينة واسعة تشتهر بطيب هــوائها ووفرة أنهارها وثمارها، وقربها يقع شِعب بَوّان الذي وصفه المتنبي في قصيدته. وقد ازدهرت هذه المدينة بعد خراب مدينة (إصطَخْر) العاصمة الإيرانية القديمة التي تقلص

ظلهـا بعـد الفتح الإسلامي. وكان للأسرة البويهية وخاصة عضد الدولة الفضل الأول في ازدهـار هـذه المدينة، وقد اختارها ملوك الأتابكيّة عاصمة لهم، كما بقيت من بعدهم مدة عاصمة لـ (كريم خان) الذي ترك فيها آثاراً خالدة تُعرف باسمه، منها مسجد وكيل وسوق وكـيل. وفـي شيراز يقع قبرا الشاعرين سعدي وحافظ، وضريح شقيق الإمام الثامن لدى الشيعة الإثني عشرية المعروف بـ «شاه چراغ».

171. يُعتبر عهد الأسرة الزندية في شيراز العصرَ الذهبي الذي شهدت فيه المدينة نهضة عمرانية كبيرة؛ فقد أسس (وكيل الرعايا) كريم خان زند لأول مرة فيها سوقاً عامرةً لا مثيل لها في إيـران، لا تـزال تحـتل حتّى اليوم في وسط المدينة مركزاً اقتصادياً هاماً. ومسجد وكيل (وكيلـي) يقع قرب السوق، وله إيوانان شمالي وجنوبي، ورحبتان جنوبية وشرقية. تحتوي الجنوبـية مـنها على 48 عموداً، كل منها قطعة واحدة وفيه منبر رخامي من قطعة واحدة أيـضاً له 14درجة. وليس لهذا المسجد مئذنة، وقد نُقش على إزار الصحن نقوش حجرية رائعـة لطيفة. أما داخل المسجد فقد زُخرف بالقيشاني مع نقوش تمثّل منظر شجرة ووردة وبلـبل علـى أرضية بيضاء وصفراء تعود إلى عهد الأسرة الزندية. وقد ظل هذا المسجد كبقية أبنية كريم خان متيناً قوياً لم تزعزعه الزلازل العنيفة التي أصابت المنطقة.

172. يعتبـر جامع رستم باشا تحفة معمارية فنية، وقد بني في عام 1561م بأمر من رستم باشا الوزير الأعلى وزوج ابنة سليمان الكبير.

173. سليمان الأول (1495؟ – 1566م): سلطان عثماني. هو الابن الوحيد للسلطان سليم الأول. في عهده بلغت الإمبراطورية أوجها وعرفت نهضة مرموقة في حقول التشريع والأدب وفن العمارة. يُعرف بـ «سليمان القانوني» أو بـ «سليمان الكبير».

174. تشير المؤلفة إلى قوله تعالى: {إنّ المتّقين في جنّاتٍ ونعيم}(سورة الطور:17).

التَّشبيهُ بالحُروفِ في الأَدَبِ الإسلاميّ

[مجلة (فكر وفن)، العدد ثالث، 1964]

نَظَم شاعر شعبي تركي في القرن السادس عشر قصيدة قال فيها إن اسم محبوبته يسطّره المطر إذا هاطل، والبَط إذا سَبَح، والثّلْج إذا سَقَط على الأرض، فإن اسم حبيبته هو: «أَلِفْ». وكان كلما وقع نظر شاعرنا هذا على أي خطّ مستقيم رأى فيه الألف، وفي الألف اسم المعشوقة.

مع أن هذه القصيدة الشعبية لا توجد فيها بلاغة [الشعر] أو الكلام ولا فصاحة الأسلوب ولكنها تدلّ على العلاقة[1] الموجودة بين الخَطْ والشِّعْر، بين الكتابة والدِّين، بين حُروف الهجاء العربية ورموز الصوفية[2].

نجد في مدنيَّات العالم كله صلات[3] خاصة بين الكتابة والدِّين، ولذلك صنّف أحد مدقّقي تاريخ الأديان في ألمانيا، وهو أ. برتولت (A. Bertholet)[4] كتاباً مهمَّا أشار فيه إلى أهمية الكتابة في جميع الأديان، وكذلك في الخرافات العامة والسِّحر. فإن مهمة الكتابة هي المحافظة على الكلام الإلهي، ولذلك اتَّفق أهل الدين على أنه يتحتَّم على كل من نَسَخ كتاباً مقدساً أن يكون في حالة الطهارة الكاملة الروحية والبدنية، وقالوا إن ثوابه كبير في الدَّارَيْن[5].

وكان للإسلام دور عظيم في هذا الحَيِّز. فقد أشار العلاّمة سودربلوم الأسوجي[6] Soderblom إلى أن الإسلام هو أوّل من فرّق بين أهل الكتاب وبين أصحاب الأديان الأخرى، وهذا الفَرق من أهم ما يتمسَّك به تاريخ الأديان إلى يومنا هذا. وفي القرآن الكريم كثيراً ما يُشار إلى الكتابة[7] والقَلم[8] واللّوح المحفوظ[9]، ومن هناك أخذ المسلمون يستأنسون إلى هذه التعبيرات ويعطونها أهمية خاصة. وكم من شاعر وأديب، وكم من متصوّف وعَالِم استفاد من هذه الإشارات المجيدة واستعملها في كتاباته.

وفي كـــثير مـــن الكتب المأثورة ما يدلّ على الدور المهم الذي لعبته الكتابة والخـــط[10] الـــذي يسميه عبد الله بن عباس[11] «لسان اليد»[12] وقيل إن الإنسان يمتاز عن سائر أنواع الحيوان بالخَط، وإن الخط أعمّ العلوم وأشرفها[13]. ومن المعلوم أن في الـــروايات إشـــارات إلى الخَـــط الذي أنـــزله الله تعالى على أنبيائه في قديم الزمان:

«ولو لم يكن من شرف الخَط إلاّ أن الله تعالى أنـــزله على آدم أو هود عليهما السلام وأنـــزل الصُّحُف على الأنبياء مَسْطُورة، وأنـــزل الألواح على موسى عليه السلام مكتوبة، لكان فيه كفاية».

ويروى أنّ [نبي الله] سليمان عليه السلام سأل عفريتاً عن الكلام فقال: ريح لا يبقى؛ قال فما قيده؟ قال: الكتابة[14].

ومـــازال الأدباء يصنِّفون كُتباً في فضائل الكِتَابة ونقرأ في كتب التاريخ أسماء الكتّاب المشهورين منذ عهد الرسول إلى أيام المؤلف نفسه، واجتهد المؤرِّخون بأن يُحـــصِّلوا أخـــباراً عن الكتّاب الذائعي الصِّيت، فألّفوا رسائل في «أدب الكاتب» دالّـــين على ما يجب للكاتب الألمعي أن يَعْلم من العلوم الدينية والدنيوية، وصارت هـــذه الرســـائل – من كتاب الصُّولي[15] مَثَلاً في عصر[16] خلفاء بني العباس[17]، وصُـــبْح الأَعْشَى للقلقشندي[18] في عصر المماليك في مصر– مصادر وافرة تحتوي على معلومات قيّمة عن وَضْع الحضارة وتفرّعات الثقافة في تلك القرون.

ونجـــد أيضاً الأخبار عن أساتذة الخَط الذين أبدعوا طرازاً جديداً أو أصلحوا في الأســـلوب المَـــوْرُوث أو برعوا في حُسن الخط[19]. وقال بعضهم في مرثية ابن البوّاب[20] الكاتب المشهور:

واستـــشعر الكُـــتَّاب فقْدك سالفاً فَجَـــرَت بـــصحّة ذلـــك الأيـــام
فلـــذاك ســـوّدت الدوي وجوهها أســـفاً علـــيك وشُقَّت الأقلام[21]

وما كانت هذه العلاقة بصَنْعة الكتابة محدودة على العرب فحسب بل فاقهم في العـــصور الحديثة أهل إيران والهندوستان[22]، والدولة العثمانية (لغاية عام 1928 عندما قام[23] أتاتورك[24] بإلغاء الخط العربي في تركيا).

ولم يـزل الخطّاطـون يُبدعون أنواعاً مختلفة من [الخطوط]؛ كالطومار[25] والـرَّيحاني[26] وخط الغبار[27] والثُلُث، والتعليق[28] الظريف في إيران والهندوستان، والشّكسته[29] والدِّيواني، ومن أنواع الخط [أيضاً] الكوفي الشطرنجي[30] أو الكوفي المزهـر أو المعقّـد[31]، أو من الصُّور المركبة من حروف الهجاء أو مِن جُمل ذات معـنى (مـثل البسملة أو كلمة الشهادة) ويحسنون هندسة الحروف؛ أما المتديِّنين والمتصوِّفين منهم، فاجتهدوا في نسخ القرآن الكريم أحسن النَّسخ[32] راجين ثواباً في الآخـرة، حـتى أن بعض الملوك العرب والعجم كانوا يفتخرون بنسخهم للقرآن بأظـرف خـط وسعى آخرون في فهم المعنى المستور للآيات القرآنية بمعونة المعاني الـسريّة [الباطنية] للحروف[33] أو بتعديد عدد الأحرف في كل صَحيفة أو في كلّ آية أو بحساب الأبجدية أو ما يشبه ذلك من علوم الوِفْق[34] والجَفْر[35].

ومـن المعلـوم أن للحروف المقطعة[36] في ابتداء بعض السور القرآنية قيمة خاصة في نظر بعض المتصوّفة حتى أن بعضهم اختار «طه» و«يس» أسماء للأولاد. وقال مولانا جلال الدين الرومي[37] مثلاً؛ إن «ألم» هو «عصاة موسى».

ومـن المعلوم أن بعض المتصوّفة وأهل المذهب الحروفي[38] قد علّقوا أهمية كـبيرة لمعـنى الحروف[39]، وفي نظريتهم إن لكل حرف معنى مخصوصاً يربطه بالذات الإلهية أو إنه يكشف عن أسرار الكون أو عن درجات الطريقة. ومثال باهر لهذا التأويل موجود مثلاً في القصائد الهجائية التي ألّفها كثير من المتصوّفين في الشرق والغرب، كما قال مثلاً شاعر تركي، وهو علاء الدين ويزه لي[40]، في قصيدة له:

أ أعلم المقصود من الألِف هو أن تَكُونَ مع الله.

ب تبرَّك بِبَاء البَسْملة.

ت أَكْثِر التِّلاوة حتى تجد وحدة الذّات.

ث اثْبِت في الدِّين بعَوْن الله.

ذ معنى الذال تذلَّ نفسك دائماً.

ع هي العناية التي تجد بلطف الله.

ق قرب قَابَ قَوسين الذي يعرفه العَارِف... وإلى آخره.

ومثل ذلك معلوم في تاريخ الأدب بهجاء الذَّهَب، ومعناه أن المؤلِّف يجمع أمثال في شكل أبيات على سلوك الحروف الهجائية؛ وهذا موجود في قديم الزمان في مزامير داود النبي[41]، وكثيراً ما نجده عند مسلمي الهند ممَّن كتب الشعر بالأُردو أو السِّنْدي أو البنجابي، وسموه (سِي حَرْفي) أو (تيه اكْر) أي ثلاثون حرفاً.

وذكر القرآن الكريم اللَّوح المحفوظ[42]، والقَلم[43] الذي كتب كل ما يصادفه الإنسان – وقد جَفَّ القَلم، كما قال الرسول– ولا إمْكان لتغيير ما كتبه في الأزل[44].

وذكر الشعراء هذه الواقعة في أبياتهم، شَاكين من ظُلم القَلم، أو مَسرورين بأنَّ اسم المحبوب قد رُقِمَ[45] في لَوْح قلوبهم، كما قال فخر الدين أوحد المستوفى الإيراني[46] ويقصد الإمام علي الرضا[47]:

من ابتداء الكَوْن رَقَمَ قَلمُ القَضَاء حَرْفَ محبَّتك على لَوْح التراب.

وأحسَنَ الفضولي التركي[48] (المتوفى في سنة 1560م) حين قال:

قد نَقَشَك قَلمُ القُدْرة على لَوْحِ صَدري

وقد انتَخَبْتُك من مجموعة المَحبُوبين

كأنه رَأى في الأزل كتاباً مكتوباً فيه أسماء المحبوبين وانتخب لنفسه أحداً منهم ورَقَم اسمه على لَوْحِ القلب. ولكن هذا الشاعر اعترف في بيت آخر بالحقيقة المُرّه:

إن حرَّر الكاتب الأزلي قَضاء العشّاق بالسَّوَاد..

وكذلك إن القلم الأزلي كتب قَضَاء الإنسان وأن الملائكة تكتب أعماله في أثناء حياته، يملئون دفتره بكل ما فعله أو ما نَوَاه. ولذلك كان كثير من أهل الدين والدولة يشتدّ حزناً ونواحاً عندما يتخيّلون كِتَاب أعمالهم ظاهراً في يوم الدِّين، وكانت هذه الفكرة من الموضوعات المحبوبة عند شعراء العرب والعجم، كما قال الفضولي التركي ممثِّلاً لآلاف من أدباء الإسلام:

قد اسْوَدَّ دَفْتر أعمالنا من خَط الخَطَايا

تخيَّلْنا يوم الحَشْر وأَمْطَرنا الدَّمَ من أعيننا

(لنغسل ونَمْحي الخَط، مع العلم بأن غسل حبر الأعمال بماء الدموع كان رمزاً معروفاً عند الشعراء كلهم).

وإن كـــان القلم الأزلي مُطيعاً لإرادة الله الغير مخلوقة، [فقد] رأى الأدباء في القَلم العادي عَبْداً مُطيعاً لهم، كما وصفه بعضهم:

وَذي عَفـــاف راكـــع ســـاجد أخُـــو صَـــلاح دَمْعُــه جـــاري
مـــلازم الخمـــسِ لأوقاتهـــا مجـــتهداً في طاعـــة الـــباري[49]

فأصـــبح القلم لذلك؛ المثال الأَمْثَل للعاشق الذي يسير في طريق الحبيب على سمـــت رأسه، المقطوع اللسان. لا يفعل إلاّ ما أمره صاحبه. وزاد على هذه الأهمية الحـــديث المشهور أن «**قلب المؤمن بين الإصبَعَيْن من أصَابع الرحمن يقلّبه حيث يشاء**»[50].

ميكشد آن شَهْ رقمي
دل بِكَفَش جون قلمي[51]

كمـــا قال مولانا [جلال الدين] الرومي الذي استعمل هذا الرمز في كثير من أشـــعاره. فـــإن الإنسان في يد "النقّاش الأعظم" أو في يد محبوبه مثل قَلم لا يدري كـــيف يتحـــرّك وأيـــن يذهب. وإن أطاعه فَسَيَحسُن خَط حياته، وقال الحافظ الشيرازي:

إنْ وَجَب عليَّ أن أذهب على رأسي في سبيل الحَبيب مثل القلم؛
اذْهب والقلبُ كَدُور والعينُ باكية.

وقـــد بلـــغ مولانا الرومي حَدّاً في هذه المقايسة لّما أشار برمز القلم إلى قضية حـــسين بن منصور الحلاج[52] الصوفي المقتول الذي اشتهر بقوله «أنا الحق» وسلّم رأسه للمشنقة:

ضَعْ رأسَك مثل القَلَم على خَطّ أَمْره
لأن مَن لا رَأس له رفع عُنقه

ويقـــصد الحافظ الشيرازي عَيْن الحكاية عندما بحث عن القلم المقطوع لسانه الذي لا يستطيع إفشاء سرّ الحبيب. وصلة[53] القَلم باللسان قديمة العهد وقالوا فيه إن القلـــم أحد اللّسَانين، ووصف شاعر فارسي القَلم كذي لسانَيْن (لأن في رأسه شق) وقال:

صَار معي الدّهر ذا لسانين كالقلم
وصرتُ أنا معه ذا وَجْهَين كالقرطاس
وذا مائة قلب كالدَّفتر

ومـن طـرفٍ آخر مَدَح الشعراء والأدباء القلم الذي أمكنهم [من] كتابة أشعارهم ووصف محبوباتهم ومدح خالق اللّوح والقلم:

وأخـرس يـنطق بالمحكمـات	**وجـثمانه صـامت أجْـوَف**
بمكـة يـنطق في خفـية	**وبالـشام مـنطقه يُعْـرف[54]**

أو كما قال ابن المعتز في القلم وكتب به إلى القاسم بن عبيد الله[55]:

قَلَـمٌ مـا أرَاهُ أمْ فَلَـكٌ يَـجْ	**ري، بمـا شَـاء قاسِـمٌ ويَـسيرُ**
سَـاجدٌ خاشـعٌ يُقـبِّلُ قِـرْطا	**سـاً كمـا قـبّل البِسَاط شَكورُ**
مُرْسَـلٌ لا تـراه يَحْبِـسُه الش	**كُّ إذا مـا جَـرى ولا الـتفكيرُ**
وجَلـيلُ المعـنى لطـيفٌ نحـيفُ	**وكـبيرُ الفِعَـال وهـو صَغيرُ[56]**

ولكـن الـشعراء لم يكتفوا بوصفهم القَلم المفيد المطيع بل إننا نجد مثلاً في شعر فارسي قديم تشبيهاً بين القلم وشعاع الشمس الذي يكتب نصّاً مُبيناً على لَوْح السّماء:

قد كَتَبَت الشمس بقلم الذَّهَب على لَوح الصباح الفضيّ
اسم أحمد وألقاب أبي تُراب[57]

والقلـم أيـضاً طَيْر غريب (ولعله في ذلك إشارة إلى بريد الطير الذي كان استعماله[58] مشهوراً في القرون الوسطى في بلاد الإسلام) فإن القلم كالطير النَّاقل الأخبار:

هو طَيْر ولكنه طَيْر عجيب لأن
طعامه من الحِبْر، وذَهَابه على مِنْقَاره.

ومن السهل أن يشبّهوا أنامل الإنسان بالقلم، وأبدع الشاعر الإيراني أبو محمد النظامـي[59] في أقصوصة «خسرو وشيرين»[60]؛ ورَوَى أنه إذا أرادت شيرين الأمر

بقـــتلِ أَحـــد، فَبـــيَدِها عَشْرة أقلام، أي عشرة أنامل (كل واحد منها يكتب أَمْرَ الإعدام، لأن كُل حركَة أنملة لها يُسبّب شَق قلب عاشق).

ونجد أيضاً تشبيه القلم بالسَّمك[61]. وأصل هذا راجع إلى الآية القرآنية «**نون والقلــم**»[62]، ومن الطبيعي أن الشعراء يشبِّهُون أيضاً الدَّوَاةْ بينابيع الحياة التي فيها "ماء الحياة" في قَطرات سَوداء. ونختم هذا الباب ببيتٍ لحافظ الشيرازي الذي افتخر أن:

صَار صَرير قلمي في خُلوة الكروبين
سماعاً روحانيًّا في عالم القدس.

وقـــد اكتشف أحد المستشرقين في إسبانيا بعض الأشعار لأبي جعفر أحمد بن خاتمـــة[63] من شعراء القرن الرابع عشر ونشرها في مجلة «الأندلس» قبل مدة وجيزة[64] وفيها رموز كثيرة مأخوذة من صَنعة الكتابة، ومنها:

وأَجِـــلْ عَينـــيك في وَشْـــي تعاين ... كـــتاباً والهـــواء لـــه مِـــدَادُ
حَكَـــاني كـــاتبي في حالتـــيه ... لـــنا جـــسم ولـــيس لـــنا فُؤادُ

وله أيضاً:

كتـــبتُ وشَـــوْقي يُملـــي أســـىً ... ســـريرة حـــبّ وَشَـــاها الحلـــم
ولـــو رُمـــت خَطـــاً لهـــا بسواه ... تلـــهَّب بـــين يـــديَّ القَلـــم

وبيته هذا، وبيته التالي:

أراد يَـــــشْكو لكـــــم هَـــــواه ... فالتهـــبت أحـــرف الكـــتابة[65]

شـــبيهان ببـــيت نظمه شاعر في مملكة السِّند في القرن التاسع عشر يقول فيه بالفارسية:

ميخواستم كه نامه نويسم بسوي دوست
كاغذ زكريه ترشده كلكم بآه سوخت[66]

وتـــدل هـــذه المشابهة على أن هذه الكتابة كانت معروفة في الغرب والشرق وأنها كانت كثيرة الاستعمال عند الأدباء والعُشّاق.

وأما ابن المعتز، فكتب في خمرية له ضد ذلك قائلاً:

مَـــن رامَ في تركـــي المُـــدامَ كمن يكـــتبُ بالمـــاء في القراطيسِ[67]

وكثيراً ما يجد القارئ مثل هذه الأبيات في الشعر الجاهلي وعند شعراء العرب في عهـــد الرسول، وقد استفاد منها العالِم واسع الشُهرة، كرنكو (Krenkow)[68] عـــند تصنيفه مقالاً حول مسألة مهمة: هل دَوَّنَت قصائد الشعراء قديمي العهد أم نُقلت شفهياً فقط؟ وقد أثبت أن استعمال كنايات مأخوذة من صَنْعة الكتابة يشير إلى معرفتهم بهذه الصنعة؛ ونقرأ في عدد من القصائد المعروفة أن الشاعر يقارن بين الطّلل المتروكة والخَط، كما قال امرؤ القيس[69] في هذا النصيب:

لِمَـــنْ طَلَـــلٌ أبْـــصَرْتُهُ فَـــشَجَاني كَخَـــطِّ الزَّبُور في عَسِيبِ يَمَانِ[70]

وذكر هو الخَط المكتوب على عَسِيب يَمَاني[71]، وذكر حاتم الطائي[72] الرِّق في مثل هذا المطلع:

أتعـــرِفُ أطْـــلالاً ونُـــؤياً مُهدَّما، كخطِّك، في رقٍّ، كتاباً مُنَمنمَا[73]

وبحـــث بعضهم عن «رَسم كالطِّرَاد[74] المذاهب» أو «الرِّق المكتوب فيه أيام العَجَم»، وقال الأخطل[75] في الأَطْلَال:

فكأنمـــا هـــي، مِـــن تَقَادُمِ عَهْدِها ورقٌ نُـــشرن من الكتابِ بَوالي[76]

حـــتى أن حسَّان بن ثابت[77] الشاعر المسلم في عهد الرسول يشبّه ديار زينب المتـــروكة بخط الوَحي على رِقْ. وقلّد شعراء العَجم هذا التشبيه مع أنه لا يتّفق مع الحـــضارة الفارســـية. لذلك قال مَنُوجهري[78] وهو من قدماء الشعراء الفارسيين (وهو يُومئ إلى الوزير المشهور الصاحب ابن عباد)[79]:

رُسُوم الطَّلل والديار والدوارس

كأنها توقيع الصاحب على صَدر المنشور

قد وقَّع النّسرين على أوراق السنبل

كما تَقع على القرطاس خُطُوط الكَاتب[80]

وبعـــد مـــدَّة أصبحت كناية الورق والخَط كثيرة الاستعمال فيما بين العرب والعجـــم، فشبّهوا بالورق كل شيء ذي سطح بسيط مثل السماء والعين وتراب الصحراء أو ماء الحِياض. وقال لذلك الشاعر التركي (الفضولي):

يكتب الدّمع الأحمر أَسَاه على مقلة العين ولا يدري

أنَّهُ لا يقرأ الخَط المكتوب بالدم على أوراق حمراء

ووصف هذا الشاعر الكبير نفسه بجمال الشمس الطالعة في بيت آخر وقال:

ليس هذا بلَوْحِ الشمس، بل هو خَطّ ذَهب في السماء

وقد أخذ ملاك بيده ورقا من كتاب جمالك

وأحـــب شـــعراء العرب أن يشبّهوا منظراً عجيباً أو ماءً مهتزاً بأسطر مجهولة المعنى. وأشار الشماخ[81] في أوائل الإسلام إلى خَط اليهود في أحد أبياته وقال:

كمـــا خَـــطّ عَبْـــرانية بيميـــنه   بتِـــيمَاء جـــدٌّ ثم عرَّض أسطراً[82]

وقال ابن المعتز في الرَّاح:

فإذا مَا الماءُ خَالطها

وتبدّت في أسرَّتها

أسطر مجهولة الكلم[83]

وقـــد ظـــن أن المـــاء الممزوج بالخَمر يكتب فيها أسطراً حروفها من شعر الزعفران.

شـــاهد المسلمون أن خَط الروم ومن يليهم من أهل الغرب على العموم كان مقلوباً يكتبونه من اليسار إلى اليمين، فأصبحت عبارة «خَط النصارى» في الأدب الفارسي رمزاً لشيء غير مرضي. وقال الخاقاني[84] في العصر الثاني عشر في إيران:

إن الفلك أكثر انقلاباً من خط نصرانيّ.

يشير ذلك إلى سُوء خطّه؛ وتبنّى الشعراء في تركيا هذا الرمّز الذي يستعملونه كلمـــا أرادوا أن يخبروا عن بلايا الحياة المكتوبة على اللّوح المحفوظ. ولا عجب أن

أسمـــاء الخطّاطين الكبار كانت معروفة في مِلّة تفتخر بكتابتها، وقد يعرف الأدب أسمـــاء ابـــن مقلة[85] وابن البواب وياقوت المستعصمي[86] وآثارهم، وأشار إليهم شعراء العرب والعجم، وأمكن مثلاً للشاعر التَّجْنيس[87] باسم ابن مقلة ومُقلة العين وقال بعضهم في ذلك:

سَـــبَق الدَّمـــع في المـــسير المطَايَا   **إذا رَوَى مـــن أحـــب عـــنه بَقلة**

وأجـــاد السُّطور في صَفْحة الخدِّ   **ولم لا يجـــيد وهـــو ابـــن مُقلة[88]**

وقال آخر:

تَسَلسل دَمْعي فوق خَدِّي أسطراً   **ولا عجب من ذاك وهو ابن مقلة[89]**

وشبيه بذلك نجد اللعب الظريف باسم «ياقوت»، وتوجد في تذكرة الشعراء لدولة شاه الإيراني قصيدة بقلم عصمة الله البخاري[90] مملوءة بتعبيرات صَنعة الخط، ومنها:

كان قد ظهر في قلب الليلة وجه المشتري
مثلما تلألأت نُقط الذّهب من حواشي الخَط
ويصيب ياقوتاً من ابن مقلة من يرى
نَقش الخطوط المعنبرة على الفضة الخام.

وقال جعفر جلبي[91] الشاعر التركي في القرن الخامس عشر في ذلك:

إن خَط الريحاني في شفتيك
أفضل من خَط ياقوت

ويقصد بخط الريحاني؛ الشَّارب النَّابت على وجه الشاب. ومن المعلوم أن خط الريحاني أحد أنواع الخط العربي وذَكَره الشعراء في أشعارهم خاصة عند مشابهتهم بـــين البستان وبين كِتَاب يَكتُب فيه الصِّبا أسطراً بهيّة من خَط الريحاني، أي تزيّنه بـــرياحين زاهـــرة كثيرة الأشكال والألوان. فإن البستان في نظر الشعراء لَوْح أو صَـــحيفة يكـــتب علـــيها السنبل غَزَلاً جديداً (كما وصفه الباقي الشاعر التركي الفصيح) وأصبح النَّدَى مثال الخاتم على أوراق مَكتوب الأزهار.

وقد فهم مولانا جامي الإيراني[92] أن الخشخاش النابت من تراب الحديقة «رسالة بَعَث بها الذين تحت التراب». وبَدَا لبعضهم أن الوَردة ذات الألف ورقة مثل مَنشور العِشق في البستان، وظنّ آخر أنه قد قرأ في الزنبق «خَط طُومَار مكتوب بالزعفران»، وكان قَلَم[93] الطُومار على ما نستخلصه من كتاب القلقشندي وغيره «قلم جليل وكان الخلفاء يكتبون علاماتهم به».

وأما الزعفران، فاستعملوه في مصر لتَخْليق مقياس النيل في أيام الوَفاء، وللتزيين في العيدَيْن أو في المراسم السلطانية، ولذلك يمكن للعاشق أن يدَّعي أنه «كتب كلمات المحبة في دفتر الطومار»، ولكن لا بد أنه بالغ غاية المبالغة الشاعر الذي زعم أن «كاتب الأفلاك حرّر أشعاري بخط الطومار على ورق السماء».

ومن جهة أخرى نجد الكناية بخط الغبار (المستعمل في بريد الطير مثلاً)، وقال الحافظ الشيرازي:

لو وَقَع بيدي تراب كفّ قَدم حبيبي
لمسحته على لوح بصري كأنه خَط الغبار

وقال آخر مثل ذلك في الخط الذي يدعوه «قيرمه»[94] أو «شِكسته»[95] أي «المكسور» ويشبّه به جسمه المكسور من أجل انكسار خياله.

ومن الرموز والإشارات التي تسترعي انتباهنا وتنال إعجابنا هي تشبيه الخط والكتابة بالشارب واللحية النابتة على عذار الشاب التي تسمى في الأدب الإيراني والتركي «خَطَا». ونصادف هذا التشبيه في قصائد جميع شعرائهم سواء أكانت لحافظ الشيرازي [حيث يقول] في ذلك:

بهذا الرَّقْم الجميل الذي نقشت على وردة الوجه
خَطَطّت خَطاً على ورق الورد والبستان

ومثال ثان نأخذه من ديوان السلطان جم العثماني[96] (المنحوس) الذي لقي حتفه على يد الفرنج في سنة 1495م؛ [حيث] قال:

كأنّ طُومَار البنفسج رقم لدرج خطّك
وإنّ دفتر الورد ورقة لرسالة الجمال

وكان التشبيه بين البنفسج والشارب النَّابت وبين الورد والوجه معروفاً لدى الشعراء منذ عصور كثيرة في الأدب الإسلامي. وشبّه بعضهم شارب المحبوب بأحرف سحرية:

كان خَطّك طَلْسَم حَول شفتيك

يكتب سِحْراً بالمسك لأجل حلاوتك،

يا حبيبي !

وبإمكان كل من يطالع الأدب الفارسي والتركي أن يزيد على هذه الأمثلة.

إن كثيراً من الشعراء غُرمُوا كذلك باستعمال كناية طُغراء[97] الكتاب أو عُنوانه المَرْقُوم بأجمل شكل والمزيَّن بالذّهب أو بالألوان الباهرة وأخذوا تشابك حروفه مثالاً للأطلال وموازنة خطوطه مثالاً لأهداب المحبوب وقد قال في مثل ذلك أحد الشعراء القدماء، وهو أبو داود الكلابي[98] وأحسن:

لمن طَلَل كعنوانِ الكِتَاب ... ببطن آفاق أو بطن الذهاب[99]

أمـا الشعراء الإيرانيون ومن تأثّر بهم، فشبّهوا حَاجبَيْ المعشوق بالطُغراء وقد أفاد الحافظ الشيرازي عن أمله:

بأن يأخذ "منشور" عشقي

"طغراءً" من قوس ذلك الحاجب[100]

أو بحث عن مكتوب الوفاء الموعود الذي كان حاجب عين المحبوبة طُغرائه، وخاتم عنوانه مأخوذ من دم عيني الشاعر نفسه. ورأى هو، ومعه كثير من مواطنيه، في حاجب العين طغراء مكتوبة بيد الخالق على الوجه القمري. أو «طغراء كتاب الحُسن».

واعتاد الشعراء الأتراك في الدولة التيمورية[101] على الأخذ بمثل هذه الكنايات. ونورد هنا على سبيل المثال مير علي شيرنوائي[102]، الشاعر الشهير في مدينة هراة[103] في أواخر القرن الخامس عشر عندما خاطب معشوقه:

يا مَن صَحيفة عذارك إنشاء خط الأَزَل

يا مَن نقطة الأبَد طُغراء في ديباجة حسنك !

ويـــدل مـــير علي شيرنوائي في مِصْراعَيه هذين على الجمال الأزلي والأبدي (ونقطـــة الأَبَد هي النقطة تحت حرف الباء في كلمة أَبَد وهي عند أهل التصوّف محـــتوية على الحكمة الأبدية) الذي يتجلى في وجه المحبوب، وهذا يتّفق مع طريقة مذهب الحروفية في الشرق الأدنى.

ونـــصادف مـــثل هذا البيت في أشعار معاصر مير علي شيرنوائي، السلطان الإيراني شاه إسماعيل الصفوي[104] الذي ألّف ديوانه باللغة التركية أيضاً، وهو تحت تـــأثير عَنْعَـــنَة[105] المتصوّفة ومذهب الحروفية، وقال في أحد أشعاره يقلّد أسلوب الحروفية:

يا مَن آية جمالك عنوان الديوان القديم

وطُغراء حَاجبك بسم الله الرحمن الرحيم !

وهـــناك تشبيه آخر نجده في آثار بعض الشعراء وهو تشبيه الشمس أو البدر بالطغراء المذهَّبة، ففي شعر لمولانا جلال الدين الرومي:

طغراء دولة عشق الحق على توقيع الشَّفق

(وفي هذا إيماء مخفي إلى معشوقه شمس الدين التبريزي).

ولله درّ الشاعر التركي غني زاده[106] الذي ألّف قصيدة طويلة في معراج النبي قال فيها:

كتب عطارد حكم هذا السلطان على السماء

وأصبح له الليلة خَطّاً والأنجم رَملاً وغُرّة القمر طغراءً

ويقول في بيت آخر من هذه القصيدة:

لما أَمْحَى الفلك دمغة الشمس الحمراء

رُقِمَ ظلّ الأرض المخروطي طغراءً عنبرية

وأدخلـــنا مثال الطُغراء في شعر شاه إسماعيل الصفوي المذكور إلى رمز آخر وهـــو الكناية بالمصحَف. وكان المصحَف على العموم مثال معروف عند الشعراء منذ قديم الزمان، إذ قال فيه ابن المعتز:

واللـــيل في مَغـــربه قـــد رسخا   مـــصحف ورّاق أُدِق نُـــسخا[107]

وقال أيضاً:

[جَـــلا لكـــل شَبَح نائي الدَّار]　　　فـــارس كـــفّ ماثـــل كالأسوارِ
ذُو جُؤجُـــؤ مـــثل الرُّخام المَرْمَارِ　　　أو مُصحَفٍ مُنمنَم ذي أسْطَارِ[108]

وقـــال أحـــد الشعراء السوريين المحدثين وهو أنور العطار[109] في وصفه لنهر بَرَدَى:

خـــطّ في مُصحف الوجود سُطورا　　　بَاقِـــيات تَخْـــتَالُ تِيهاً وكِبْرا[110]

ولم يـــستعمل الشعراء كلمة المصحف في معناها الأصلي فحسب، بل إننا نجـــدها أيـــضاً بمعـــنى «مصحف شريف» عند كثير من الشعراء الغير العرب، وعـــندهم كَثُرَ تشبيه الوجه الحَسَن بالمصحف الشّريف لأنه يحتوي على كل ما خلقه الله من آيات الجمال، وهو «نُسخة الأسرار الإلهية». وكان الممثّل الشهير لهـــذا الطـــراز الشاعر الحُروفي التركي نَسيمي[111] المعدوم سنة 1417م لأجل زندقـــته، وقـــد قـــال، وتـــبعه عـــدد غير قليل[112] من شعراء إيران وتركيا والهندوستان:

حِجَابُ عَينيك وأَهْدَابك وشعرك المِسْكيّ أم الكِتَاب[113]،
صار إمام أهل التوحيد وقرآنهم.

وكتب أحدهم في بلاد السِّند:

وَجهك مثل المصحف بلا سَهْو أوغَلَطْ
قد كتبه قَلَم القضاء من مِسْك فقطْ
عينيك وفمك آية وَوَقْف، حاجبك مدّ
أهدابك إعْرَاب، خَالُك وشاربك حَرف ونُقَطْ[114]

مع إننا لا نستحسن المقايسة بين القرآن والوَجه، فإننا نعترف أن مولانا جلال [الدين] الرومي أحسن استعماله إذ قال:

الأوراق في البستان كأنها مكاتيب مَرقُومة عليها بالخطّ الأخضر،
فاطلب شَرح هذه الخطوط مِمَّن عنده أمّ الكتاب

وإن شبّه الشاعر وَجه محبوبته بالمصحف الشريف لجَمَاله وكَمَاله، فله أيضاً أن يعبِّـــر عن تفرّعات هذا الجمال بالحروف المنقطعة التي تُوجد في ابتداء بعض السور القرآنية. مثلاً «ألم»، كما قال بعضهم في بلاد الهند:

إنَّ الفَمَ والصّدْغَ والقَد المستقيم

إنيّ على حَق إن قُلت ألف ولام وميم

كما تشير هذه الحروف إلى ما يحسّه الشاعر عند فراق محبوبته؛ أي إلى الألم.

نرغب الآن في ذكر استعمال حروف الهجاء كرموز في الأدب الإسلامي:

أ. كـــان لحـــرف الأَلف[115] أهمية فائقة عند أهل التصوُّف لأنه في مقام «أَحَدْ» وصار رمزاً لوحدة اللّه المطلقة، وكثيراً ما يحكي في المناقب بأن فلان أو فلان لم يـــتعلّم من الحروف الهجائية إلاّ الحرف الأول واستغنى عن الحروف الباقية لأن الأَلـــف تشتمل على كل شيء كما أن الوحدة الإلهية مَنبع كل ما في الكون، كمـــا نُقل عن سهل التستري الصوفي[116] (المتوفى عام 896م) أنه قال: «الألف أول الحروف وأعظم الحروف وهو الإشارة في الآلف، أي: اللّه الذي ألف بين الأشياء وانفرد عن الأشياء»[117].

وقالـــوا إنَّ يـــونس إمْرَه الشاعر التركي (المتوفى سنة 1321م) اكتفى بالأَلف وقال: «إنَّ المعنى الكامل للكتب الأربعة في أَلف واحدة».

وَرَوا مـــثل هـــذا عن شاه عبد اللطيف السِّندي[118] المتصوّف في القرن الثامن عشر، وذكر هذا الشاعر الكبير «الحَرف الحقّاني» الذي في ابتداء «سَبْق الألم» وأيضاً في «وَرَق الوِصَال» وقال:

قد وضعتُ ميماً في روحي (أي اسم محمد)

وقَبْلَها أَلفا (يعني الاسم الأعظم)

وقد قارن الشعراء الإيرانيون هذه العَلاَمَة الصوفية بتشبيه آخر وهو أن المحبوب الظـــريف يُشابه الألف، وقال مثلاً الحافظ الشيرازي وهو يُومئ إلى حكايات المتصوّفة المقدَّم ذكرها:

ليس على قلبي إلاّ أَلف قَامَة حبيبي

ما العمل الآن؛ ما علّمني أستاذي غير ذلك![119]

وتدلّ على هذه المشابهة البارزة بين قَدْ الأَلف والقَامَة الإنسانية حكاية جاءت في كتاب الأستاذ إسماعيل حقّي بَالطهجي أوغلى[120] عن صَنْعة الخَط عند الأتراك، قال فيها إن بعض أساتذة الخَط في استانبول إن أراد أن يُبيِّن الفَرق بين أَلف مَرْقُومة بقلم الأستاذ مصطفى رَاقم[121] وأَلف مَكْتُوبة بيد محمود جلال الدين[122] كان يقوم - وكان طويل القامة واللحية- رافعاً رأسه مَادّاً لحيته فاتحاً عينيه كالغاضب ويقول: «هذه أَلف مصطفى رَاقم ثم كان يقوم خاشعاً متواضعاً جارّاً لحيته على صدره مُطبقاً عينيه: هذه أَلف محمود جلال الدين». وفهم التلامذة الفَرق بين الطرزين بغير صعوبة.

وقد قال ابن المعتز وما أبدعه:

وكأنّ السُّقاةَ بينَ النَّدامى ألفاتٌ على السطورِ قيامُ[123]

وأَحْسَن شاعر مشهور منسوب إلى الطريقة المولوية[124] في استانبول وهو الشيخ غالب[125] (المتوفى عام 1799م) هذا التشبيه في أقصوصته المؤثّرة (حُسْن وعَشْق)[126] ورَوَى كيف درس الولد المسمى بعَشْق حُروف الهجاء في المكتبة وكان كل حَرف يحتوي على ذكرى صديقته «حُسْن».

فكلما قرأ ألفاً ذكَرَ قامتها

وارتفعت نَوْحَته إلى العَرش

وكلما قَرأ جيماً دلّ ذلك على صدغها

وهكذا في الحروف كلها، كما فعله أيضاً شاعر سندي في القرن السابع عشر وقد ترجمنا مثنويّه الفارسي في صحيفة من هذه المجلة[127].

وأعطى الفضولي الشاعر التركي الشهير الألف معنى آخر، فرأى في السَّهم الذي ألقته أَهْدَاب المعشوقة في عَيْن العاشق الباكية «ألفاً مَكتوبة بالدم».

أما الشعراء الحديثون، فعندهم تشبيهات غير مستعملة ولكنها ظريفة، مثلاً إذا قارن أمير الشعراء أحمد شوقي[128] أعمدة[129] قصر الحمراء[130] في غرناطة بألفات متوازنة جميلة.

ب. أما الباء[131]، فليست من الحروف الكثيرة الاستعمال في رموز الشعراء، وإن كانت ذات أهمية عند أهل التصوّف والحروفية لأنها الحرف الأول في القرآن

المجيد، وقال بعض المتصوّفين الإيرانيين إن حرف القرآن الأول الباء وحرفه الآخر السين ومعنى هذَيْن الحرفين «بس» أي «كاف» بالفارسية؛ لأن القرآن يكفي للدنيا والآخرة[132].

ومنهم من يرفع من شأن النقطة تحت الباء التي هي «رأس البسملة» ظناً أنها منبع الحروف كلها. ونادراً ما نصادف الباء في الشعر، وقال أحد الشعراء القدماء في تركيا:

إن البَاءات قد سَترت رؤوسها

وصارت النُّقط لهم دموعاً

ت.ث. ومثل ذلك يصاب أيضاً في التاء والثاء.

ج. وقد ذُكر حرف الجيم ككناية [عن] الصّدغ أو الخصلة، وهذا من التشبيهات المعروفة عند العرب والعجم. ونجد أيضاً بعض الشعراء الذين يرون في حرف الجيم أُذُناً جميلة الشكل.

د. كثيراً ما يقرأ القارئ أن قامَةَ العاشق المشبّهة بالألف قد صارت دَالاً إذا غَمره الحزن. حتى أن الفضولي التركي غَالَى في هذا التشبيه إذا شكى من آثار ظلم محبوبه:

قد حَنَت قامتي،

وإن نَسِيت رأسي، فأنا معذور

لأنه لا توجد نقطة على الدَّال

وأحسن مولانا جلال الدين الرومي هذا التشبيه وزاده تجنيساً زائداً إذ قال:

إنَّ قلوب (دلّها) العاشقين أصبحت دَالاَت (دالها).

ر. أما حرف الراء، فقد شبَّههُ[133] الشعراء بالسِّكّين والخنجر، ومن السهل عليهم كذلك أن يشبِّهوه بالهلال، وقد وصف الباقي[134] الشاعر التركي المشهور (المتوفى سنة 1600م) الهلال في أوائل شهر رمضان:

أهو نُونٌ إذا يبدو في آخر شعبان

أم راء في ابتداء رمضان؟

س. أمـــا الـــسين، فهي بلا شك مثال الأسنان أو قُل بالأحرى مثال أسنان المنشار الـــذي يجـــرح شفتيِ العاشق ويمنعه من أن يقبِّل المعشوقة حتى أنه يقطع حياة العاشق المسكين الذي يرى مثل هذا الحرف في كتابه ويذكر عند قراءته أسنان المحبوب، كما وصفه الشيخ غالب في أقصوصته المذكورة.

ويخالفـــه في ذلك مولانا جلال الدين الرومي الذي مَدَح تبسّم معشوقه شمس الدين التبريزي قائلاً:

أما شمس التبريزي الذي هو فخر الأولياء

فصارت سين أسنانه لي مثل يَس

ويمكنـــنا أن نرى أيضاً مع بعض الشعراء في السين المشط الذي تمشّط به البنت اللطيفة خُصل شعرها.

ش. وربما أصبحت النُّقط الثلاثة على الشين دموعاً سَقَطت من عين العاشق.

ص. أمـــا الـــصاد، فأحب الشعراء تشبيهها بالمُقْلة الإنسانية. كما فعل ذلك جلال الدين [الرومي] مثلاً، أو بحاجب العَين.

ومـــن أظرف ما قيل في هذا الحَرف أبيات ابن المعتز في إحدى خمرياته حيث استعمل التجنيس المشهور خَط (بمعنى اللحية، الشارب) وخَط (من الحروف) الذي تقدَّم ذكره، وقال:

كأنَّ خَطَّ عذار، شَقّ عَارِضهُ ... مَيدانُ آسٍ على وردٍ ونسرينِ

وخَطّ فوقَ حجّاب الدُّرّ شاربهُ ... بنصف صَادٍ ودَالُ الصُّدْغِ كالنّون[135]

ق. لابنِ المعتز تشبيه آخر بحرف القَاف الذي لم يُستعمل في هذا الفَن إلاّ نادراً بالنسبة إلى الحروف الأخرى:

[ظَلَلتُ بنُعمَى خَيرِ يومٍ وليلة] ... يَدورُ علينا الكأسُ في فتية زُهرِ

بكَفِّ غزَالٍ ذي عِذَارٍ وطُرَّةٍ ... وصُدغَينِ كالقافَينِ في طَرَفي سَطرِ[136]

ل. أما اللام، فنجدها كالمثال المشهور لخُصل الشَّعَر.

م. كـــان أهـــل التصوّف ومذهب الحروفية يعلّقُون أهمية كبرى على حَرف الميم وهذا لأنه [كما قيل]:

از احمد تا احد يك ميم فرق است

جهاني اندر آن يك ميم غرق است[137]

وكان حرف الميم رمزاً للرسول الأكرم محمد[138]، وفَهِم المتصوِّفون ومن على رأيهـم أن الفَرق بينه في صفته كإنسان كامل وبين الله تعالى الذي هو أحد، مـيم واحـدة، ولمـا كان عدد الميم في حروف الأبجدية 40[139] قالوا إن بَيْن الإنـسان وبـين الله جلّ جلاله أربعين مرتبة يجب على السالك أن يَرتَقيها في سـلوكه نحو الحَق، كما كتب ذلك مفصَّلاً عبد الكريم الجيلي[140] في رسالته المسمَّاة بكتاب الأربعين مرتبة[141].

أمـا الشعراء الغير متصوِّفين فما زالوا يشبهّون الميم بالفَم، كأن فَم كل محبوب صغير ضيِّق للغاية، والفم الصغير كان يُعدّ مثال الجمال منذ القرن الحادي عشر أو الـثاني عـشر تقريباً في بلاد العجم، فشبَّهُوا الفَم الجميل بميمٍ على صَحيفة البَدر. وكانت الميم رمزاً للضِّيق على الإطلاق، كما قال بعضهم مشيراً إلى مِيم الفَم الضيّق وفي الوقت نفسه إلى سوء بَخْته:

صَارت الدُّنيا لي مثل مِيم من أجل مِيمه

وتَنهَّد الظهير الفريابي الإيراني[142]:

ما بَقَى من وُجُودي فيما بعد إلاّ حَرفين

قَلب (ضيِّق) كالميم وقامة مثل خلقة النون

وإن شبّه يونس إمْرَه مُقْلَة العَين بالميم فهذا لا يعدو أن يكون تشبيهاً استثنائياً. أمّا في الأدب العربي من العصر[143] العباسي، فأبدع ابن المعتز:

قَدح تَكتُب فيه كَفّ المزاج لنَا ميمات سطر بغير تَعْرِيق[144]

ن. وكانـت الـنُّون في دولة العباسيين مثال الهلال، ولكن في الأكثر نجدها رمزاً للصّدغ:

[غُلالَةُ خدِّه صُبِغَتْ بورد،] ونُونُ الصُّدغِ مُعْجَمَةٌ بخَال[145]

كما وصفها ابن المعتز في كثير من أبياته، وكذلك الفضولي التركي بعد مضي سبعة قرون في بيته:

قَامتك نِهَالُ[146] **السّرو، وحاجبك نون على هذا النِّهَال**

وخَالُك مثالُ نُقْطَة النّون على هذا الغَزال المِسْكيّ

ومن الطبيعي أن علاقة[147] النُون بالآية القرآنية من جهة، وبالسَّمَك من جهة أخرى[148]، أَمْكَن الشعراء أن يستعملوها في وصفهم «سمك النون» أو «سمك القلم» ومثل ذلك[149].

هـ. وكانت الهاء الحرف السرِّي عند المتصوّفين الذين اعتبروها الإفادة الكاملة عن هُــوية الله وصنَّفوا رسائل في أسرار اللاهوت، وقد شاهد ابن عربي[150] الهُوية الإلهية في شكل حرف الهاء البرّاقة الزاهية على بساط أحمر وبين يدي هذه الهَاء الــتي تضيء بشعاعها الأفلاك ظهرت كلمة «هُو»[151]. وكانت الهاء في خيال الــشَّعب التركي مثل العَين الإنسانية، ونرى في بعض البيوت في تركيا رسوم غريبة مكتوب فيها البيت المشهور المنسوب إلى مولانا جلال الدين الرومي:

آه من العشق وحالاته

ونرى على هذه الصورة أن هَاء كلمة «آه» (= هـــ) تقطر من عَينها (لأن في الهاء الحقيقية عَينين اثنتَين) دموع كالسَّيْل في الربيع. ويقولون في تركيا «هانك ايكي كوزي ايكي جشمه»؛ أي: عَيْنَا الهاء عَيْنَان (أو يُنبوعَان). وأخذ آصف حالت جلبي وهو شاعر تركي معاصر[152] هذه الهاء الباكية عنواناً لكتاب له.

و. أمـــا الواو، فقد رَسَمَها الخطَّاطون في تركيا في شكل زَوْرَق له مَقَاذيف إذا كتبوا كلمات [...][153]؛ ولكن هذا الحرف لم يُستعمل في كثير من التشبيهات، وعلينا أن نرجع مرة أخرى إلى ابن المعتز الذي قال في «قهوة زُوِّجت بدمع»:

مِثْل نَسْج الدُّروع أو مِثْل وَاوَات تَدَانَت سُطُورُها في كتاب[154]

لا. وكان حرف لام ألف[155] أحد الحُروف المحبُوبة عند الشعراء والأدباء، ويوجد فــيه حــديث شــريف؛ رَواه الشيخ أبو العباس البوني[156] في كتابه «لطائف الإشارات في أسرار الحروف المعلومات»[157]: «يروى عن أبي ذر الغفاري[158] رضـــي الله عنه أنه قال: سألت رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فقلت: يا رســـول الله، كلّ نبي مرسل بِمَ يُرسل؟ قال: بكتاب مُنـــزل. قلت: يا رسول الله، أي كـــتاب أُنـــــزل على آدم؟ قال: أ بـــ ت ث ج إلى آخره. قلت: يا رسول الله، كم حرف فيه؟ قال: تسع وعشرون. قلت: يا رسول الله، عَدَدَّت ثمانـــية وعـــشرين، فغضب رسول الله – صلى الله عليه وسلم– حتى احمرّت

عيـــناه، ثم قـــال: يا أبا ذر، والذي بعثني بالحق نبيّاً ما أنـــزل الله تعالى [على آدم] إلاّ تسعة وعشرين حرفاً. قلت: يا رسول الله، فيها ألف ولام. فقال عليه الـــسلام: لام ألف حرف واحد، أنـــزله [على] آدم في صحيفة واحدة، ومعه ســـبعون ألف مَلك، من خالف لام ألف فقد كفَر بما أنـــزل على آدم ومن لم يعدّ لام ألف فهو بريء مني وأنا بريء منه. ومن لا يؤمن بالحروف وهي تسعة وعشرون حرفاً لا يخرج من النار أبداً»[159].

قال أحد الشعراء في عهد الرسول:

أَقْبَلت من عند زيادٍ كالخرِف

يَخط رجلاي بخطٍ مُخْتَلِف

يكتبان في الطريق لام ألف[160]

ونـــستدل من هذه الأسطر أن لام ألف كان يُعتبر حرفاً واحداً في ذلك الوقت القـــديم. وصارت فيما بعد رمزاً لمقارنة شيئين، مثلاً تلاقي جيشين أو مُعانقة العاشـــقين كما استعمله الحريري[161] وكثير من الأدباء في النَّظم والنثر، وتبنّى الشعراء في بلاد العجم هذا الرمز الظريف وقالوا:

عَانَقْتُهُ عناقاً مثْل لام ألف

ونـــصادف التَّشبيه نفسه في اللغة السِّندية وقال شاعر مملكة السِّند الأكبر، شاه عبد اللطيف. في رسالته مخاطباً كاتب القضاء الأزلي:

يا كَاتب، مثلما عَلَّقت الألف باللام

فكذلك صَارت رابطة الحبيب بقلبي

وربمـــا كانت المناسبة التي يشير إليها اقتران اللام بالألف غير مفيدة، كما قال مـــولانا جامي في «تحفة الأبرار» أن التردُّد على فاسق [من] الناس مضرّ لخُلُق الشاب كما أن الألف المستقيمة القَد تُصبح عَوجَاء عند اقترالها باللام، فتُصبح تابعة لمثال الحرف الأَعْوَج.

ومـــا يَـــبعث الحيرة أن الشاعر التركي المعاصر الذي مرّ ذكره، آصف حالت جلـــبي[162]، صنَّف علاوة على كتابه «هــــ» كتاباً اسمه «لام ألف» يقايس فيه اللاَّم أَلِف بالإنسان الذي رفع يديه مستعيناً مستغيثاً:

ذرَاعَاهُ في الهواء
الأمان
ذرَاعَا لاَم أَلف
هُما ذرَاعاكَ
وبَطنِ لام ألف
هو بَطنك
ذراعا لام ألف
قد عانقاني.

لم يكــتفِ الشعراء باستعمال مختلف الحروف في تشبيهاتهم بل شبّهوا كذلك النُّقَط التي على الأحرف بالخَالْ الذي يُزيّن وَجْه المحبوب، وقال بعضهم:

لا تظن أنه خَال، بل هو نُقطة رَقمها كاتب ديوان الجَمال

وفاقه الحافظ الشيرازي عندما نَظَم:

لا نَستطيع أن نَضَع نُقطة خَالك على لَوْحِ البَصَر
وربما وَجَبَ علينا أن نطلب حبراً من إنْسَان العَين

وأصـــبحت العـــين ذاتها أيضاً من موضوعات المقايسة، ومن الطبيعي أن يشبِّه الشعراء الأهداب بالقلم، وصار إنْسَان العَين الأسود «لوحاً أسوداً ينقش عليه خــيَال خَط (أي شارب)[163] الحبيب». ولكن الفُضولي [الشاعر] تأسَّفَ لأنه في هذه الحالة يُضيّع الخَط الحَسَن لأنه يصبح:

كتابة سوداء على الأسود، فلا فائدة لها.

ومن المعلوم أن الخَطّاطين في القرون الوسطى أحسنوا الكتابة بالخَطّ الملوَّن على قرطاس ملوّن أو مُذهّب، والبيت المذكور يُومئ إلى هذه الصَّنعة: الخَط الأسود علــى لوح العين الأسود، أي على إنْسَان العين، لا يرى كما ينبغي. ووَصَف بعضهم العَين بأنها دَوَاة سَوداء فيها الحبر الأحمر (وهو الدموع الدموية)، كما قــرأت أيضاً في شعر هندي - إسلامي قديم العهد أن «العيون مثل المكتوب: بياضها القرطاس، خُطوط الكُحل فيها مثل الحروف، إنْسَان العين مثل المهْر[164]، وأَهْدَاب الجُفون المَدْهُونة لائقة بأن تلصق بها صمغ الظَّرف»[165].

لـــيس بإمكانـــنا أن نعـــدّ جميع تفصيلات هذه الصَّنعة وتفرّعاتها من تَلاَعُب بالألفـــاظ الذي بَرَع فيه الحريري مثلاً، والمعميات التي أوجدها في إيران وبلاد الهـــند؛ وبإمكان كل من طالع تاريخ الأدب في بلاد الإسلام أن يُضيف أمثالاً غـــير معـــدودة إلى ما دوّناه أعلاه. وسيجد في جميع هذه التَّشبيهات لذّة غير منتظرة كما قال شاعر تركي:

من كان قَلبه ضَيِّقاً مثل البُرعم ينفتح مثل الوَرد

(عند قراءته كتاباً)

لأن الكتاب هو وَرْدة ذات مائة ورقة في فصل الربيع!

الهوامش والإحالات

1. في الأصل: «المناسبة».
2. يقـرّ كل مسلم بالأهمية القصوى للأبجدية العربية، فهي الأحرف التي أوحيت فيها كلمة الله الخالدة. والقرآن يبين أنه لو كان البحر مداداً، وكانت كل الأشجار أقلاماً لما كان ذلك يكفي لسطر كلمات المولى. وما أكثر ما كان الصوفية يردّدون هذا التصريح القرآني كلما أرادوا أن يـصفوا العظمة والجمال والكمال الإلهي. وواجب على كل من اعتنق الإسلام أن يتعلم الأحـرف العـربية، فإنهـا هي وعاء الوحي، ولا يمكن التعبير عن أسماء الله وصفاته إلاّ بواسـطتها، ومع ذلك فإن تلك الحروف مختلفة عنه؛ فهي "حجاب المغايرة" الذي يجب على الـصوفي تخطيه، لأنه ما دامت الحروف تقيده فهو لا يزال أسيراً لشيء من الأصنام، كما يقـول النفري (ت 354هـ)، إنه يعبد نفسه، بدلاً من أن يكون حيث لا حروف ولا أشكال. (أنظر: شيمل، آنا ماري. 2006. الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ الصوفية. ت: محمد إسماعيل السيد ورضا حامد قطب. ط1. ألمانيا. منشورات الجمل. ص 469.
3. في الأصل: «مناسبات».
4. أ. برتولت: لم أعثر على ترجمته في كتب التراجم.
5. يفـيد قـول منسوب إلى الرسول (ص)؛ بما معناه من يكتب البسملة كتابة جميلة ينال الجنة. (شيمل، أنيماري. 1996. الدور الثقافي لفن الخط والخطاطين. (مجلة) حديث الدار. العدد 5 . الكويت. دار الآثار الإسلامية. ص 14).
6. سودربلوم الأسوجي: لم أعثر على ترجمته في كتب التراجم.
7. انظـر فـي (الكتابة) الآيات: البقرة/79، الأعراف/145، الأنبياء/105، التوبة/120-121، البقـرة/282، الزخرف/19، آل عمران/181، مريم/79، يس/12، النساء/81، يونس/21، الطور/41، القلم/47، الفرقان/5، النور/33.
8. انظر في (القلم) الآيات: لقمان/27، آل عمران/44، القلم/1، العلق/4.
9. انظر في (اللوح المحفوظ) الآية: البروج/22.
10. خط: الجمع خطوط (واستعمل العجّاج الشاعر صيغة "أخطاط" أيضاً). والخط كان يدل في الأصل علـى خـط مـستقيم أو علامة مستقيمة تحفر في الأرض أو ترسم على الرمل بعصا أو إصبع، وكثيـراً ما تستعمل الكلمة للدلالة على حفر القبر وذلك لطوله واستقامته، ثم استعملت في تخطيط المحلات ذوات الدروب والطرق (وتسمى المحلة خطّة) واكتسبت آخر الأمر معنى السطر يرسم علـى ورقة أو رقّ، كما استعملت للدلالة على سطر من الكتابة. (للمزيد انظر: مجموعة مؤلفين. (ب.ت). دائرة المعارف الإسلامية. ج8. بيروت. دار الفكر. ص 358).
11. عـبد الله بـن عباس بن عبد المطلب (ت 68هـ/687م): صحابي ومحدّث وابن عم النبي (ص)، اشتهر بعلمه وفقهه وعبادته ولُقب بـ «حبر الأمة»، له تفسير يُعرف بـ «تفسير ابن عباس».
12. انظـر: الـزين، أحمـد عارف. 1914. العرفان. ج1. المجلد 5. صيدا. مطبعة العرفان. ص52.

13. لقـد كان الخط من أمهّات الصنائع الإنسانية الشريفة، كالتوليد والطب وغيرهما؛ يقول ابن خلدون فـي مقدمـته ما نصه: «وهو – أي الخط – صناعة شريفة، إذ الكتابة من خواص الإنسان التي يُميّـز بها عن الحيوان. وأيضاً فهي تطلع على ما الضمائر وتتأدّى بها الأغراض إلى البلد البعيد، فتقـضى الحاجـات، وقد دفعت مؤونة المباشرة لها، ويُطلّع بها على العلوم والمعارف وصحف الأولين، وما كتبوه في علومهم وأخبارهم، فهي شريفة بجميع هذه الوجوه والمنافع». ابن خلدون. عبد الرحمن. 1992. تاريخ ابن خلدون. ج1. بيروت. دار الكتب العلمية. ص 444.

14. يروى عن النبي (ص): «قيّدوا العلم بالكتاب». انظر: ونسنك،أ.ي. 1965. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. ج5. ليدن. مطبعة بريل. ص 502.

15. الصُولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت 335هــ/946م): أديب عربي. نادم الراضي والمكتفي والمقتدر العبّاسيين. من آثاره: «الأوراق»، و«أدب الكتّاب»، وغيرهما.

16. في الأصل: «دور».

17. في الأصل: «عباس».

18. القَلقَـشندي، أحمـد بـن علـي (ت821هـ/1418م): مؤرخ وأديب عربي. ولد وتوفى في القاهـرة. أهم آثاره كتاب «صبُح الأعشى في صناعة الإنشا» وهو موسوعة ضخمة تشتمل على مجمل ما يحتاج إليه الأديب من معارف.

19. لقد ذكر بعض المؤرخين أن فن الخط يعود أصلاً إلى الإمام علي بن أبي طالب (ت 40هــ/ 661م). ويقـال في بعض الكتب إن كل من ينظر إلى عديد شجرات العائلة التي للخطاطين يجد أنهم كلهم ينتهون إلى علي بن أبي طالب، ابن عم النبي (ص). (شيمل، أنيماري. الدور الثقافي لفن الخط والخطاطين. العدد 5. مرجع سابق. ص 15).

20. ابـن الـبواب، أبو الحسن علي بن هلال (ت414هــ/1023م): خطّاط ومُذهّب عربي. لقب بـابن البواب لأن أباه كان بواباً للبويهيين، يعتبر أحد أعظم الخطاطين في العصر العباسي. نسخ القرآن الكريم بيده 64 مرة. اخترع الخط المعروف بـ «الريحاني».

21. انظر: مجموعة من الباحثين. 2005. موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين. ط 1. ج4. بيروت. دار الجيل. ص 173.

22. هندستان: باكستان وشمال الهند.

23. في الأصل: «أجرى».

24. أتاتورك، كمال (1881– 1938م): قائد وزعيم تركي. اسمه الأصلي: مصطفى كمال. يعتبر مؤسس الجمهورية التركية وأول رئيس لها. تحت قيادته تبنت تركيا نهجاً علمانياً غربياً أدى إلـى إحـداث تغييـرات جذريـة غيّـرت كثيراً من أوضاع تركيا السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

25. الطـومار: خـط مبـسوط كلّـه ليس فيه شيء مستدير وهو أصل الخط الكوفي وبه كتبت مصاحف المدينة الأولى.

26. الريحانـي: هو خط الثُلث يُشبه خط المحقَّق مع بعض التصغير وكلا الخطين لا تُطمس فيها الميم والواو والعين والقاف والفاء على عكس الرّقاع.

27. الغبار أو الغباري: نوع دقيق من الخط تكتب به رسائل الحمام؛ وهو الصغير جداً من النسخ ويطلق عليه وضّاح التوقيع.

28. التَعْليق: أو النسخ تَعْليق؛ خط فارسي استمده حسين الفارسي من خط النسخ والرقاع والثلث، يعود إلى عام (1010م) وأشهر من أتقنه مير علي سلطان التبريزي، ويسمى الخط الفارسي. والتعليق الدقيق يطلق عليه بالتركية (تعليق خرده)، ومن أنواعه، جلي تعليق، وانجه تعليق أي دقيق، وشكسته تعليق أي المكسور، وهو لا يحتاج إلى تشكيل.

29. الشكَستَه أو شكَستَه: كلمة فارسية تعني (المكسور) وبالتركية (قرمه)؛ وهو خط فارسي مترابط حسب مبادئ الخط الديواني، أوجده الأستاذ شفيع أو شفيعا، وأكمل قواعده عبد المجيد طالقاني، وعُرف أيضاً بخط شكسته تعليق، وهناك خط شكسته آميز، وهو خليط من التعليق والشكسته.

30. الكوفي الشطرنجي أو المُزَوّى: الخط الذي يعتمد على الزوايا والأشكال الهندسية، وهو خط مُعقد مبتكر يعتمد على حسن التنسيق والتكامل وملء الفراغ، وقد يضاف إليه بعض الزخارف.

31. أنواع الخطوط المستخدمة في دنيا اليوم فهي ستة: الثُلث والنسخ والفارسي والكوفي والرقعة والديواني. إلى جانب نوعين آخرين هما: الديواني الجلي، والديواني مضافاً إليه الشكل الجمالي. أما خط الإجازة فهو خليط من النسخ والثلث. وأما عن سبب تسميته بالإجازة فهو لأن الأساتذة الخطاطين كانوا يكتبون به إجازاتهم (شهاداتهم) لتلاميذهم لممارسة الخط. (للمزيد انظر: غريب، يوسف. 2006. فن الخط العربي رحلة من التطور في رحاب الحضارة الإسلامية. جريدة الفنون. العدد 65. الكويت. ص 37).

32. في الأصل: «الاستنساخ».

33. اكتشف الصوفية – في وقت مبكر – المعنى الخفي وراء كل حرف، ومجموعات الحروف المتفرقة الواردة في 29 سورة من القرآن قد ألهمتهم بتفسيرات مجازية مدهشة. ومعظم رؤوس الصوفية قد أعاروا هذا الموضوع اهتماماً، وحتى في أقصى المناطق الحدودية من العالم الإسلامي – مثل اندونيسيا – قد ظهرت مخطوطات بها تأملات حول رمزية الحروف. ومن تلك التفسيرات الصوفية لحروف الأبجدية العربية طوَّر الصوفية لغة "سرية"، ليستروا بها عن العامة أفكارهم. وخير مثال على ذلك هو ما يعرف بلغة «بلبيلان» التي شغلت المستشرقين منذ زمن طويل. حتى إن مفكراً في قمة التحضّر مثل السهروردي المقتول يحكي أنه تلقى تعليماً في أبجدية سرية، كي يتمكن من فهم أعمق معاني القرآن. (انظر: شيمل، آنا ماري. الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ الصوفية. مصدر سابق. ص 469- 470).

34. الوفْق أو المربع السحري هو أحد أعجب اكتشافات فيثاغورث في علم الحروف الشمولي. وهو عبارة عن تحليل يرتكز على وسائل مزْوَلِيَّة (تقنيات تستخدم في حساب تركيب المزاول الشمسية) تبرهن أن الأعداد التسعة الأولى من الجدول العددي ترتبط فيما بينها بتلازمات منطقية. فعندما نرتب، في مربع ما، مجموعة من ثلاثة أعداد من هذه الأعداد التالية: 4، 9، 2؛ 3، 5، 7؛ 8، 1، 6؛ نحصل على المجموع 15 حتى ولو قاطعنا بين جموع هذه المجموعات: 3، 4، 8، أو 9، 7،5؛ أو 2، 6،7. (انظر: شبل، مالك. 2000. معجم الرموز الإسلامية. ط1. ترجمة: أنطوان الهاشم. دار الجيل. بيروت. ص 297).

35. علم الجَفْر: علم يبحث فيه عن الحروف من حيث دلالتها على أحداث العالم. وهو يعني أيضاً مجمل التقنيات الباطنية التي تتيح للصوفي بلوغ أعلى درجات الزهد. وكان البوني وابن

عربي عَالمَيْن مُجَازَيْن في علم الجفْر. (انظر: شبل، مالك. معجم الرموز الإسلامية. مرجع سابق. ص 76).

36. عـدد الحروف المقطّعة في أوائل سور القرآن الكريم 78حرفاً، يتكرّر بعضها في مختلف السور التـي أوردتها وهي 29 سورة، وبدون تكرار فهي 14 حرفاً، ويرى البعض أن العدد 14 ضعف العـدد 7 وهـو مـن الأعداد التي ربما لها دلالات خاصة، وشغلت المفكرين المسلمين كشغلهم بالحـروف المقطّعة، وكثيرون تكلموا في هذه الحروف وذهبوا في تفسيرها مذاهب شتى، ومنها التفسير العددي لها، بحساب الأعداد التي تمثلها الحروف، فيكون حاصل جمعها هو عُمر الإسلام وهو ما ذهب إليه اليهود. وبعض السور لا تبدأ إلاّ بحرف واحد مثل: «ص»، أو بحرفين مثل « حـم»، أو بـثلاثة أحرف مثل: «ألم»، أو بأربعة، مثل: «المص»، أو بخمسة، مثل: «كهيعص». ونلاحظ أن أساليب الكلام في اللغة العربية على نفس المنوال، فمنها ما هو على حرف، ومنها ما هـو علـى حرفين، وعلى ثلاثة، وعلى أربعة، وعلى خمسة، ولا أكثر من ذلك. ولأنها حروف متقطّعة فإنها تقرأ كحروف التهجّي، وليس كأسماء متمكنة، ولا كأفعال.

37. الرومي، جلال الدين (ت 672هـ/1273م): شاعر وعارف ومتصوف فارسي. يُعرف بـ «مولانا جـلال الدين»، ويعتبر أحد أعظم شعراء العشق الإلهي. أنشأ طريقة صوفية خاصة عُرفت بـ «الطـريقة المولـوية». أشهر آثاره ديوان «مثْنوي» الذي كان له اثر عظيم في الفكر والأدب الصُوفيين عند المسلمين.

38. المـذهب الحروفـي أو الحروفية: الاشتقاق من حرف (جمع) حروف. مذهب صوفي ينادي بـوحدة الوجود، تعظم وتقدّس الحروف والأرقام وتركيب الحروف في الكلمات. ويقال أنها تأسـست، فـي الربع الأخير من القرن الرابع عشر الميلادي، على يد رجل يعرف باسم « فـضل الله الاسـترابادي»، من استراباد (إيران). وقد قُتل فضل الله على يد ميران شاه بن تيمورلـنك. وعلى أثر انتشار الحروفية بعد ذلك، ترك الحروفيون في القرن الخامس عشر المـيلادي اللغـة الفارسية، وبدءوا باستعمال اللغة التركية. وتعتبر الحروفية الكون مظهراً للوجـود المطلـق. حيث الدنيا راسخة في علم الكون، وهذا الرسوخ يعتبر تجلياً للكائنات، وتتأسـس أحكـام الحررفية على الحروف الثمانية والعشرين في العربية مضافاً إليها أربعة حروف إضافية (اللام ألف) التي تقرأ عند بسطها أي كتابتها كما تقرأ أربعة حروف إضافية هـي (لام، ألـف، مـيم، فاء) وبذلك يصل عدد الحروف إلى اثنين وثلاثين حرفاً. يعرف الحـروفيون بتـرددهم في تأويل القرآن وأحياناً في تأويل التأويل استناداً إلى القيمة العددية للحروف وتارة إلى قيمة الكلمات أو مجموعات الكلمات بإعطائها مثيلاً باطنياً، كوزمولوجياً وجَفْرياً خاصاً، يستخدم نظامهم العددي نظام «إخوان الصفا». من الناحية التنظيمية، لم تعش الحروفية طويلاً، وقد عرفت مع ذلك العديد من الانقسامات الداخلية. بعض الأفكار الحروفية استمرت إذ تداخلت تعاليمها في البكتاشية (طريقة صوفية عثمانية) وإن جزئياً. (للمزيد انظر علـى سبيل المثال: مجموعة مؤلفين. 1998. معجم العالم الإسلامي. ط2. ترجمة: جورج كتورة. بيروت. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. ص 248).

39. يقـول ابن عربي: «إن الحروف أمة من الأمم، مخاطبون ومكلّفون، وفيهم رُسُل من جنسهم، ولهم أسماء من حيث هم، ولا يعرف هذا إلاّ أهل الكشف من طريقنا، وعالم الحروف أفصح العـالم لـساناً وأوضـحه بـياناً». ابن عربي، محي الدين. 1975. الفتوحات المكية. ج1. القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص 260.

40.علاء الدين ويزه لي: لم أعثر على ترجمته في كتب التراجم.
41.مزامير داوُد: ما كان يترنَّم به من الأناشيد والأدعية.
42.اللَّــوح المحفوظ: عبارة غامضة ملغزة تظهر مرّة واحدة في القرآن: {**بل هو قُرءانٌ مجيد* فــي لــوح محفــوظ**}(البــروج: 21-22). صيغة نادرة سال حولها الكثير من الحبر لأنها اعتبــرت الجوهــر الكلــي الــذي تجسَّد في كتاب، دعامة من زبرجد، حقيقة خالدة. يقول المفــسرون: يحــتوي اللــوح المحفوظ «أمُّ الكتاب»؛ النموذج الأولي للقرآن. يذكرنا اللوح المحفــوظ أيــضاً بألــواح الشريعة، ألواح الوصايا العشر التي أعطاها الله لموسى، وردت بصيغة الجمع ثلاث مرات في القرآن، سورة الأعراف (145، 150، 154). من هنا كانت تــسمية ابن عربي للوح المحفوظ «سرير الرحمانية» بمعنى أنه يشمل كل قَدر وكل معرفة. إن رمــز اللوح المحفوظ هو رمز خلود الأشياء ودَوَامها. إنه المثل الحسي الذي يشير إلى خلــود كلمة الله المدوّنة في لَوحٍ ثابت دائم من كونه مثالياً. واللوح المحفوظ سجل تدوّن فيه أعمــال الــناس الأكثر تواضعاً. تُدوّن بالقلم السماوي وهو رمز آخر للقدرة الإلهية؛ ويكتب رينــيه غيــنون (1886- 1951م): «اللوح المحفوظ هو نموذج "لا زمني" للكتب المقدسة نــزل من السماء عمودياً مخترقاً جميع العوالم». ويضيف هنري كوربان (ت 1978م) إلى ذلك: «إن تجلي المعارف من مرآة اللوح السري في هذه المرآة الأخرى التي هي القلب هو كانعكــاس صــورة مــرآة فــي مرآة أخرى تواجهها». (انظر: شبل، مالك. معجم الرموز الإسلامية. مرجع سابق. ص 279-280).
43.القلــم: من وجهة نظر باطنية يرمز القلم إلى الانبثاق الأول للعمل الإلهي، بحيث إنه، استناداً إلى السُّنة، أول شيء خلقه الله. والسبب هو أن القلم أصل العالم لأن بفضله وبتوجيهات من الإله الخالق، تكوّنت "المادة الأولى" التي يرمز إليها القرآن. والقلم على الصعيد الدنيوي، هو قطعة من قصب، جذع بُري باتجاه طوله وأعِدَّ للكتابة. ويرمز إلى الاستعمال الفكري بمقابل السيف الذي يرمز إلى الأعمال الحربية.
44.عــن ابــن عــباس قال: «كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً، فقال لي: يا غلام إني معلمــك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك إذا سئلت فسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاّ بشيء قد كتبه الله لــك، وإن اجــتمعت علــى أن يضروك بشيء لم يضروك إلاّ بشيء قد كتبه الله عليك، رفعــت الأقــلام وجفّت الصحف».(ونسنك، أ.ي. 1936. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. ج1. ليدن. مكتبة بريل. ص 481.
45.رَقَمَ أي كَتَبَ.
46.فخر الدين أوحد المستوفي الإيراني: لم أعثر على ترجمته في كتب التراجم.
47.الرضــا، علــى بــن موسى (ت 202هـ/817م): الإمام الثامن لدى الشيعة الإثني عشرية. زوّجه المأمون العباسي ابنته «أم حبيب»، وأشركه في الحكم، وسماه لولاية العهد، وذكر أنه ضرب العملة باسمه. مات بالسم ودفن في طوس (إيران).
48.محمــد بــن ســليمان فضولي أو فضولي البغدادي (1494- 1556م): أعظم شعراء الأدب التركــي. لقبه أدباء عصره بأمير الشعر التركماني. تقول بعض المصادر إن (فضولي) من قبيلة البيات، وهي بطن من قبيلة الغز (اوغوز) التركمانية التي استوطنت العراق قديماً. كان

لفـضولي الـشيعي المذهب مكاتبات ومناظرات شعرية مع الشاه إسماعيل الصفوي، وكان يكـتب قـصائده باسم (خطائي) وإليه أهدى الشاعر ديوانه (بنك وباده) حيث شبه السلطان العثمانـي بـ (بنك = الأفيون) وشبه الشاه الصفوي بـ (باده = الشراب). وعندما استولى العثمانيون على بغداد منهين بذلك حكم الصفويين استقبل فضولي بقصيدة السلطان العثماني سـليمان القانونـي الـذي أمر أوقاف بغداد بصرف راتب شهري للشاعر. إلاّ أن الأوقاف تـوقفت عـن صرف الراتب الشهري للشاعر، وذلك بعد مرور فترة على مغادرة السلطان بغـداد. وقد تأثر الشاعر من هذا الإجراء المتعسف، فكتب شكواه إلى السلطان في قصيدته الخالدة (شكايت نامه) ولكن دون جدوى، وهو الأمر الذي دفعه للاعتكاف في كربلاء والتي كان يعتبرها (أكسير الممالك) حيث فوض إليه إسراج المصابيح في حضرة الحسين الشهيد. وقـد توفي الشاعر في هذه المدينة بعد أن أُصيب بمرض الطاعون سنة 963 هجرية حيث دفـن بمديـنة كـربلاء على خطي جنوبي صحن الروضة الحسينية تجاه باب القبلة. ترك فضولي ميراثاً ضخماً خالداً للأدب التركي خاصة وللأدب الإنساني عامة من الشعر والنثر باللغات التركية والعربية والفارسية في آثار قيمة مثل: أنيس القلب (منظومة في 134 بيتاً)، حديقـة الـسعداء (عن واقعة كربلاء، وترجمة خطب الإمام الحسين خلال الواقعة)، ديوان فـضولي (ثلاثة مجلدات ضخمة باللغات الثلاث)، رسائل فضولي، رند وزاهد (منظومة في 850 بيـتاً)، سـاقي نامـه (فـي 700 بيتاً)، مطلع الاعتقاد (في علم الكلام) ليلى ومجنون (3400 بيـتاً). ورغـم أن علي شيرنوائي يعتبر أول من تناول موضوع (مجنون ليلى) في الـشعر التركـي إلاّ أنه لم يصب الشهرة التي بلغها فضولي لكونه قد كتبها باللغة الجغتائية التركية. أما فضولي الذي كتب نفس الموضوع متأثراً بالشاعر الأذربيجاني نظامي كنجوي فقـد اخـتلف عن بقية الشعراء الأتراك الذين تناولوا نفس الموضوع بمنح مطولته الشعرية نفـساً صـوفياً مجـرداً بذلك قصة الحب المعروفة من عناصرها الحسية محولاً بذلك تلك العناصر إلى عناصر مجازية.

49. لم أعثر على الأبيات وقائلها.

50. قارن: ونسنك. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. مرجع سابق. ج5. ص 454.

51. ترجمتها: كتب هذا الملك خطاً، والقلب في كفه كالقلم.

52. الحـلاّج، أبو المغيث الحسين بن منصور (ت 309هـ/922م): ولد الحلاج في فارس وتلقى علـى سـهل التـستري تربية صوفية قبل أن ينتقل بعد ذلك إلى بغداد. أدى فريضة الحج مـرتين، وعـاش حـياة صـوفية قاسية، عام 905م سافر باتجاه الهند، وساح وصولاً إلى تركستان، ثم أدى فريضة الحج مرة أخرى عام 913م اتهم بالكفر والزندقة، فسُجن وعُذب، ثـم احتزّ رأسه وأحرقت جثته عام 922م. وقد كان تلفظه بعبارات شطحية مثل «أنا الحق» الـسبب فـي إعدامـه. إلاّ أن المستـشرق الفرنسي ماسينيون قد أثبت أن لإعدامه علاقة بالظروف والارتباطات السياسية. لقد كان موقفه الديني الشخصي وتفسيره الوجودي للإسلام مناقضاً للسياسة التي تتبعها الدولة. أصبح الحلاج فيما بعد الحلقة التي توسطت معظم الشعر الـصوفي. وبشكل خاص في المناطق التي تسودها الثقافة الفارسية، إذ اعتبر شاعر الحب الصوفي؛ فبسبب كشفه سر إتحاد النفس بالله حوكم الحلاج وأعدم. أما في الآداب الإسلامية (الهـندية والتركية والعربية) لاسيما الحديثة منها، فقد اعتبر الحلاج صاحب طريقة خاصة

في التديّن، وقد قتل دفاعاً عن المثل التي آمن بها مما أسهم في إبراز الدور الهام الذي لعبه. أما أشعار الحلاج وقد وصلنا منها القليل، فعلى جانب كبير من الجمال والبلاغة. من أشهر آثاره الباقية «الطواسين».

53. في الأصل: «مناسبة».

54. الأبيات منسوبة إلى زهير بن أبي سُلمى (105؟- 13؟ق. هـ/520؟- 609؟م): شاعر عربي جاهلي، من أصحاب المعلقات. اشتهر بدعوته إلى السّلم، وشجبه للحرب وروعة تصويره لويلاتها.

55. القاسم بن عبيد الله: لم أعثر على ترجمته في كتب التراجم.

56. قارن: ديوان ابن المعتز. 1995. ط1. بيروت. دار الجيل. ص 391.

57. أبو تراب: من كنى الإمام علي بن أبي طالب (ت 40هـ/661م).

58. في الأصل: «ترتيبه».

59. نظامي، جمال الدين أبو محمد إلياس (ت 605هـ/1209م): من أشهر الشعراء باللغة الفارسية، إذ كان شاعر بلاط من الدرجة الأولى ومن الشخصيات التي حظيت بإعجاب وتقدير مواطنيه على الدوام، فكثرت الروايات حوله. وقد زعم بعضها أن نظامي قد غادر مسقط رأسه كانج (حالياً مدينة كيروف آباد في الاتحاد السوفييتي السابق) وذلك نزولاً عند رغبة أحد الأمراء الذين مرّوا بذلك المكان وصادف أن تعرف عليه. وضع نظامي أول الأمر ديواناً شعرياً ذا طابع فلسفي بعنوان «مخزن الأسرار» ولكن وبعد أن عاش مرحلة قاسية شهد فيها وفاة زوجته الأولى بعد فترة قصيرة من زواجه، تحوّل نظامي إلى كتابة شعر وجداني غني برومنطقيته. أما إنتاجه اللاحق فقد كان عبارة عن روايات أشهرها خسرو وشيرين، ليلى والمجنون، وكتاب الإسكندر الذي حوى مجلدين كبيرين. وضعت المنمنمات حول أشعار نظامي مما أسهم فعلاً بتقدّم هذا الفن.

60. تبدأ القصة الحقيقية لخسرو وشيرين، أن هذا الملك، عندما كان شابا فهرب إلى أعدائه البيزنطيين بعد مقتل أبيه على يد احد قواده. رحب به إمبراطور بيزنطي وزوّجه إحدى الأميرات (ماريا)، وبمساعدته تمكن أن يسترد عرش أبيه. لهذا قد أصبح نصيرا للمسيحيين في العراق بتأثير زوجتيه المسيحيتين، العراقية (شيرين) والبيزنطية (ماريا). لكن هذا لم يمنعه فيما بعد من اضطهاد المسيحيين العراقيين، وشن حربا شعواء ضد البيزنطيين واجتياحه لإمبراطوريتهم. يقال إن كسرى كان يعيش ببذخ ومجون، بحيث أنه كان يمتلك حريم من (3000) امرأة. كان زير نساء وكان يرسل موظفيه إلى المقاطعات ليختاروا له نوعا معينا من النساء، حسب مواصفته وذوقه ! لكن رغم ذلك، فإن (شيرين) ظلت دائما سيدة قلبه وسلطانة روحه، ولها الكلمة الحاسمة في حياته، بحيث يقال إنها كانت هي بنفسها تختار المرأة التي يجب أن يمضي معها ليلته. لقد كانت قصة عشق (كسرى) لـ (شيرين) موضوعا للعديد من الروايات وقد ألفت العديد من القصص حولهم وخاصة قبل سقوط الدولة الساسانية حيث وجدت أكثر من قصة شعبية عن هذا الموضوع ودخلت هذه الروايات في المؤلفات العربية حيث حفظ كل من الثعالبي والفردوسي العديد من الروايات عن (شيرين) وأساليبها الذكية للاستئثار بكسرى وزواجه منها والطريقة البارعة التي أستطاع بها كسرى من إسكات عظماء الدولة الذين كانوا ساخطين على زواجه منها لأنها من بلد كان تابعا

للدولـــة الساسانية ولم تكن من دماء ملكية. كذلك ذكر البلعمي قصة (فرهاد وشيرين) وكان فـــرهاد عاشقا لهذه المرأة وقد عاقبه كسرى بأن أرسله لقطع الحجارة في بهستون وقد شغل فرهاد نفسه بهذا العمل إلى حد أن كل قطعة يحطمها من الجبل كانت من الضخامة بحيث أن مـــئة رجـــل لا يـــستطيعون حملها، وقد أصبحت حوادث عشق (خسرو وشيرين) و(فرهاد وشيرين) موضوعا محببا في الشعر الغرامي والحماسي. ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض الـــروايات الخاصـــة بهـــذا الموضـــوع مزجت الحقيقة بالأسطورة وبعضها بالغت بالشكل الأســـطوري البعيد عن الحقائق ولعل من أفضل النصوص عن هذا الموضوع هو (خسرو وشـــيرين) للأديب الحكيم نظامي كنجوي الذي يسرد فيه قصتهما بأسلوب شعري. يعد هذا الكـــتاب من روائع الأدب الفارسي أشتمل على ستة ألاف وخمس مائة بيتا شعريا. قام عبد المحمـــد آيتي باختصار هذه القصة ونشرها في طهران في سبعينات القرن الماضي، وهي النسخة التي ترجمت إلى العربية. لم تكن قصة (كسرى وشيرين) مصدر للأدب والشعر فقط بـــل كانـــت موضـــوعا فنيا شائعا في تلك الفترة، فغالبا ما زينت التحف الزجاجية وكذلك النـــرجيلات والقواريـــر ذات الرقاب الطويلة بالمناظر الشاعرية وكان منظر خسرو وهو يستقبل حبيبته (شيرين) من أكثر المواضيع التي نراها مجسمة على هذه القطع الفنية. يعتبر كتاب (خسرو وشيرين) للشاعر نظامي، وقد أتم هذا الكاتب مؤلفه سنة 576 هـــ (1180م) وأهداه إلى جيهان بهلوان حاكم أذربيجان (582هـــ) وقد قلد كثير من الشعراء قصة (خسرو وشـــيرين) وظهـــرت بمـــسميات كثيرة، لقد كان هذا الكتاب مثار اهتمام العديد من العرب والمستـــشرقين ففـــي عـــام 1933 أعد المستشرق التشيكي هربرت دوداW.Doda H. كتابا بعنوان (فرهاد وشيرين) وقام فيه ببحث (خسرو وشيرين) لنظامي. وقد ترجم كتاب نظامي إلى العديد من اللغات.

61.يكـــتب الـــباحث الفرنسي رينيه غينون (1886- 1951م): «إن حرف (النون)، باعتبار ما ينطـــبق علـــيه من رموز، يتخذه التقليد الإسلامي مثالاً للحوت، وهو المعنى الأساسي لكلمة نـــون (= الحـــوت) وتعني أيضاً السمكة؛ ولهذا دعي سيدنا يونس (النبي يونان) ذا النون». (انظر: شبل، مالك. معجم الرموز الإسلامية. مرجع سابق. ص 335).

62.تشير المؤلفة إلى قوله تعالى: {**ن والقلمِ وما يسطرون**}(سورة القلم/1).

63.أبـــو جعفر أحمد بن علي بن خاتمة الأنصاري المريني (700- 770م): شاعرٌ وكاتب وفقيه متطبِّب ومتصوف زاهد من طبقة لسان الدين بن الخطيب. اشتهر بالشعر والكتابة والتأليف، وله ديوان شعر جيد جمعه بنفسه.

64.لـــم أعثـــر علـــى عدد مجلة «الأندلس» المشار إليه، والتي يحتمل أن يكون نشر في مطلع ستينيات القرن الماضي.

65.لم أعثر على الأبيات.

66.تـــرجمتها: أردتُ أن أكتبَ مكتوباً إلى حبيبي – فابتل القرطاس من بكائي، واحترق القلم من آهاتي.

67.قارن: ديوان ابن المعتز. دار الجيل. مصدر سابق. ص 410.

68.كـــرنكو، فريتس F.Krenkow (1872- 1953م): مستشرق ألماني هاجر إلى انجلترا وأنشأ مـــصنعاً للنـــسيج. اتـــصل بدائـــرة المعارف العثمانية في حيدر آباد الدكن، فأخرج ضمن

منـــشوراتها عدداً من المخطوطات العربية، منها: «الجمهرة» لابن دريد، و«الدُرر الكامنة» لابن حجر وغيرهما. سمّى نفسه بالعربية: سالم الكرنكوي.

69.امــرؤ القَــيس بن حُجْر بن الحارث الكندي (497؟ – 540م؟): شاعر عربي جاهلي. من أصـــحاب المعلقات. انصرف في صدر شبابه إلى اللهو والصيد. حتى إذا قتل بنو أسد أباه الـــتمس مـــن قـــبائل العـــرب العـــون على الثأر، فلم يستجب لطلبه أحد. وعندئذ سار إلى القـــسطنطينية قاصـــداً القيـــصر يوستنيانُس الأول فأكرم وفادته، وفي رواية أنه ولاّه إمرة فلسطين، وأنه ارتحل يريدها ولكنه أصيب في بعض الطريق بالجدري أو نحوه وتوفى على مقربة من مدينة أنقرة التركية. وقد عُرف امرؤ القيس بدقة الوصف وبراعة التغزّل.

70.قـــارن: السندوبي، حسن. 1982. شرح ديوان امرئ القيس. ط7. بيروت. المكتبة الثقافية. ص 210.

71.العَسيب اليماني: سعف االنخل.

72.حـــاتم الطائي (ت 16ق. هـــ/607م): شاعر عربي جاهلي. كان فارساً شجاعاً عُرف بالكرم وسماحة النفس. وقد بلغ من الجود غاية لا تُدرك، فضرب به المثل. ضاع معظم شعره ولم يبق منه غير مجموعة صغير.

73.ديوان حاتم الطائي. 1963. بيروت. دار صادر – دار بيروت. ص 79.

74.الطِّرَادُ: المستقيم.

75.الأَخْطَــل، غياث بن غوث التغلبي (ت 92هــ؟/710م؟): شاعر عربي نصراني. يعتبر أحد أبرز شعراء العصر الأموي.

76.شرح ديوان الأخطل التغلبي. 1968. بيروت. دار الثقافة. ص 244.

77.ابـــن ثابـــت، حـــسان (ت 54هــ/674م): شاعر عربي مخضرم. قصد في الجاهلية ملوك المـــناذرة والغـــساسنة، فمـــدحهم ونال جوائزهم. أدرك الإسلام، فدخل فيه وأصبح شاعر الرسول (ص). عُمِّر مائة عام ونيفاً، وقد كفَّ بصره في أواخر حياته.

78.منوجهـــري، أبو النجم أحمد بن قَوص دامغاني (ت 432هــ/1040م): شاعر إيراني شهير. ولـــد فـــي دامغان أواخر القرن الرابع الهجري، تفتحت مواهبه الشعرية منذ نعومة أظفاره، فاجتذبه بلاط الزياريين، وتلقّب بالمنوجهري، نسبة إلى منوجهر بن شمس المعالي قابوس بن وشـــمكير الـــزياري الديلمي (403– 423هــ). ثم استدعاه بلاط السلطان محمود الغزنوي (421 – 432هـــــ) فـــي غزنين، وبقي هناك، حتى توفي وهو شاب سنة 432هــ. يتميز منوجهـــري بالخـــيال الخـــصب المبتكر في وصف الطبيعة، وخمرياته من أفضل خمريات الأدب الفارسي.

79.ابـــن عبّاد، الصاحب (ت 385هــ/995م): كاتب ووزير مسلم. كان أحد أئمة البيان العربي. تولـــى منصب الوزارة في عهد بني بُويه. له مجموعة رسائل، وكتاب «الوزراء»، وكتاب «المحيط» في اللغة.

80.لم أعثر على هذه الأبيات.

81.الشمَّاخ، مَعقِل بن ضرار بن سنان بن غَطَفان. شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام. وهو أحد مَن هجا عشيرته وأضيافه ومَنَّ عليهم بالقِرَى.

82.انظر: مجموعة مؤلفين. دائرة المعارف الإسلامية. مرجع سابق. ج8. ص 359.

83.لم أعثر على أبيات بهذا المعنى لابن المعتز سوى صدر البيت الأول وذلك في قصيدة (الهم اليقظان) إذ يقول:

فإذا ما الماءُ خالَطَها　　　　راضَ منها سهلَةَ الشّيَمِ

قارن: البستاني، كرم. 1980. ديوان ابن المعتز. بيروت. دار بيروت للطباعة والنشر. ص 407.

84.الخاقاني، الشرواني، أبو البديل، أفضل الدين، إبراهيم بن علي بن عثمان (ت 595هـ - 1198م): شاعر فارسي. ولد سنة 520هـ/1126م في شروان من مدن جنوب القفقاس. تلمس عمه، وكان طبيباً، في إبراهيم الفتى موهبة خاصة، فحثّه على تلقي علوم العربية وآدابها، ثم توسّع في علوم زمانه. يعتبر من أساتذة القصيدة الفارسية على مستوى الشاعر (أنوري). وبسبب بروزه في نظم الشعر سمي "حسّان العجم" وأصبح شاعر الخاقان الأكبر شروان شاه، ولذلك تلقّب بالخاقاني. له أسفار إلى مكة والمدائن تركت آثارها على شعره. وله وقوف على إيوان كسرى في المدائن يشبه وقوف البُحتُري على هذا الإيوان. رحل في أواخر حياته إلى تبريز، وتوفي هناك سنة 595هـ. ديوانه المطبوع يضم 20 ألف بيت، وله شعر باللغة العربية. يقال إنه اتخذ لنفسه اسم «حقائقي» (أي الباحث عن الحقيقة).

85.ابن مُقلة، محمد بن علي (ت 328هـ/940م): أديب وخطاط ومبتدع جملة من الخطوط ووزير عباسي. ومقلة لقب أبيه أبي العباس علي بن الحسين. وقال البعض إن مقلة اسم أم لهم كان أبوها يُرقصها فيقول: «يا مُقلةَ أبيها»، فاشتهر أبناؤها بـ «ابن مقلة». اشتهر ابن مقلة بجمال خطّه. استوزره عددٌ من خلفاء بني العباس. مات في السجن. يعد ثالث ثلاثة من الخطاطين الذين وضعوا قواعد وضوابط لتنسيق الخط، ونظّموا أهم طرز الخط على تباينها، والثلاثة هم ياقوت المستعصمي وعلي بن هلال (ابن البواب) وابن مقلة.

86.ياقوت المستعصمي، جمال الدين (ت 689هـ/1299م): كاتب وأديب وخطّاط عربي، من أصل رومي، ومن موالي المستعصم، آخر خليفة عباسي. لقب بـ «قبلة الكتّاب». من آثاره: «أسرار الحكماء» و«رسالة في علم الخط». أخذ الخط عن خطوط ابن البوّاب، فقد أُولع بخطه وأخذ يقلّده حتّى استقام له الخط بجميع الأقلام، وبخاصة قلم الثلث. أُطلق عليه وعلى تلاميذه لقب "الأساتذة السبعة"، وهم: ياقوت، ومبارك شاه، وأرغون الكاملي، وأحمد السَّهْرَورْدي، والصَّيرفي، والصوفي، ومحمود الحسيني.كتب ياقوت المستعصمي بخطه ألف مصحف، وفي خزائن استانبول عدد كبير من المصاحف التي كتبها بخط النسخ، والثُلث، والمحقَّق. وقَلَمَ المصاحف وزخرفَها بمهارة وإبداع. وكان مغرماً بنقل كتاب «صحاح اللغة» للجوهري، وكتب منه نُسخاً كثيرة.

87.الجِناس أو التجنيس: هو، في علم البديع، تشابه الكلمتين لفظاً لا معنىً، نحو قول أبي العلاء المعري:

لو زارنا طيف ذات الخال أحيانا　　　　ونحن في حُفر الأجداث أحيانا

فالجناس بين الكلمتين: «أحيانا» و«أحيانا»، فالأولى بمعنى: من وقت إلى آخر، والثانية بمعنى: بعث الحياة. والجناس نوعان، تام وغير تام، ويُقسم كل نوع إلى أقسام عدة. (انظر: مجموعة من المؤلفين. 1987. قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية. ط1. بيروت. دار العلم للملايين. ص 173).

88.لم أعثر على الأبيات أو قائلها.

89.لم أعثر على البيت أو قائلة.

90.عصمة الله البخاري: لم أعثر على ترجمته في كتب التراجم والأدب.

91.تاجي زاده جعفر جلبي (ت 920هـ/1515م): شاعر تركي، ولد في أماسيا، ووالده هو تاجي بك الذي كان يعمل دفتردارا في عهد السلطان بايزيد الثاني. عاش حياة زاهية ثم لم يلبث حظّه العاثر أن ساقه إلى الإعدام بدعوى أنه وقف مع الإنكشارية في تمردهم عندما كان يشغل وظيفة قاضي عسكر الأناضول. له ديوان شعر.

92.جامي، نور الدين عبد الرحمن بن نظام الدين أحمد (الشيرازي) (ت 897هـ/1492م): مفسّر ومؤرّخ ومتكلّم وشاعر ومتصوّف فارسي شهير. يعتبر آخر الشعراء المتصوفين الكبار، عند الفرس. ولد ببلدة جام في بلاد ما وراء النهر. اشتغل بعلم الظاهر (الفقه وأصوله) حتى صار من أفاضل عصره، وعلماء مصره؛ ثم صحب مشايخ الصوفية، وتلقن الذكر على الطريقة النقشبندية. كما سلك هذه الطريقة على الشيخين سعد الدين الكاشغري، وخواجه عبيد الله السمرقندي. انتقل إلى هراة ثم حجّ وطوّف بالعالم الإسلامي. من أشهر آثاره: «سلامان وأبسال»، و«يوسف وزليخا» وقد بناها على قصة نبي الله يوسف والتي نعتها بعض الصوفية بأنها نشيد الإنشاد في الحب الصوفي، وقد تأثّر بها (غوته) عندما نظم محاورته «زليخا». كان ديوانه – وهو مجموعة من أشعار التصوف والغناء – مصدر من مصادر الإلهام التي حركت رجال الفن في عصور مختلفة.

93.المقصود بالقلم؛ خط الكتابة.

94.قيرمه أو قِرْمه تعني المكسور باللغة التركية.

95.شكَسته تعني المكسور باللغة الفارسية.

96.الأمير جم (ت 900هـ/1495م): الابن الأصغر للسلطان أبو الفتح محمد الثاني العثماني، اشتهر الأمير جم في كتب الغرب باسم البرنس (زيزيم) Zizim. كان مولعاً بالشعر كأبيه وأخيه السلطان بايزيد الثاني، بل إن الأمير جم كان له عدا ديوانه التركي ديوان أشعار بالفارسية، وكان يتخلص في أشعاره بمخلص (جم). مات مسموماً في مدينة نابولي ودفن في بلدة (جابيت) بايطاليا ثم نقلت جثته بعد ذلك بمدة إلى البلاد العثمانية ودفن في مدينة بورصة في قبور أجداده. وتوفى عن 36 سنة قضى منها 13 في حالة شبيهة بالأسر خارجاً عن بلاده.

97.طغراء، وجمعها طغراوات؛ وتعني توقيع السلطان وهي العلامة الزخرفية أو الخطّية التي يضعها السلطان التركي على الوثائق والفرامانات. تقرأ عليها الكتابة التالية: «(الله) المنتصر دائماً». إن أجمل النماذج للطغراء توجد اليوم في اسطنبول (توب كابي) وفي أنقرة (متحف الفن الإسلامي).

98.طَهْمان بن عَمْرو بن سلمة الكلابي (ت نحو 80هـ/نحو 700م): شاعر، من صعاليك العرب وفتّاكهم. كان في زمن عبد الملك بن مروان. جمع أبو سعيد السكري شعره وأخباره في كتاب «اللصوص» وطبع جزء من ديوانه من غير أن يُعرف أنه له.

99.لم أعثر على بيت الشعر.

100. «منشور»؛ بمعنى الملكي. و«الطغراء»؛ هي الخطوط المقوّسة التي تشتمل على اسم السلطان وألقابه ويتخذها خاتماً يوقّع به على الأوامر والفرامين. (انظر: الشيرازي، حافظ.

1999. ديـوان حـافظ الشيرازي. ت: إبراهيم أمين الشواربي. ط1. طهران. مهرانديش للنشر. ص 338).

101. كانـت الدولـة التيمورية من بين الدول الهامة في القرن الرابع عشر الميلادي (1370-1507م)، وقامت على يد تيمور، الذي كان على رأس إحدى الخاقانات الجاغاتائية، ونجح تـيمور خلال فترة قصيرة، لم تتجاوز 35 عاماً، في جعل دولته إمبراطورية مترامية من نهر الفولغا إلى نهر الغانج ومن جبال تانري إلى أزمير والشام. غير أن هذه الإمبراطورية عقـب وفـاة تيمور تفككت مثلما قامت في فترة وجيزة. ومن التيموريين لم يبق أحد على قدميه سوى حسين بايقارا في خراسان. وغدت العاصمة هيرات من أبرز المراكز الثقافية في التاريخ التركي. وهنا نشأ رجل الدولة والشاعر التركي علي شير نوائي.

102. ميـر علي شير نوائي (ت 906هـ/1501م): كاتب وشاعر وأديب. ولد في مدينة هرات. ينتمـي إلـى عائلة مثقفة ومتدينة. كان يطلق عليه لقب ذو اللسانين حيث كان يتقن اللغتين الفارسـية والتـركية واستطاع عبرهما أن يحرّر العديد من الأشعار والقصص. يعتبر من أبرز شعراء اللهجة الجغطائية التركية.

103. هَرَاة: بالفتح؛ مدينة عظيمة مشهورة من أُمهات مُدن خراسان. وهَرَاة أيضاً: مدينة بفارس قـرب إصطخر كثيرة البساتين والخيرات. (الحموي، ياقوت. 1957. معجم البلدان. ج5. بيروت. دار بيروت ودار صادر. ص396-397).

104. إسماعيل الأول (1487- 1524م): شاه (ملك) إيران. وكان صوفياً وشاعراً. أسس السُلالة الـصَّفوية وجعـل التشيّع مذهب الدولة الرسمي. هزمه السلطان سليم الأول العثماني في معركة جالدران عام 1514 مع أنه أظهر في الحرب بسالة غريبة. ويروى أنه ظل حزيناً مـن بعـد تلك المعركة إلى آخر أيامه، وأنه لم يضحك من بعد ذلك اليوم ولم يترك لبس السواد أيضاً. يعد من أبرز شعراء الاتجاه الديني، بحيث اتخذ - فيما بعد- مرشداً لشعراء التصوف في النسج على منواله. تذكر بعض المصادر أن الشاه إسماعيل أطلق على نفسه فـي شـعره لقب «خطائي» (أي المخطئ). جدير بالإشارة ما كشفه المستشرق الإنجليزي إدوارد بـراون فـي كتابه عن الأدب الفارسي في العصور الحديثة من أمر غريب هو أن الشاه إسماعيل مؤسس الدولة الصفوية لم يكن يكتب إلاّ باللغة التركية في الغالب، في حين أن غريمه السلطان سليم استعمل الفارسية في قرض الشعر.

105. عَنْعَنَ: عَنعن الرَّاوي؛ قال في روايته: روى فلان عن فلان عن فلان.

106. غني زاده نادري (ت 1035هـ/1626م): شاعر تركي. عُرف عنه تقليده للشاعر الفارسي الفردوسي في شهنامته، فبدأها من السلطان عثمان الثاني. له أعمال نثرية عدة.

107. يقول ابن المعتز في قصيدته:

كأنّهُ لمّا قطعنا فرسَخا مُصحفُ ورّاق أُدِقّ نُسخا

قارن: ديوان ابن المعتز. دار بيروت. مصدر سابق، ص 153.

108. قـارن: المعتز بالله الخليفة العباسي، محمد بن عبد الله. (ب.ت). ديوان أشعار الأمير أبي العباس. تحقيق: محمد بديع شريف. ج2. القاهرة. دار المعارف. ص 125.

109. العطـار، أنـور بن سعيد بن أنيس (1908- 1972م): شاعر رقيق، من أدباء المدرّسين. دمشقي المولد والوفاة. تميز شعره بوصف الأزهار والحدائق. وكان مغرماً بهما. فتجد في

شعره مجالي الطبيعة كلها، وعناية بالمدن والأماكن التي عرفت بطبيعتها الفتانة، وأنهارها الجميلة، كدمشق وغوطتها وبرداها وخريفها وربيعها، ولبنان وجباله ووهاده، وسمائه وبحره، ومصايفه البديعة، وبغداد ودجلتها وليلها المهيب الرهيب، والبصرة وما إليها، ونظم في كل ذلك شعراً جيداً. له دواوين عدة لم يطبع منها سوى ديوان واحد هو «ظلال الأيام».

110. قارن: أنور العطار. قصيدة (النهر الشاعر). موقع أدب adab.com على شبكة الإنترنت.

111. نَسيمي، سيد عماد الدين (ت 819هـ/1417م): من أكبر الشعراء في تاريخ أدب الشعوب الناطقة بالتركية والمؤسس الحقيقي للشعر التركماني إلى جانب كونه شخصية بارزة في الفكر الإسلامي ولاسيما في الدول الناطقة بالتركية. تكشف قصائده التي كتبها باللهجة التركمانية (وهو أول شاعر يكتب قصائده بها في القرن الرابع عشر) إطلاعه الموسوعي على معارف عصره. استعمل نسيمي أنماطاً شعرية سائدة في الشعر العربي والفارسي كالغزل والرباعية والمثنوي. أُتهم بالزندقة، وحكم عليه بسلخ جلده حياً. وعندما بدؤا بالسلخ، شحب وجهه،فقال له القاضي ساخراً: «إذا كنت الحق كما تدعي فلماذا بدأ وجهك بالشحوب؟» فرد عليه نسيمي قائلاً:« الشمس تشحب دائماً عند المغيب لتشرق من جديد». لـه ديوانان واحدٌ نظمه بالفارسية وآخر نظمه بالتركية. وله قصائد عدة عربية اللسان أيضاً.

112. في الأصل: «معدود».

113. تسمى سورة الفاتحة بوصفها أول سورة في القرآن «أم الكتاب» بسبب مضمونها الفريد. وهي بحسب حديث للنبي (ص) لا مثيل لها لا في التوراة أو الإنجيل أو المزامير أو القرآن. وهي كصلاة تشبه من حيث المعنى الصلاة الربية في المسيحية. وينقل حديث للنبي أيضاً؛ يقول فيه إن الصلاة التي لا تتضمن الفاتحة هي صلاة غير صحيحة. وقد استعملت منذ القديم كوسيلة سحر فعّالة. (انظر: نولدكه، تيودور. 2004. تاريخ القرآن. ط 1. ت: جورج تامر. بيروت. مؤسسة كونراد – أدناور. ص 98- 99). وأم الكتاب أيضاً اللوح المحفوظ. (انظر: أبو الدهب، أشرف طه. 2002. المعجم الإسلامي. ط1. القاهرة. دار الشروق. ص 92).

114. قارن: شيمل، آنا ماري. الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ الصوفية. مصدر سابق. ص 472.

115. الألف: الحرف الأول من حروف الأبجدية العربية، قارن ابن عطا الله (ت 1309م) بينها وبين آدم. إنها في الوقت نفسه، رمز لهوية الله ووحدانيته. «الألف بالنسبة إلى الحروف، مثل آدم، والهمزة المنبثقة منها مثل حواء. صدرت الحروف الثمانية والعشرون عن هذه الألف». خصائصها هي: الاستقامة، المحورية، العمودية، الاعتدال، الانتصاب. والتقليد الشيعي يجعل منها حرفاً شيطانياً لأنها، على غرار إبليس، أبت السجود أمام الله. أما الحلاج (ت 922م)، فيعتبرها «الجوهر الروحاني الفرد» الذي يشتمل على سائر الأحرف. ويلاحظ ابن عطا الله أن اسم الألف اشتق من الصحبة الصالحة (الأُلفة) والاتحاد (تأليف). «إن الذات الإلهية، في وحدانيتها المطلقة، يرمز إليها الصوفيون بحرف الألف، وهي خط بسيط مجرد من أية حركة (...) وبفضل هذا الرمز العددي، الممكن فقط في لغةٍ لحروفها

قـيمة عدديـة حسابية، يمكن أن تعتبر الألف النموذج والمثال للأبجدية بكاملها». (انظر: شـبل، مالـك. معجم الرموز الإسلامية.مرجع سابق. ص 22). ويعتبر البعض أن حرف الألف «هو أول الحروف التي سجدت لآدم» ولعله لهذا السبب تقدّم الأبجدية.

116. التـستري، أبـو محمـد سهل بن عبد الله (ت 283هـ/896م): متكلم صوفي سُني. ولد بالأهـواز وتوفـى بالمنفى في البصرة. جمع آراءه تلميذه محمد بن سالم وهي التي كانت أساس مذهب عُرف باسم السالمية. من كتبه: «تفسير القرآن».

117. شيمل، آنا ماري. الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ الصوفية. مصدر سابق. ص 478.

118. شـاه عـبد اللطيف السندي (ت 1165هـ/1752م): شاعر صوفي من السند، يعد أشهر شعراء عصره.

119. قارن: شيمل، آنا ماري. الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ الصوفية. مصدر سابق. ص 478.

120. حقي آلتون بَزَر أو إسماعيل حقي بن محمد علي الخطّاط (ت 1365هـ/1945م): خطّاط وكاتـب تركي، درس الخط على أبيه وأتقن خط الديواني على سامي أفندي. كان من ألمع الخطاطـين، ولـه آثـار كثيـرة في مساجد اسطنبول وفي يلدز. واشتهر برسم الطغراء (طغراكش). درَّس الرسم والخط في غالاطه سراي.

121. مـصطفى راقـم أفندي بن محمد قبطان (ت 1241هـ/1825م): رسام وخطاط عثماني بـارِع. أخـذ الخط عن أخيه الكبير إسماعيل زُهري (ت 1806م)، كان يغلب على خطه التحفـز والحـركة. ويعتبـر راقم أفضل خطّاط بقلم الثلث الجلي. من مقلديه أحمد راقم المشهور بالصغير (كوجوك) (ت 1846م).

122. محمـود جلال الدين (ت 1245هـ/1829م): خطاط تركي. تعلم الخط في اسطنبول، كان معاصـراً للخطـاط مصطفى راقم. كان يكتب خط الثُلث الجلي بأسلوب تغلب عليه الحدّة والـشحوب. إلاّ أن كتابته في خط النسخ تميزت بطرز رشيق. وتعد أسماء عبِرت (ولدت 1780م) زوجته وتلميذته من الخطاطات المعروفات.

123. قارن: ديوان ابن المعتز. دار بيروت. مصدر سابق. ص 408.

124. المولـوية: طريقة صوفية، وطريقة دراويش، تمتاز بحركات متناغمة مصحوبة بموسيقى الدفـوف ورقصة دائرية مشهورة، أسسها في قونية الصوفي الشهير جلال الدين الرومي الملقّب بمولانا، ولذلك سمي أتباعه بالمولوية. تعرف الطِريقة المولوية في الغرب بطريقة الـصوفية «الـدراويش الراقصين» وذلك بسبب نمط الذِكر الخاص الذي تمتاز به. فالذكر الـذي يرمز إلى معان كونية وأخرى روحية يحتم طريقة من الرقص الدائري الذي يلتف حول محور معين، فيما الراقص الموجود في الوسط يدور بالاتجاه المعاكس.

125. الـشيخ غالـب دده (ت 1213هـــ/1799م): شاعر صوفي شهير وأحد مشايخ الطريقة المولـوية. نشأة بينه وبين السلطان سليم الثالث علاقة روحية عظيمة. توفى في سن الثانية والأربعين. له أعمال عدة منها: منظومة (حُسْنُ وعَشْق) وكتاب (شرح جزيرة مثنوي).

126. مـنظومة (حُـسْنُ وعَشْق) التي نظمها الشيخ غالب دده، هي ردّ على منظومة (خير آباد) للـشاعر نابـي (ت1712م)، إذ يقـول الشيخ غالب في مقدمتها إن نابياً أخذها من حكاية وردت في كتاب (إلهي نامه) لفريد الدين العطار (ت1220م؟)، وينتقده على ذلك أشد نقد،

ولأن هـذا الكـلام دار في مجلس الرفاق، فقد طلبوا منه أن يكتب تلك المنظومة، فكتبها. وكانت المصادر التي استقى منها منظومة (حُسْن وعَشق) هي مثنوي جلال الدين الرومي و(مؤنس العشاق) لشهاب الدين السهروردي (ت 1234م) و(صِحَّت ومرض) لفضولي (ت 1556م)، ومثنوي (ليلى ومجنون). ومنظومة (حسن وعشق) للشيخ غالب هي قصة حب صوفي مجازي.

127. تـرجمت المؤلفة مثنويات فارسية للشاعر ادراكي بيكلاري السندي (حوالي 1600م) إلى اللغة الألمانية. (انظر: فكر وفن. العدد الثالث. ألمانيا. 1964. ص 46 -47).

128. شـوقي، أحمـد (1868- 1932م): شاعر عربي مصري. يُعد أحد أعظم شعراء العربية في مخـتلف العصور. بايعه أدباء عصره أميراً للشعراء في حفل أقيم في القاهرة عام 1927. أهم آثاره ديوان «الشوقيات» ومسرحيتان شعريتان هما «مصرع كيلوباترا» و«مجنون ليلى».

129. في الأصل: «عواميد».

130. قصر الحمراء: قصر وقلعة، في غرناطة، بإسبانيا. بناء المسلمون العرب في الأندلس، ما بـين أعوام 646-755هـ (1248- 1354م). يحتوي القصر على أنماط من أرفع أنواع الفن العربي الإسلامي الموجودة في أوروبا.

131. الـباء: يـشير الصوفية بالباء إلى أول الموجودات. وهو في المرتبة الثانية من الوجود، وبه قامـت السماوات والأرض وما بينهما، وافتتح الحق جميع السور القرآنية بالباء في (بسم الله) حتـى بـراءة. وقال الشيخ أبو مدين: «ما رأيت شيئاً إلاّ ورأيت الباء عليه مكتوبة». ويقف المـتأولون عـند بـاء (بسم الله الرحمن الرحيم) طويلاً، فيجعل المتصوفة نقطتها لشيوخهم، وبعـض طوائـف الـشيعة يجعلهـا للإمام علي بن أبي طالب. ويذكر المفكر هادي العلوي (1932- 1998م) في كتابه (مدارات صوفية) نكتة في هذا الصدد هي للشاعر النجفي محمد علي اليعقوبي يهاجم فقيهاً شيعياً أفتى بحذف اسم الإمام علي من الآذان، فيقول:

محا نقطة الباء عن الآذان لترضى به النقطة الرابعة

132. وجـد الـسنائي تفـسيراً طريفاً لشمولية القرآن، فقال: إن القرآن يبدأ بحرف الباء وينتهي بالسين، وهذا يعني بالفارسية «بس» أي كفى، ويبين أن القرآن كاف جداً للإنسان. (قارن: شيمل، آنا ماري. الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ الصوفية. مصدر سابق. ص 482).

133. في الأصل: «ذكر».

134. باقـي (ت 1008هـ/1600م): شاعر تركي، يعد من أبرز من الشعراء الذين استخدموا التركية في ذلك العهد. دعا إلى ضرورة أن يأخذ الإنسان حظه من هذه الدنيا الفانية، فتغنّى بملـذاتها فـي غزلياته وجعلها مطلبه الأول. له ديوان وأعمال نثرية أفرط فيها في البديع والمحـسنات اللفظية. استطاع أن يجمع في شعره مزايا ثلاثة شعراء كبار عاشوا قبله هم جلال الدين الرومي وعبد الرحمن جامي ونظامي كنجوي.

135. قارن: ديوان ابن المعتز. دار بيروت. مصدر سابق. ص 439.

136. قارن: ديوان ابن المعتز. دار بيروت. مصدر سابق. ص 235.

137. ترجمتها:

كان الفرْق من أحمد إلى أَحَدْ ميماً واحدة وقد غرقت الكائنات كلها في ميم واحدة

138. محمــد: هو نبي المسلمين والنموذج المثالي للإنسان من الناحية النفسانية كما من النواحي الأخلاقــية والإنسانية والروحية على حد سواء. وهو أقدس أسماء المسلمين بعد الله، يقول الطبــري (ت 923م): «إن الأســماء التي كان من عادة النبي أن يطلقها على نفسه هي: محمد، أحمد، العقيب (ويعني آخر الأنبياء) والبعض يستعمل كلمة مُعقِب مكان العقيب. لكن اسم العقيب أكثر استعمالاً...». وليست تسمية العقيب، الاسم/الرمز، سوى الجزء المنظور مــن بــناء باطني كامل شيِّد حول النبي محمد (ص) وهو يعظم قدراته. يقول ابن عربي (ت 1241م): «كــان محمد الرمز الأبرز لربه ولكل جزء من الكون - الذي يمثل محمد توليفه النوعي - وهو رمز لأصله الذي هو ربه».

139. عرف حساب الجمل عند اليهود والعرب قبل الإسلام ووظّفه المسلمون في تثبيت التاريخ. لقــد اطّلع العرب على حساب الهنود، فأخذوا عنه. وهو نظام الترقيم على حساب الجمل، وكــان العــرب قديماً قد استخدموا نظاماً عددياً مرتبطاً بالحروف الأبجدية العربية، حيث وضــع لكل حرف أبجدي عدد يدل عليه، فكانت الحروف الأبجدية تمثّل أرقاماً. فكانوا من تــشكيلة هذه الحروف ومجموعها يصلون إلى ما تعنيه من تاريخ مقصود وبالعكس كانوا يــستخدمون الأرقام للوصول إلى النصوص. الحروف الرقمية تمثل كل الحروف الأبجدية (28 حرفاً) ولكل حرف له مدلوله الرقمي التي تبدأ برقم 1 وتنتهي عند الرقم 1000 وهي كالآتي:

أ=1، ب=2، ج=3، د=4، ه=5، و=6، ز=7، ح=8، ط=9.

ي=10، ك=20، ل=30، م=40، ن=50، س=60، ع=70، ف=80، ص=90.

ق=100، ر=200، ش=300، ت=400، ث=500، خ=600، ذ=700، ض=800، ظ=900، غ=1000.

140. الجيلي، قطب الدين عبد الكريم بن إبراهيم (ت 832هـ/1428م): مفسّر ومتصوف مسلم. قــادري الطــريقة، مــن خلفاء الشيخ إسماعيل الجبرتي. تأثّر بآراء ابن عربي في وحدة الوجــود. أهــم آثاره كتاب «الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل» وهو كتاب في اصطلاح الصوفية.

141. هناك تركيب أحبه الصوفية، وهو تركيب حرفي الألف والميم، يقول الشاه عبد اللطيف:

ضع في نفسك ميماً

قبلها ألف.

وتــشير المــيم إلى اسم محمد، والألف إلى الله. والميم بقيمتها العددية التي تساوي 40 (في حساب الجمل) هي كما قال أحد الصوفية البنجاب «شال المخلوقية»، الذي تجلى الله عبره فــي شخص نبيه - وفي نفس الوقت كان بالطبع منفصلاً عنه. وهناك حديث قدسي يقول: «أنــا أحمــد بلا ميم» أي «أحدْ». وحرف الميم هو السر الفاصل بين الله الأحد وبين أحمد الــذي هو محمد. وقد فهم على أنه تعبير عن الدرجات الأربعين للحلول الإلهي، من العقل الكلــي نـــزولاً إلى الإنسان، ثم صعوداً بعد ذلك إلى العقل الكلي. أو أن تلك إشارة إلى الأربعين يوماً التي على الصوفي أن يمضيها في الخلوة المتصلة بالدرجات الأربعين على الطــريق الصوفي. ومنذ زمن العطار يحب الصوفية موضوع «أحمد بلا ميم» الذي كثر وروده في الأدب الراقي، وكذلك في الشعر الصوفي الشعبي، سواء أكان ذلك لدى الأتراك

البكتاشـــيين أو لـــدى المنشدين من صوفية السند والبنجاب. وعند البكتاشيين دعاء خاص بحـــرف الميم، يسمونه «ميم دوسي»، يشير إلى تجلي نور النبي محمد. (انظر: شيمل، آنا ماري. الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ الصوفية. مصدر سابق. ص 481- 482).

142. الفاريابـــي، أبـــو الفـــضل طاهر بن محمد المعروف بظهير الدين (ت 598هـــ/1202م): شاعر فارسي، يعد من أشهر شعراء القرن السادس الهجري. من أهل فارياب وهي مدينة قـــرب بلـــخ. أمضى سني شبابه في فارياب ونيسابور من أعمال خراسان، ومكث مدة في أصـــفهان، ثم قضى سنوات آخر عمره في تبريز وتوفى سنة 598هـــ، ودفن في (مقبرة الـــشعراء) هـــناك. حـــذق الأدب والعلوم العقلية والفلك. مدح في حياته الكثير من الملوك والأمـــراء، إلاّ أنـــه في نهاية عمره أشاح بوجهه عن مدح الملوك وآثر العزلة. كان من السائرين على منهج الشاعر (أنوري) في القصيدة والغزل، وأشعاره مليئة بالمعاني الدقيقة المقرونة باللطافة والسلاسة والابتكار.

143. في الأصل: «الدور».

144. لم أعثر في ديوان ابن المعتز في طبعاته المختلفة على هذا البيت.

145. قارن: ديوان ابن المعتز. دار بيروت. مصدر سابق. ص 380.

146. نهـــال: كلمـــة فارسية؛ تأتي بمعنى غصن أو فرع أو نبات أو شجرة، وتجئ أيضاً بمعنى صيد.

147. في الأصل: «مناسبة».

148. فـــي إحدى غزليات العطار يرتبط القلم بحرف النون حيث يشير الشاعر إلى أوائل سورة «ن» فـــي الآية «نون والقلم»، والشاعر يريد أن يمشي برأس مقطوع وأيد وأرجل ممدودة مثل حرف النون المستدير. والنون هو أيضاً «الحوت»، وقد اهتم الشعراء والصوفية بالتفاسير المخـــتلفة لـــبدايات تلك السورة. وتعود إلى مولانا جلال الدين الرومي إحدى أفضل تلك التفسيرات:

على شط بحر الحب رأيت يونس جالساً
فسألته «كيف حالك؟»
فأجاب على قدر حاله قائلاً:
«في البحر كنت طعاماً لحوت
فانثنيت مثل حرف النون
حتى أصبحت ذا النون».

(انظـــر: شـــيمل، آنا ماري. الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ الصوفية. مصدر سابق. ص 476- 477).

149. أخـــرج ابن جرير والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله علـــيه وسلم «إن أول ما خلق الله القلم والحوت قال: اكتب قال: ما أكتب؟ قال: كل شيء كـــائن إلى يوم القيامة، ثم قرأ {ن والقلم وما يسطرون}، فالنون الحوت والقلم القلم».(انظر: ونسنك، أ.ي. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. مرجع سابق. ج1. ص 135).

150. ابن العربي أو ابن عَربي، محي الدين (ت 637هـــ/1240م): متصوف وشاعر مسلم. تعلّم فـــي الأنـــدلس ثم انتقل فيما بعد إلى المغرب. أثناء حجّه إلى مكة وضع ابن عربي ديوانه

«ترجمان الأشواق» مستوحياً إياه من لقائه لإحدى الفتيات الفارسيات. وقد قام فيما بعد بشرح ديوانه الشعري هذا شرحاً صوفياً. وبعد رحلات عديدة توفي ابن عربي في مدينة دمشق. أعطى ابن عربي الفكر الديني الإسلامي بُعداً فلسفياً جديداً. وامتازت تعاليمه الصوفية بقوله بوحدة الوجود. وقد هاجمه من جرّاء ذلك معظم الفقهاء السنيِّين بقسوة. أهم آثاره: «الفتوحات المكية» والمكون من 560 فصلاً. كتاب «فصوص الحكم» وهو يعتبر كشفاً للعلوم السرية التي جاء بها الأنبياء وعددهم 28 نبياً.

151. الهاء هي الحرف الأخير من لفظ الجلالة «الله»، وأول حرف في كلمة «هو». ومما يتفق مع فكر التصوف أن ابن عربي الذي يتحدث في كتابه «كتاب المبادئ والغايات» عن أسرار الحروف، والذي خصّص لذلك الموضوع باباً في كتابه «الفتوحات المكيّة» رأى الهوية الإلهية في شكل حرف الهاء في نور وهّاج على سجادة حمراء، وهي هاء تضيء بين ذراعيها كلمة «هو» وتنشر النور في كل اتجاه. وتصور الله بهذا الشكل في صورة حرف يعتبر شيئاً مقبولاً في دين يحرّم أي تصوير مجسّم - وعلى الأخص إذا كان يجسّم صورة الله. والحرف هو في الحقيقة أسمى تجلّ لله في نظام الفكر الإسلامي. وتقترب رؤية ابن عربي بشكل ما من وصف الدرجات التي كتبها الصوفي النقشبندي محمد ناصر عندليب في القرن الثامن عشر في دلهي:

إنه يرى الشكل المبارك للفظ الجلالة مكتوباً بلون النور على صفحة قلبه وفي مرآة قدرة تصوره (...) وسوف يفهم وجود نفسه أمام هذا الشكل أو تحته أو عن يمينه أو عن يساره وعليه أن يجتهد أن يقترب من هذا النور (...) وعندما يصل إلى منتصف الدرجة بين الألف واللام فلا بد أن يتقدم ويأخذ مكانه بين اللامين، ثم يترك ذلك المكان ويجلس بين اللام والهاء، ومع اجتهاد أكثر فسوف يغادر هذا المكان ويرى نفسه في منتصف دائرة الهاء. ثم يبدأ بإدخال رأسه في تلك الدائرة الصغيرة، غير أنه في النهاية سوف يجد أن نفسه كلها استراحت في هذا البيت وسوف يستريح أيضاً هناك من كل ابتلاء وحيرة.

وهذا يعني أن أسمى درجة يهفو الصوفي إلى إدراكها هي أن يحيطه نور حرف الهاء.

(انظر: شيمل، آنا ماري. الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ الصوفية. مصدر سابق. ص 483- 484).

152. تقصد المؤلفة أنه معاصر للفترة التي كتبت فيها البحث، أي في مطلع ستينيات القرن العشرين.

153. كلمة غير واضحة في الأصل.

154. قارن: ديوان ابن المعتز. دار الجيل. مصدر سابق. ص 104.

155. لام ألف: شكل مركّب من ثلاثة خطوط منكب ومُنسطح مستقيم ومستلق. يعتبر حرفاً واحداً وهو الحرف التاسع والعشرون من حروف الهجاء (عن الرسول). ولقد فتَن هذا الحرف الخطاطين، فأبدعوا في رسمه وتكوينه.

156. البُوني، أبو العباس أحمد بن علي بن يوسف (ت 622هـ/1225م): عالم بعلم الحروف. والبوني نسبة إلى بونة بالمغرب. من تصانيفه: شرح المعارف الكبرى، وإظهار الرموز وإبداء الكنوز، واللمعة النورانية، ومواقف الغايات في أسرار الرياضيات، وشرح اسم الله الأعظم وغيرها، وجمعيها في التصوف وعلم الحروف. مات بالقاهرة.

157. الكتاب هو: «لطائف الإشارات في أسرار الحروف العُلويَّات».

158. أبــو ذر الغفــاري، جندب بن جنادة (ت 32هـ/652م): صحابي، أسلم قبل الهجرة وكان سبباً في إسلام قبيلتي غفار وأسلم، اشتهر بتقواه وتقشفه، دعان الناس إلى صرف ثرواتهم في سبيل الله.

159. قــارن: القلقــشندي، أبــو العباس أحمد. (د.ت). صبح الأعشى في صناعة الإنشا. ج3. القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص 7- 8.

160. لم اعثر على الأبيات أو قائلها.

161. الحريــري، أبو محمد القاسم بن علي (ت 516هـ/1122م): كاتب عربي. وضع خمسين مقامــة حاكــى فيها مقامات بديع الزمان الهمذاني مع إسراف في التأنق اللفظي والبديعي وتــزيُّد فــي سَوْق الفوائد اللغوية والأدبية وأمثال العرب وحِكَمها. من آثاره أيضاً: «درّة الغواص في أوهام الخواص».

162. آصــف حالــت (خالــد) جلبي (1907- 1958م): شاعر تركي معاصر. خريج مدرسة الــصنائع (أكاديمية الفنون الجميلة حالياً). بدأ بنشر القصائد الغزلية. كان متأثراً بالتصوف وبالحضارة الشرقية القديمة. صدرت له ثلاث مجاميع شعرية منذ 1942م حتى وفاته. له مــؤلفات أخــرى في التصوف والأدب. كانت أشعاره تحتفي بشكل خاص بصُوَر رقص الــدراويش (المولــوية)، وبشخصية الصوفي منصور الحلاج، وبالأساطير القديمة لفرهاد وحبيبته شيرين.

163. خَط أو خَطا، في الفارسية؛ بمعنى الشعيرات الصغيرة التي تنبت حول الوجه.

164. أي: الختم.

165. قــارن: شــيمل، آنا ماري. الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ الصوفية. مصدر سابق. ص 473.

البازُ الأشهب

ملاحظات في البيزرة في الشرق والغرب

[مجلة (فكر وفن)، العدد الرابع، 1964]

كنا نتنــزه في يوم من أيام الخريف سنة 1963 في شارع حاشد بجماهير الناس في قلب مدينة برلين الضخمة بينما كانت السيارات تهدر بسرعة كبيرة والضجيج يــصمّ الآذان. وإذا بــرجلٍ بل شيخ طاعن في السن يمشي بين الجمهور وعلى يده اليسرى باز كبير[1]، مثل البازِ الأشهب[2] الذي تغنّى به الشعراء ووصفه الصيادون مــنذ عصور بعيدة[3] في دواوينهم ورسائلهم. أخذتنا الحيرة ووقفنا دقيقة مدهشين ولكن الشيخ كان قد اختفى بين الناس كأنه خيال.

ذَكَّرنا هذا المنظر الغريب بأن حب الجوارح - سواء أكانت بُزاة أم صقور - عمَّت جميع بلدان العالم في القرون الوسطى، وتنافس الملوك والأمراء في تربية البُزاة وتهــذيب الشَّواهين، وفي بعض المناطق ما زال بعضهم حتى الآن يصطاد بالصقر، وتنتشر في بعض البلاد الأوروبية جمعيات البازدارية[4] وإن كانت قليلة الأعضاء.

[ومما] يدل على أهمية الجوارح في القرون الوسطى أن الأمراء كانوا يهدون البــزاة والصقور لمن أرادوا جلب السرور إلى قلبه والتفريج عن روحه. [فقد] أخــبرتنا كتب التاريخ بأن يعقوب بن الليث الصفار[5] صاحب خُراسان أهدى إلى الخليفة المعتمد هدية «من جملتها عشرة بُزاة، منها بازٍ أبلق لم ير مثله». ولم يــزل أخوه عمرو بن الليث يرسل التُّحف النفيسة للمعتضد بالله من سنة 281 هـــ/894م إلى سنة 286هـــ/899م في كل سنة هدايا جمّة منها «عشرين بازياً» أو «بُزاة كثيرة» أو «ثلاثين بازياً» وكانت مقبولة جداً عند الخليفة ولها «خطر وقيمة». وقال أحد[6] الذين أرسل بازياً في يوم العيد إلى الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر:

ومـــع رَسُـــولي إلـــيكَ بـــازٍ … أَبْـــرَش ذو مخلـــب حديـــدِ
جعلـــــته تحفـــــة لعـــــيدٍ … لاقـــاك بالطالِـــعِ الـــسعيدِ[7]

وكانـــت البزاة من الهدايا الكبيرة القيِّمة لا بين ملوك العرب فحسب، بل بين ملـــوك الغرب والشرق أيضاً، كما قال مؤلف كتاب (التُّحف والهدايا)[8] إن برتا بـــنت الأوتاري ملكة مملكة الفرنج (وهي الملكة برتا من التوسكانا 860 – 925) بَعَـــثَت إلى الخليفة المكتفي رسولاً معه تحف نادرة من جملتها «خمسون سيفاً (...) عشرة أَكْلُب كبار لا يطيقها السباع، وسبعة بُزاة، وسبعة صقور...

وتليق هذه الطيور بالملوك لأنه يضرب بها المثل في نهاية الشَّرَف[9]:

إذا مـــا اعتـــزَّ ذو عِلـــمٍ بعِلْـــم … فعِلْـــمُ الفقـــيهِ أولى باعتـــزازِ
وكَـــمْ طـــيّبٍ يَفوحُ ولا كمِسْكٍ … وكَـــمْ طـــيرٍ يطـــيرُ ولا كَبَازِ[10]

وقال الوعيظي[11] في ذلك:

لـــيس المُقَـــام بدَارِ الذُّلّ من شِيَمِ … ولا معاشـــرة الأنـــذالِ من هِمِمِ
ولا مُجَـــاورة الأوْبَـــاش تجمل بي … كذلك البَاز لا يأوي مع الرَّخَمِ[12]

حـــتى أنـــه أصبح من الأمثال السَّارية في الشعر الفارسي أن الباز لا يطير إلاّ بأبناء جنسه. وإن أراد الشاعر التعبير عن الوحدة المطلقة يقول: «إنه في جوِّ الوحدة يطـــير البازي مع الحجل أو مع الحمامة»؛ أي لم يبق فرق بين الأجناس المتضادة أو المخالفـــة للطبـــيعة. وقالوا إن «البازي في المنام يدلّ على سلطان لمن هُو من أهل الإمارة وإن ذَهَب من يده وبقي منه ساقه ذَهَب ملكه وبقي ذِكرُه وإن بقي في يده شـــيء من الريش بقي في يده شيء من المال»[13]. ولذلك سمّوا الأمير عبد الرحمن [الداخل] مؤسس الدولة الأموية في الأندلس «باز قريش»[14].

ونقـــرأ في أشعار أبي نواس وابن المعتز وغيرهما وصفهم لهذه الجوارح الكبار، البـــزاة والـــصقور والـــشاهين واليؤيؤ[15] وما يليهم، كما قال أبو نواس وأحْسن بتعريفه:

ليؤيؤ يعجبُ من رآه
ما في اليآيي يؤيؤ سواه
أزرق لا تكد به عيناه[16]

ونجمع من مؤلفات[17] الجاحظ[18]، وعجائب المخلوقات للقزويني[19]، وكتاب الحيوان للدميري[20] معلومات كثيرة عن الجوارح، وألّف بعد ذلك عدد لا يستهان به من المتخصِّصين بالصيد رسائل تحتوي على معلومات مفيدة عن أخلاق الجوارح وما يحمد منها لوناً وشكلاً[21].

وعلى ما نعلم كان أول كتاب في تربية البُزاة والكلاب ترجمة من تأليف يوناني في العصر التاسع [للميلاد] وكان المسلمون في ذلك الزمان في حروب مع أهل (...)[22]، ولذلك قال الشيباني[23] الفقيه المشهور المتوفى سنة 804م: «ومن وَجَدَ من الغُزاة في دار الحرب فَهْداً أو بَازياً أو صَقراً غير مملوك لأحد، فأخرجه إلى دار الإسلام، فإنه يجعل ذلك في الغنيمة»[24].

وقال القزويني – وقد جمع المعلومات التي عثر عليها عند المصنِّفين كلهم: «البازي أشد الجوارح تكبّراً وأَضْيَقَها خُلْقا، يوجد بأرض التُّرك؛ لا يكون البازي إلاّ أنثى ومن هذا النوع ما خلق الله الذَكَر، ذكرها يكون من نوع آخر (...) وإن كان الغالب على لونه البياض فهو أحسن البُزاة وأملأها جسماً وأَجْرَأها قلباً وأسهلها رياضة، والأشهب لا يوجد إلاّ بأرض أرمينية وأرض الخزر[25]»[26].

وسمّى العرب القمح الأسود وهو ذو أزهار بيضاء مثل الريش؛ «صدر البازي». وقال الدميري، واجتمع على ذلك المؤلفون بأن «أحسن أنواعه ما قلّ ريشه واحمرّت عيناه مع حدَّة فيهما (...) ودون الباز الأشهب، [الباز] الأزرق الأحمر العَيْنَين والأصفر دونهما»[27].

إلاّ أن صاحب [كتاب] المصايد والمطارد[28] يُفضِّل الأحمر الأكثر سواداً الغليظ خطوط الصدر، وهذا ما يُحْمَد عادةً في الصقور لا في البُزاة.[29]

أما أهل البَيْزَرة[30] في الغرب، فقد فَضَّلوا الباز الأشهب على جميعها[31]. وقد ألّف كثير من العرب والعجم كتباً في أوصاف الجوارح حتى أنه كان من واجبات كاتب الدولة أن يَعْلَم صفَاتها (نقرأ ذلك في صُبْح الأَعْشَى للقلقشندي). أما

الكتاب الأكثر تفصيلاً[32] في هذا المضمار هو كتاب «صَنْعَة الصَّيد بواسطة الجوارح» الذي ألَّفه الإمبراطور الألماني فريدريك الثاني[33] ملك صَقَلية المتوفى سنة 1250م وهو من أَجِّل ملوك الغرب وأكثرهم تَمَاسًّا بالعرب الذين كانوا قد حَكَموا جزيرة صَقَلية مدة طويلة قبل أن يفتحها أهل الشمال.

ونجد في كتابه الضخم الذي كتبه باللاتينية[34] تفصيلات عن تفرّعات تربية الجوارح وتهذيبها وكثير مما ذكر يوافق ملاحظات العرب إلاّ أنه لم يكرِّر الغَلط المشهور بأنه لا يوجد من البازي إلاّ الإناث [فحسب]، ولكنه أثبت «أن الصائد الكبير الجثة المعتبر في الصيد في جميع أجناس الجوارح هو الإناث». ويصف ألوان الجوارح وأشكالها بمنتهى الدِّقة، وهذا قريب من وصف المؤلفين العرب للبُزاة وسائر الجوارح. ونجد فيها بالخاصة الصقر. وقال الدميري: «إن العرب تُسمي كل طير يصيد صقراً ما خَلا النسر والعُقاب (...) وبهذا السَّبب يضرى[35] على الغزال والأرنب ولا يضرى على الطير لأنها تفوته، وهو أهدأ من البازي نَفساً، وأسرع أُنساً بالناس، وأكثرها قنعاً (...) ومعناه في الرؤية هو العز والسلطان والنَّصر على الأعداء وبلوغ الآمال»[36].

ومن جنس الصقر على ما قالوا السنقر[37]، وهو أشرف الجوارح، والسناقر تجلب من البحر الشامي[38] مغالياً في أثمانها وكان الواحد منها يبلغ ألف دينار، ثم نزل عن تلك الرُّتبة، هذا ما ذكره مؤلِّف مصري في القرن الخامس عشر [للميلاد]. ومن جنس الصقر أيضاً الشاهين الذي كان محموداً في بلاد الهند، ومنه اليؤيؤ السريع الطيران. قال فيه بعضهم:

ويؤيؤ مُهذَّب رَشيق
كأنَّ عَينيه لدى التحقيق
فَصَار مخروطان من عَقيق[39]

ومنهما أيضاً الباشق[40] الخفيف المَحْمَل الظريف الشَّمَائل الذي يليق بالملوك أن تخدمه لأنه يصيد أفخر مما يصيده البازي.

ومنها البيدق[41] [وهو] لا يصيد إلاّ العصافير:

مؤدَّب مدرَّب الخلائِق — أَصْيَد من معشوقةٍ لعاشق[42]

وكلّهـــا - أي البـــزاة - حـــارّة المزاج وأحسنها خَلْقا وخُلُقاً تلك التي يقع موطـــنها في الـــشمال، ولا يـــسهل القبض على هذه الجوارح وتربيتها[43]. وقال أحدهم إنه من فضيلة الباز «إن الصيد فيه طبيعة لأنه يؤخذ من وَكْرَه فَرْخاً من غير أن يكون صَادَ مع أبويه، فَيَصيد ابتداءً وقريحةً من غير تدريب، بخلاف الصقر، فإنه إذا أُخذ قبل أن يتصيَّد مع أبويه لم ينجب ولم يَصِدْ، وإذا كان قد لحق أبويه وصار معهمـــا ثم عُـــوِّد أكثر مما يوجد عنده في تلك الحال وجرى على ما هو أكبر من الظِّبَاء اعتاد ذلك ومَهَر فيه».

وقـــال الإمبراطور فريدريك إنه من المفضَّل ألاّ يُؤخذ الفَرْخ من عِشّه بل أن يُقبض على البُزاة الكبيرة - ولو بأنواع المصائد - لأنها أكثر فائدة من صغيرها مع صعوبة ذلك.

وسَـــلَكوا في قديم الزمان مناهج مختلفة للقبض على البزاة والصقور، وبعد أن ملكـــوها ابتدأوا بتربيتها وتهذيبها وهذا من مهمّات البازدارية. وعليهم أن يَعْلَمُوا كل ما يختص بالجوارح التي في حيازتهم كما وصف ذلك أبو بكر الأشعري[44] - مـــثالاً لسائر المؤلفين- في كتابه مثلاً: تقديم الطعام للضواري حسب[45] طبيعة كل واحـــد[46] مـــنهم، امتحان الضواري، سياسة الضواري، التضرية والإجابة [إذا] أحـــسن البازي إجابة، إرسال البازي الفرخ وتجسيره على الصيد، تدبير البازي إذا قـــلّ حرصـــه على الصيد، تجبير البازي على عظام الطير، تدبير البازي إذا قَرْنَص، إضمار الطير بعد خروجه، معرفة صحّة الطير، دلائل أمراض الطير وسائره.

وعَـــدَّ الإمبراطور فريدريك صفات البازدار في مقدمة الكتاب (أي الفَصل) الثاني لرسالته المذكورة، وأيضاً في الباب السابع والأربعين من هذا الكتاب، وقال: إنه على البازدار مهمّات كثيرة مختلفة الأنواع، منها أن يهذّب جوارحه أَدَق تهذيب إلى أن تبقى معه وتَفْقد خوفها الجبِلّي[47] من الإنسان، وأن يُعلِّمَها صَيْد الطيور التي اختارها هو، لا غير وهذا لا يسهل لأنه ضد مَيْلها الطبيعي.

ولذلك يتطلّب من البازدار أن يكون حائزاً على كثير من الصفات المحمودة؛ أن يكـــون متوسِّط القامة لا بطويل ولا بنحيف ولا بسمين، ذَكَراً عاقلاً، صَبوراً غايـــة الصبر، ذا ذاكرة قوية يتذكّر أخلاق بُزاته المختلفة، بصيراً يرى صقوره ولا

يفقدها، ذا سمعٍ دقيق يدرك أصوات الطيور وصوت الجرس الذي في رجل بازه، ذا صوت عالٍ تسمع البزاة صوته من بعيد، خفيف الحركة، متيقّظاً، جسوراً، يستطيع السباحة، ولا يؤخذ الشاب لهذه الوظيفة بل الرجل الكاهَلَ لأن الشاب قليل الصبر لا يحب إلاّ الصيد الموفّق وربما لا يُبالي بالنظام المقرّر لتهذيب الصقور. ومن صفاته المطلـــوبة [أيـــضاً] أن يكتفي بالنوم القليل ولا يستسلم للنعاس، لأنه يفتِّش على الجوارح في الليل وينهض من السبات قبل السَّحر، وهذا ما نقرأه أيضاً في الأشعار إذْ وَصَف ابن المعتز الصيد:

قـــد أغْـــتَدى أوْ باكـــراً بأسْحَارِ ونحـــن في جِلْـــبَاب لَيْلٍ كالقَارِ[48]

ولا يكـــن البازدار مُغرماً بالأكل وإلْتِهَام الأطعمة اللذيذة، ولا سكّيراً مُدمناً علـــى الخمر - لأن الخمر تُنسيه الاعتناء بالضَّواري- ولا صاحب حِدَّة ولا غَضُوباً أو كَسلان أو مُهْمِلاً أشغاله. وهذا ما طلبه الإمبراطور الألماني من بزادرته!

ومـــن أهم ما نستنتجه من رسالته هو دور العرب في تعليم البُزاة وخاصة إدخالهم غـــشاء الباز[49]. وكان أهل الغرب يُغلقون عَيْنَيْ الباز المحبوس قبل أن يربُّوه، ويُخيطون أجفانه بإبر وخائط لئلاًّ يرى وجه الإنسان، وبعد أن يتم تهذيب الباز يفتحون له عينيه، فيرى كل ما في العالم. وقال الإمبراطور في الباب السابع والسبعين من كتابه:

«إن غـــشاء الـــباز من مخترعات أهل الشرق وعمل بها أولاً - على ما كان معلـــوماً عندنا- العرب. ونحن، لما سافرنا عبر البحر، رأينا استعماله ودرسنا طريقة وضعهم هذا الغشاء على رؤوس البزاة. وأما ملوك العرب، فلم يكتفوا بإهدائهم لنا أنـــواع البـــزاة فحـــسب، بل أرسلوا معها البزادرة الذين يعتبرون اختصاصيين في استعمال الغشاء. وإننا منذ أول عَزْمنا على كتابة رسالة كاملة في البيزرة أدخلنا - مـــزيداً علـــى منابع العلم المذكور- ضواري ورجال ماهرين في هذه الصَّنْعة جاء بعـــضهم من بلاد العرب وبعضهم الآخر من سائر البلدان، وحصلنا منهم عل كل مـــا عـــرفوا مـــن علم. ولمّا كان استعمال الغشاء أفضل ما كان لديهم من مناهج الـــتهذيب قِـــيمَة ولمـــا شـــاهدنا فائدته العظيمة في تربية الصقور، اتخذناه لبُزاتنا واستحسناه حتى أن معاصرينا أخذوا منّا طريقة استعماله».

ومعنى ذلك أنَّ العرب هم الذين بدأوا بهذا المنهاج المفيد الذي حلّ في القرون الوسطى محل المنهاج القديم، يعني إغلاق عَيْنَي الباز لمدة تدجينه.

ونعلم أن رسالة لابن سينا[50] في علوم الطبيعة ترجمها ميخائيل سكوت[51] في زمان الإمبراطور فريدريك الثاني، ويغلب الظن أنه قام بهذه الترجمة بأمر فريدريك، وترجم دانيال الكريموني[52] رسالة عربية في البيزرة لولد هذا الإمبراطور الذي وَصف الشاعر الألماني ريلكه في أحد أشعاره كيف أملى رسالته في البيزرة وكيف كان يَصرف أكثر أوقاته في تهذيب الباز الوحشي الجميل حتى أن قلبه كان يطير مع البزاة إذا خرجت للصيد.

وذكر مؤلفو العرب؛ الملوك الذين اتخذوا لهم أنواع الجوارح للصيد، وقال ابن منقلي[53]؛ إن أول من صَاد بالبازي ملك الروم، وذلك أنه رأى بازاً إذا أعلاه كفّف وإذا أسفل خفق وإذا أراد أن يسمو درق، فاتبعه حتى وقع على شجرة، فأعجبته صورته، فقال هذا طائر له سلاح يزين به الملوك، فأمر بجمع عدة من البزاة وجُعلت في مجلسه، فعرض لبعضها طير، فوثب عليه، فقتله، فقال هذا ملك يغضب كما تغضب الملوك.

وقالوا إن أول من صاد بالشاهين قسطنطين[54] ملك الروم وكانت الشواهين قد ربطت له وعُلّمت أن تَحُوم على رأسه لتظلّه من الشمس وتنحدر مرة وترتفع أخرى إلى أن ركب يوماً، فثار طائر من الأرض، فانقضّ عليه شاهين، فأعجَبَ الملك ذلك، فضراه على الصيد[55]. وقال ابن عفير[56] كانت ملوك العرب إذا ركبت في مواكبها طيَّروا الشواهين فوق رؤوسهم وكان ذلك عندهم هو الرتبة العظيمة. ولا شك أن الروم أول من ألّفوا رسائل في البيزرة وأخذ العرب عنها أشياء مهمة. وأضاف المؤلف قائلاً:

«وأول من اصطاد باليؤيؤ بهرام جور[57] الإيراني؛ أي أن الصيد لهذا الطير مخصوص بالإيرانيين. وأول من ولع بالعُقاب أهل المغرب، وقيل إن قيصر أهدى إلى كسرى عقاباً وكتب إليه علّمها، فإنها تعمل عملاً أكثر من الصقور التي أعجبتك».

ونرى من ذلك أنه قبل أن يقوم الإمبراطور فريدرك بتأليف رسالته في النصف الأول من القرن الثالث عشر [للميلاد]؛ كان أجداده من الملوك قد اشتغلوا بهذه

الـــصَّنعة الأصـــلية. وقـــد مضى ذكر ملكة برتا، وكان شارلمان[58] – معاصر هارون الرشـــيد[59]– قد نشر قانوناً أمر فيه بحماية البيزرة، وكان الملك هنري الرابع[60] (المتوفى سنة 1106م) وكذلك الملك فريدريك بارباروسا[61] (أبو اللحية الحمراء المتوفى 1190م في أثناء الحروب الصليبية) يحبّان البُزاة والبيزرة، ونجد أسماء فيليب أوجوست الملك الفرنسي[62] (المتوفى 1223م) وهو حليف[63] لفريدريك الثاني وصديقه.

ولقـــيت[64] البيـــزرة رواجاً في إنجلترا حيث اعتنى بها الملك إدوارد الثالث[65] (المـــتوفى 1377م) حـــتى أن راهبة، رئيسة دَير، اسمها يوليانا برنيه (المتوفية 1485م) ألّفـــت رسالة في البيزرة! ولا ننس ذكر اسم شارل الخامس[66] الإمبراطور العظيم (المتوفى 1558م) في قائمة الذين عملوا بهذه الصَّنعة.

ونجد إلى الآن في ألمانيا بجوار كثير من المدن الصغيرة التي كانت فيما مضى[67] مـــساكن للأُمـــراء والأساقفة قُصَيْرات تسمى بفازانري أي «محل التدرُّج» بمعنى «مطعم الطير» وكان أهل الرياسة يجتمعون هناك للصيد بالجوارح.

ونشرت طبعة الترجمة الألمانية لكتاب «صَنعة الصيد بواسطة الجوارح» تأليف فريدريك الثاني في سنة 1756م في مدينة انسباخ[68] بأمر أميرها المشغوف بالبيزرة.

ويروي لنا عن قرية صغيرة في بلاد الفلمنك[69] اسمها فالكنفرت أي تل البزاة؛ كانت مَركزاً للبيزرة في أوروبا لمدى قرون طويلة، اختصّ أهلها بالقبض على البزاة وتهذيبها.

ولم تـــزل البيـــزرة تلعـــب دوراً حتى في عهد الطائرات[70] النفّاثة، فإنه من المعـــروف[71] أن بعض الطائرات القريبة من البحار والمحيطات تَتَجَمهر فيها أسراب الطيور، وبخاصة أسراب النورس، وهي ربما تُلحق بالطائرات أضراراً إذا اصطدمت بهـــا، وقـــد تُسبِّب هذه الصدمات أضراراً بالغة على الطائرات، فتكلِّف مصاريف تـــصليحها مـــا يقرب من عشرة ملايين من الماركات في ثلاث سنوات. ولذلك أَوْصَـــت الحكـــومة الكندية أحد المتخصِّصين بالبيزرة بتهذيب أربعة بزاة، فربَّاها، وطيَّرها على أسراب النورس في بعض المطارات في كندا، ويتحيَّر السائح إذا شاهد رجـــلاً على يده باز مغشي الرأس، فإذا اقترب هذا الطير الجارح من النورس تخاف منه وتهرب وقد انصرف كثير منها عن المطارات بعد ذلك[72].

أمـــا في الشرق، فكانت للبيزرة أهمية أكبر منها في الغرب. فبلغت في أيام[73] الخلـــيفة المـــتوكّل العباسي نفقات أرزاق الكلابزيين[74] والبازدارية والفهّادين[75] خمسمائة ألف درهم في السنة.

وحكى الرحّالة[76] البندقي المشهور ماركو بولو[77] أنه لما جاء لزيارة الخاقان قـــوبلاي خان[78] سنة 1290م رأى ما يقرب من عشرة آلاف من البازدارية أو ما يـــشبههم، وكـــان لكل باز يملكه الخاقان أو أمير من أمرائه لوحة صغيرة فضية في رجله مكتوبٌ عليها اسم صاحبه[79]. وقيل لما سئل أولاد قوبلاي خان، أين تجدوا كمال اللذة أجابوا: في الصيد وتَطْيِير البُزاة.

أمـــا غازان خان[80] خاقان المغول في إيران، [فقد] كتب المؤرخ رشيد الدين[81] أنه أخرج نظاماً جديداً لأهل الصيد والبيزرة لأنهم قد ازدادوا شقاوة وظلماً، فقطع نفقاتهم وأمرهم بأن يرسلوا من الولايات الإيرانية ألْفَا بازٍ مهذّب وثلاثمائة فَهَد إلى مراكز الحكومة.

و[ممـــا] يدلّ على حب المغول والأتراك للبيزرة والصقور أيضاً أسمائهم وكثيراً مـــا تجد فيهم من سمّوه باسم طير جارح؛ مثلاً سنقر، آق سنقر (السنقر الأشهب)، لاجين، بلبان، طغرل ومثل ذلك. وصوَّر أحد الرسامين الأمير باي سنقر التيموري[82] يحمـــل بازاً وقال فيه الشاعر؛ إنه يحمله لكي يصطاد قلب العالم (تا دل عالمي شكار كند).

ومـــن تأخذه الدهشة لعظَم هذا العدد من الجوارح التي تخص - على حسب وصف ماركو بولو ورشيد الدِّين- ملك واحد، فليقرأ ما كتبه الملك كيكاوس بن اسكندر الزياري[83]، أمير جُرجان في [كتاب] قابوس نامه الذي ألَّفه لولده المحبوب سنة 475هـــ/1083م[84]، وقال في الباب الثامن عشر «من الصيد»: إن الأمير يصيد بالبـــزاة والشواهين والصقور، وإنه من عادات ملوك خُراسان ألاَّ يحملوا الباز على أيـــديهم، أما ملوك العراق والأمراء هناك، فهم يحملون الباز بأنفسهم. ويظن الملك كـــيكاوس أنه يليق بالملك أن يحمل ويُطيِّر بازياً ولكنه لا يطيِّره إلاَّ مرة واحدة ثم يأخذ بازياً آخر.

وهذا القابوس نامه من أشهر الكتب الفارسية القديمة ترجمه المستشرق الألماني هـــ. ف. فون ديتس[85]، صديق شاعرنا الكبير غوته[86]، إلى الألمانية سنة 1811م،

ونَشَر بعد ذلك بسنين [عدة] مستشرق نمساوي، [هو] يوسف فون هامر بورجستال[87] كتاباً جامعاً لثلاث رسائل في البيزرة، اسمه Falknerklee أي «برسيم البزادرة».

أما سلاطين مصر في عهد المماليك، فإنهم ثابروا على الاهتمام بالبيزرة، ونجد عندهم أمير آخر كبير وهو من أجلّ الأمراء المقدَّمين ألّف في ذلك الوقت وكان تحت أمره أمير شكار[88] وهو في رتبة «أمير عشرة»[89] وحارس الطير، ومن المماليك الصغار من لُقّب بالبزادرة وهم «الصبيان الذين يحملون الطيور على أيديهم»؛ وكَاشف الطير، والخواندار[90] وهو الذي يطعمها؛ وكان السلطان أحياناً يزور مَطْعم الطير الذي بالريدانية[91] «وأُطْعِمَت طيور الصيد بحضرته على العادة» أو «أطلقوا قدّامه الكلاب والصقور والفهودة وانشرح في ذلك اليوم» (سنة 918 هـ/1512م) ولكن ذلك ما كان «إلاّ لاقتفاء العادة لأن الطير والوحش التي أُصطيدت[92] كلاهما كان مع أمراء شكار».

وكان سلاطين المغول في الهند مُغْرَمون بالبيزرة إلى حدٍّ كبير حتى أنهم جعلوا الرسامين يصوّرون صُوَر صقورهم المحبوبة، وفي كثير من اللوحات اللطيفة نرى رسوماً للسلطان أو لأمير أو أميرة وعلى أيديهم[93] باز؛ وصنّف المؤلفون في عهد المغول من الرسائل باللغة الفارسية والأردية ما استرعى انتباه أهل الغرب، منها «باز نامه» لتيمور ميرزا، ومنه ليار محمد خان، وتأليف مهم في هذا الموضوع لخدايار خان طبعوه في الهند قبل عصر واحد، وهناك كتب أخرى في المكتبات[94] الخاصة في بلاد الهند والسند.

ومن الطبيعي أن هذه الجوارح النَّجيبة أصبحت مثالاً للكبر والقوة عند الشعراء في الغرب والشرق وضربت بها الأمثال، منها ما يذكر محمد بن منقلي الفقيهي في (مناهج السرور والرشاد): «إذا لم يتبعك البازي، فانتف ريشه»[95] و«لا يفزع البازي من صياح الكركي»[96] وكان هذان المثلان من أمثال المولّدين لا العرب العرباء على ما قال.

وشَكَا الشاعر من جفاء الدَّهْر قائلاً:

وكُلّ بازٍ يمسّه هَرم يجري على رأسه العصافير[97]

وصَدَق من قال في حال الشيخوخة والعَجْز:

وكـــنت كـــبازِ الجَوِّ قُصَّ جناحه يـــرى حـــسرات كلما طار طائرُ

يـــرى طائرات الجو تَخفض حوله فيذكـــر إذ ريش الجناحين وافرُ[98]

ولكـــنهم في أكثـــر الأبيات والأمثال يمدحون الباز الأشهب أو «الكافوري» كمـــا يـــسمى في الهـــند، ونسبوا مَدح هذا الطائر على ملوك الماضي والفلاسفة الغابـــرين كمـــا كـــتب أبو بكر الأشعري في كتابه «الجوارح وعلم البزدرة»، أن كسرى أنوشَروان قال:

«**الـــبازي رفـــيق حَسَن لا يأخذ إلاّ في وقت الفرض. وقال قيصر: البازي مَلِـــك كريم إن جَاع أخذ وإن استغنى تَرَك. وقال الفلاسفة: حسبك من البازي سرعته في الطلب وقوته في الريق**»[99].

وقال ابن منقلي الفقيهي في كتابه المذكور: «إن من شرف البازي أنه صُنِّفَ فـــيه ولُقِّبَ به الإمام الجليل – أحد الفقهاء المشهورين- أبو العباس بن سريج[100]، فقـــيل فيه الباز الأشهب وناهيك بهذا التنويه». ومما ينوّه بذلك، بل أبلغ من الأول قول سيدنا الشيخ العارف بالله تعالى عبد القادر الجيلاني:

أنـــا بُلـــبُلُ الأفراحِ أمْلأ دَوْحَها طَـــرباً وفي العَلْياءِ بازٌ أشهب[101]

وكـــان الـــشيخ عبد القادر -كما حكى الدميري- دَخل على الشيخ حمّاد الـــدباس[102] يـــزوره، فنظر إليه الشيخ وكان قد رأى أنه قد اصطاد بازياً، فأثّرت نظـــرة الـــشيخ فيه، فخرج من عنده وتجرّد عن أسبابه وكان من أكابر أصحابه. ولَقَب الشيخ عبد القادر إلى الآن «الباز الأشهب»[103] عند أهل طريقته.[104]

والـــباز هو الطير الحُر الذي يريد الطيران في الفضاء[105]، ولذلك أخذه شاعر ألماني في منتصف[106] القرن الثاني عشر مثالاً للحبيب الذي يترك محبوبته، وقال على لسان امرأة منتظرة عودة معشوقها:

ربّيت لي بازياً أكثر من سنة

وزيّنت جناحيه بشرائط من ذهب

فحلّق في الفضاء طائراً ولم يرجع

ويختم الشعر بالدعاء:

لَيْت الله يجمع بين المشتاقين المتلهِّفين إلى اللقاء!

وفي الشعر الفارسي والتركي، وبخاصة في أشعار المتصوّفة، يُعبّر البازي عن الروح الحُرّة التي كانت محبوسة عند عجوز وهي الدنيا، والطير السلطاني يشتاق إلى حضور السلطان ويَطير إلى يده عندما يسمع صوت الطبل. وهذا التشبيه قديم جداً، لأن الأقوام الابتدائية[107] وأهل مصر القديمة كانوا يُشبِّهون الروح بطير يترك الجسد وقت الموت[108]؛ ومما لا شك فيه أن هذا الرمز أثّر في تشبيه الروح القُدُس[109] بالحَمامة في الرموز المسيحية[110].

ونَقرأ في الأدب الجاهلي كذلك أن الطير له علاقة بروح الميت ويذكر الشعراء الهَامَة[111] وهو[112] طير يطير حيث سفكت الدماء، حتى أننا نجد في حديث مشهور وَصْف لَمقام الشهداء الذين تبقى أرواحهم في أجواف طيور خضراء[113].

وإن لهذا التشبيه علاقة بحكاية الوَرد والعندليب في الأشعار[114]، وليست هذه الحكاية إلاّ تعبيراً عن العِشْق الأزلي بين الروح الإنسانية التي هي العندليب النائح[115] وبين الجمال المطلق الذي يظهر في شكل الوردة الجميلة. ومن المعلوم أن هذا التشبيه كثير الاستعمال في الأدب الفارسي والتركي؛ ونجد الشعراء كذلك يشبّهون الإنسان بالبَطْ[116] الذي نِصْفُه مربوط بالأرض ونِصْفه بالبحر أي بعالم الروح.

ولم يزل الشعراء يُعبِّرون عن اشتياق الروح المحبوسة في البدن إلى الحرية ويشبّهونها بالطير في القفص. والمثال المشهور لهذا التشبيه هو كتاب منطق الطير لفريد الدين عَطّار[117] الذي يصف سياحة الطيور الثلاثين إلى جبل قاف[118] حيث تسكن العنقاء، وهي بالفارسية سيمرغ[119]، وتدرك الطيور الثلاثون (وهم بالفارسية "سي مرغ") بأنهم أنفسهم سيمرغ، أي أن أرواح الأفراد في أصلها متَّحدة بالذات الإلهية. وقال عَطّار في أحد أبواب شعره؛ إن الباز كان كثير الافتخار حتى أنه لم يُرد السَّفر إلى جبل قاف لأنه لا يحب الخضوع إلاّ لسلطانه.

«ومن شرف البازي أن الملوك تحمله على أيديهم» هكذا قال ابن منقلي. ولذلك يودّ الشعراء أن يَصِفُوا الباز جالساً على سَاعدْ سلطانه. وقال يونس إمْره المتصوّف التركي في ذلك:

كان يونس بازياً، جَلَس على سَاعدْ طابدق[120] (وهذا اسم شيخه)

وفي بيت آخر له:

عَاد طَيْر رُوحي يطير

جَلَس على سَاعدْ الملك يتكلَّم بالأسرار.

لأن الشيخ تمثَّل بسليمان النبي[121] الذي كان يعرف منطق الطير.

واستعمل مولانا الرومي هذا المثال في كثير من أشعاره حيث يصف بألطف التعابير شَوْقُ الباز الرَّوحاني المحبوس في ظلمات الدنيا إلى الطيران بالفضاء، فقد غلب عليه حرصه وطمعه، فوقع في الفخ، فأصبح كالأسير في غرفة ضيّقة، وعلى رأسه غِشَاء (وهو غشاء الحرص الذي يغلق عَيْنَيه)؛ أو أنه كالمريض في وسط جماعة من الغربان التي لا تفهم اشتياقه إلى وطنه الأصلي؛ وإن رُفع الغشَاء عن عينيه وسمع صوت الطبل السلطاني يوم الرحيل رجع إلى سلطانه؛ حتى أن مولانا الرومي قال في بيت له إن الباز يسمى بازاً لأنه يرجع (بالفارسية: باز ايد) إلى ساعد السلطان[122].

وفي بعض الأشعار نرى الباز كمثال للسطوة، لذلك يشبّه الشاعر نظرة العين القاتلة بالشاهين، أو يصف جَذبه للوَجْد ببَاز يقبض على الطائر ويحمله إلى السماء، ونجد أيضاً التعبير «باز الأَجَل» الذي يسلب الروح من الإنسان، ومن الطبيعي أن مولانا الرومي وصف «باز العشق» الذي قَبَض على قلبه المجروح وطار به إلى اللانهائية.

كل ذلك يشير إلى شرف الجوارح بالعموم والبزاة بالتحديد[123]، وذكّرنا ذلك بالشيخ الذي لاقيناه وسط حشد كبير في مدينة برلين حاملاً بازه على يده؛ بأن ملوك الشرق والغرب كانوا يحملون بزاتهم وصقورهم كذلك، وأن أهل البيزرة الذين قد تعلّموا الحِلم والصبر وحسن النيَّة عند تهذيبهم الجوارح كانوا يهذّبون قلوب أمراء العرب والعجم، حتى صار حُب البيزرة من صميم الروابط بين الشرق

والغـــرب في القـــرون الوسطى لأن كل من اشتغل بهذه الصنعة فَهِمَ معنى المصراع المشهور:

وهَل يَنْهَض البَازي بغيرِ جَنَاح؟[124]

الذي يقال في الحَثّ على التعاون والوفاق.

الهوامش والإحالات

1. البَاز أو البازي: جنس من الصقور الصغيرة أو المتوسطة الحجم، تميل أجنحتها إلى القِصَر، وتميل أرجلها وأذنابها إلى الطول. جمعها: بواز وبُزاة. ولفظ البازي مشتق من البَزْو، وهو الغلبة والقهر؛ وقيل: البازي لا يكون إلاّ أنثى، وذكرها يكون من نوع آخر من الحدأة والشاهين، ولهذا ترى الاختلاف في أشكال البزاة.
2. الأشهب؛ البياضُ المختلط بالسواد.
3. في الأصل: «طويلة».
4. البيزرة لغة: حرفة البيزار، وهو مدرب جوارح الطير والحيوان على الصيد. والبيزرة اصطلاحاً: علم بأحوال الجوارح من حيث صحتها ومرضها، ومعرفة العلائم الدالة على قوتها في الصيد، أو ضعفها فيه. وقد عدّ هذا العلم من البيطرة أي طب الحيوان. وكلمة البيزرة فارسية الأصل، عرّبت وأطلقت على علم حياة الباز وتربيته، كما أطلقوا البازيار على القائم على الباز، أو على مالكه، ثم عمّمت الدلالة، فأطلقت البيزرة على علم حياة الجوارح عامة.
5. يعقوب بن ليث الصفّار (ت 265هـ/879م): زعيم سياسي فارسي مسلم. مؤسس الدولة الصفّارية. بَسَط سيطرته، بالإضافة إلى فارس، على أجزاء من أفغانستان وباكستان الحاليتين.
6. في الأصل: «بعض».
7. لم أعثر على الأبيات أو قائلها.
8. في مكتبة الأزهر الشريف كتاب بعنوان «التحف والهدايا» لمؤلفه أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد النيسابوري.
9. قال الشاعر والرسام الانجليزي وليم بليك (1757- 1827م):

   إذا رأيت صقراً

   فارفع رأسك

   لأنك ترى

   قبساً من العبقرية.

   (علي، صلاح سليم. 1985. تصوير الصقور والبزاة في الشعر العربي والانجليزي. مجلة آفاق عربية. بغداد. العدد11. ص 56).
10. انظر: الدميري، كمال الدين. 2003. حياة الحيوان الكبرى المصورة. ج1. بيروت. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. ص 137.
11. الوعيظي: لم أعثر عليه في كتب التراجم والأدب.
12. انظر: الدميري، كمال الدين. حياة الحيوان الكبرى المصورة. مرجع سابق. ج1. ص 137.
13. قارن: ابن سيرين، محمد. 2000. تفسير الأحلام. ط1. بيروت. دار الفكر العربي. ص 190.

14. عبد الرحمن الأول أو عبد الرحمن الداخل (ت 172هـ/788م): أمير أموي. أسس الدولة الأموية في الأندلس بعد أن استولى على قرطبة. قضى على عدد من الفتن والثورات. يلقّب بـ «صقر قريش»، ويعتبر – بإجماع المؤرخين– أحد أبرز الأبطال العرب في مختلف العصور.
15. اليؤيؤ: طائر من جوارح الطير كالباشق، وهو طائر صغير قصير الذَّنَب.
16. قارن: أبو نواس، الحسن بن هاني الحكمي. 2003. ديوان أبي نواس. تحقيق: غريغور شولر وإيفالد فاغنر. طبعة خاصة. المجلد الثاني. دمشق/بيروت. دار المدى. ص 253-254.
17. في الأصل: «تأليفات».
18. الجاحظ، أبو عثمان بن بحر (ت 225هـ/869م): أحد أبرز الأدباء العرب في مختلف العصور. ذكروا أنه ألّف نحواً من ثلاثمائة وخمسين كتاباً أشهرها «البيان والتبيين»، و«البخلاء» و«الحيوان».
19. القزويني، عماد الدين زكريا بن محمد (ت 682هـ/1283م): مؤرخ وجغرافي عربي. تولى القضاء في واسط والحلّة زمناً. من أشهر آثاره: «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» في الطبيعة والتاريخ وغيرهما، وكتاب «آثار البلاد وأخبار العباد».
20. الدميري، كمال الدين محمد بن موسى (ت 807هـ/1405م): أديب عربي. ولد ومات بالقاهرة. تقوم شهرته على مؤلفه: «حياة الحيوان الكبرى»؛ وهو معجم في علم الحيوان، مرتباً على أسماء الحيوان أبجدياً.
21. نذكر من هذه الكتب على سبيل المثال لا الحصر: كتاب (البيزرة)، وهو من تأليف أبو عبد الله الحسن بن الحسين البازيار، وقد طبع هذا الكتاب بعناية محمد كرد علي، ورعاية المجمع العلمي العربي بدمشق، باعتماد نسخته الوحيدة في العالم، وهي مخطوطة ترقى إلى القرن الثامن الهجري. وهناك أيضاً كتاب (الجمهرة في البيزرة)، وهو من تأليف عيسى بن علي بن حسّان الأزدي – من معاصري مؤلف كتاب البيزرة – وتحتفظ به مكتبتا الأسكوريال في إسبانيا وآيا صوفيا بتركيا. وكذلك كتاب (البزاة والصيد) تأليف الأمير أبي دلف العجلي. وكتاب (القواعد المحبرة في البيطرة والبزدرة) لداود الأنطاكي. وهذان الكتابان مخطوطان في مكتبة باريس. وهناك كتاب (القانون في البيزرة) في الخزانة التيمورية. وهناك أيضاً كتاب (المصائد والمطارد) تأليف أبي الفتح كشاجم. وكتاب (مناهج السرور والرشاد في الرمي والسباق والصيد والجهاد) لزين الدين عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي. ونذكر كذلك كتاب (الكافي في البيزرة) لعبد الرحمن محمد البلبيدي (حوالي 576هـ/1180م).
22. كلمة غير واضحة في الأصل.
23. الشيباني، محمد بن الحسن (ت 189هـ/804م): من أئمة أهل الرأي. ولي قضاء الرقة للرشيد زمناً. إليه يرجع الفضل في نشر مذهب أبي حنيفة. من أشهر آثاره: «الجامع الكبير» و«الجامع الصغير» و«الأمالي».
24. قارن: السرخسي، أبو بكر محمد بن أبي سهل. (ب.ت). السير الكبير. ج3.
25. الخزر: اسم إقليم تسير من بلاد البجاناكية إلى بلاد الخزر عشرة أيام في مشاجر ومفاوز على غير طريق مسلوكة ومناهج معروفة حتى تنتهي إلى بلاد الخزر، وهي بلاد عريضة

يتـــصل بهـــا مـــن إحدى جنباتها جبل عظيم يمر إلى بلاد تفليس أول حدود أرمينية، ومدينة الخزر العظمى قطعتان على الشرقي والغربي من نهر اتل، وهو نهر يخرج إليهم من الروس ويصب في بحر الخزر، ويحيط بالمدينتين سور ولهما أبواب ولهم حمّامات وأسواق ومساجد وأئمـــة ومؤذنون. (للمزيد انظر: الحميري، محمد بن عبد المنعم. 1980. الروض المعطار في خير الأقطار. ط2. مؤسسة ناصر للثقافة. ص 218- 219.

26. القزوينـــي، زكـــريا بن محمد بن محمود. 2006. عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات. القاهرة. مكتبة الأسرة. ص 341.
27. قارن: الدميري، الشيخ كمال الدين. حياة الحيوان الكبرى المصورة. مرجع سابق. ج1. ص 137.
28. ورد في بعض المصادر أن كتاب (المصايد والمطارد) من تأليف ابن السندي.
29. قـــارن: القلقـــشندي، أحمد بن علي بن أحمد.2006. صبح الأعشى في صناعة الإنشا. ج1. القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص 32.
30. (بازدار) و(بازيار) أي حامل الباز ي وصاحبه، والجمع (بيازرة).
31. جـــاء فـــي كتاب «البيزرة» وهو مجهول المؤلف ما نصه: «أجمع أهل العلم بالضواري أن الـــبازي إذا كـــان ضـــارباً إلى البياض والشهبة كان أسرع البزاة وأحسنها وأسهلها رياضة وأقواها على السمو لأن البازي الأشهب والأبيض فيهما من الحرارة ما ليس في غيرهما لأن بياضـــهما لكثـــرة الثلج في بلادهما من أرمينية والخزر وجرجان وبلاد الترك». انظر: كرد علي، محمد. 1917. المقتبس. مجلد 9. بيروت. دار صادر. ص 119.
32. في الأصل: «تفصيلات».
33. فـــريدريك الثاني Frederick II (1194 - 1250م): رأس الإمبراطورية الرومانية المقدسة. ملـــك صـــقلّية. تميّز عهده بالصراع مع البابوية من أجل السيطرة على إيطاليا. أشرف على تـــدريس العلـــوم العربية في قصره ببالرمو، كما ألّف عدداً من الكتب باللغة العربية وترجم بعـــضها إلـــى اللاتينية. وفي سنة (1224م) أنشأ جامعة نابولي لتدريس ونشر علوم العرب وآدابهم.
34. تـــرجم الفيلسوف ثيردوروس Theodorus، الذي يحتمل أن يكون قد أتى من أنطاكية وعاش في بلاط الإمبراطور الألماني فريدريك الثاني، كتاباً واحداً على الأقل في البيزرة، ولا يزال هذا الكتاب موجوداً في مخطوطتين حتى الآن، وكان كتاب البيزرة المترجم هذا هو الأساس الـــذي اعتمد عليه فريدريك في وضع مؤلفه الخاص في هذا الموضوع والمعروف باسم (فن الصيد بواسطة الطيور -De Arte venandi cum avirbus).
35. ضرى: أي درّب الجارح للصيد ليكون ضارياً.
36. انظر: الدميري، كمال الدين. حياة الحيوان الكبرى المصورة. مرجع سابق. ج1. ص 136- 140.
37. سُـــنْقر: اســـم فارسي- تركي بمعنى الصقر الأبيض، سمّى العرب به، وممن سمّي به سنقر الأشقر الذي تسلطن في دمشق، وأسرة المصوّر محمد بن سنقر البغدادي الذي عمل للناصر قلاوون سنة 728هـــ (1327م) مرسياً من نحاس حلاّه بالنقوش البديعة وصور عليه صوراً من البط. وسُنقر أيضاً اسم أسرة من الأسر الإسلامية في طرابلس.

38. أطلق الجغرافي والرحالة العربي أبو عبد الله محمد بن محمد الإدريسي (ت 560هـ/1165 م) على البحر (الأبيض) المتوسط اسم البحر الشامي، واعتبره خليجاً يتفرّع من البحر المظلم.

39. لم أعثر على الأبيات أو قائلها.

40. الباشق: نوع من جنس البازي، وهو من الجوارح، يُشبه الصقر، ويتميّز بجسم طويل، ومنقار قصير بادي التقوّس. جمع: بواشق.

41. البيدق: نوع من جنس البازي. قال كشاجم:

حسبي من البزاة والبيادق ببيدق يصيد صيد الباشق.

42. لم أعثر على الأبيات أو قائلها.

43. قارن: كرد علي، محمد. المقتبس. مرجع سابق. مجلد 9. ص 119.

44. الأشعري، أبو بكر بن يوسف بن أبي بكر بن حسن بن محمد القاسمي القرشي العلوي. فيلسوف، ينسب له تأليف كتاب «الجوارح والبزدرة»، وهو مخطوط موجود في مكتبة باريس.

45. في الأصل: «على».

46. في الأصل: «شيء».

47. الجِبِلي: أي الفِطْري.

48. قارن: المعتز بالله الخليفة العباسي، عبد الله بن محمد. (ب.ت). ديوان أشعار الأمير أبي العباس. تحقيق: محمد بديع شريف. ج2. القاهرة. دار المعارف. ص 125.

49. غشاء الباز؛ هو البُرقع أو قناع الباز.

50. ابن سينا، أبو علي الحسين (ت 428هـ/1037م): فيلسوف وطبيب عربي، يُعرف بـ « الشيخ الرئيس». تجاوزت مصنفاته المائة. من أشهرها كتاب «القانون» في الطب. وقد برع ابن سينا في الشعر أيضاً وله قصيدة في «النفس» مشهورة.

51. ميخائيل سكوت (1175– 1234م): عالم ومترجم اسكتلندي عُهد إليه بأن ينقل من العربية إلى اللاتينية كتب أرسطو وشروح ابن رشد عليها، لتدرس في جامعة نابولي التي أسسها في سنة 1224 مستقلة عن الكنيسة.

52. دانيال الكريموني: لم أعثر على ترجمته في كتب التراجم. ولكن لعله من أقرباء العالم جرهارد الكريموني (ت 1187م) الذي قاد حركة جديدة للترجمة، وذلك في إطار اعتراف صريح بتقدم العرب في مجالات العلوم المختلفة.

53. ابن منقلي: لم أعثر على هذا الاسم في كتب التراجم. ولكنه قد يكون؛ محمد بزمنكلي صاحب كتاب (أنس الملا بوحش الفلا) في "البزدرة". وهو نقيب في الجيش المصري في أواخر القرن الثامن.

54. هو الملك قسطنطين ملك عمورية (أنقرة اليوم).

55. انظر: المسعودي، أبو الحسن علي. 2005. مروج الذهب ومعادن الجوهر. ط1. ج1. بيروت. المكتبة العصرية. ص 146.

56. ابن عفير: قد يكون المقصود هو سعيد بن كثير بن عفير، نسب لجدّة وهو من شيوخ البخاري. صدوق عالم بالأنساب.

57. بهرام جور: لقب لستة من ملوك الفرس حكموا إيران بين القرنين الثالث والسادس الميلادي (قبل ظهور الإسلام).

58. شارلمان أو شارل الأول (742- 814م): ابن الملك (بيبِّين القصير) ملك الفرنجة أو الفرانكيين وإمبراطور الغرب. تحالف مع الكرسي البابوي ضد بيزنطة، فتوَّجَه البابا ليو الثالث إمبراطوراً. أصبح بلاطه مركزاً فكرياً وسياسياً وإدارياً مرموقاً. يعرف أيضاً بـ «شارل الكبير».

59. الرشيد، هارون (193- 809م): خامس الخلفاء العباسيين وأبعدهم شهرة. يعتبر عهده، في رأي جمهرة من المؤرخين، أزهى عصور التاريخ الإسلامي. تبادل السفراء والهدايا، غير مرّة، مع "إمبراطور الغرب" شارلمان. حكم إمبراطورية واسعة امتدت من سواحل البحر المتوسط الغربية إلى الهند، باستثناء بيزنطة التي كانت تدفع إليه الجزية.

60. هنري الرابع، الإمبراطور (1050- 1106م): ملك ألمانيا ورأس الإمبراطورية الرومانية المقدسة. نشب صراع بينه وبين البابا غريغوريوس السابع. وقد أسفر هذا الصراع عن هزيمة هنري وإعلان خضوعه للبابا في كانوسا عام 1077م.

61. فريدريك الأول أو فريدريك برباروسّا (1123؟- 1190م): رأس الإمبراطورية الرومانية المقدسة. ملك ألمانيا. يعتبر أحد أبرز الوجوه السياسية في أوروبا خلال القرون الوسطى. شجّع الثقافة. وسّع الإمبراطورية ووطّد الأمن فيها. سار على رأس الحملة الصليبية الثالثة ولكنه مات غرقاً في احد أنهار فيليفيا. و"بربارِوسّا" معناها «ذو اللحية الحمراء».

62. فيلـيب الثاني (1165- 1223م): ملك فرنسا. شارك في الحملة الصليبية الثالثة. وفّق إلى تحرير أجزاء كبيرة من التراب الفرنسي من سلطان الإنجليز. يُعرف بـ "فيليب أوغسطوس".

63. في الأصل: «محالف».

64. في الأصل: «رأت».

65. ادوارد الثالث (1312- 1377م): ملك إنجلترا. دمَّر عند نشوب حرب الأعوام المائة الأسطول الفرنسي وغزا فرنسا، فانتصر على قوّاتها في معركة كريسي.

66. شارل الخامس (1500- 1558م): خلف الملك فرديناند على العرش الإسباني. كما عُرف بالإمبراطور المقدس. تنازل عن العرش عام 1555م.

67. في الأصل: «قبل».

68. مدينة انسباخ في مقاطعة بافاريا الألمانية.

69. بلاد الفلمنك هي هولندا الحالية، والتي تُعرف أيضاً ببلاد الأراضي المنخفضة.

70. في الأصل: «الطيارات».

71. في الأصل: «المعلوم».

72. حدث استخدام للصقور والبزاة، تمثل في حماية الآثار المهمة لمدينة هيركولانيوم التاريخية في ايطاليا، ففي عام 79 ميلادية، انفجر بركان فيزوف، وتسببت حممه ورماده في تدمير مدينتين بالقرب منه، هما بومبي وهيركولانيوم، لم تكتشف آثارها التي يغطيها الرماد الكثيف، إلاّ بعد مئات السنين من هذه الكارثة. وتقرر اعتبار مكانتها من الأثار التاريخية التي تجذب إليها آلاف السياح، خصوصا هيركولانيوم. لكن آثار هذه المدينة تعرضت في السنوات

الأخيرة الي مشكلة لم تخطر علي بال أحد بدلا من الخوف من إعادة ثوران بركان فيزوف، ظهر خطر الحمام. يهدد ما بقي من مبانيها القديمة بالتشويه والتحلل نتيجة لمخلفاته التي تكثر فـي بقايـا هـذه المدينة التاريخية، واقامة أعشاش علي انقاضها. وبعد فشل جميع الوسائل التقليدية لإبعاد أسراب الحمام عن هذه الآثار، تقرر الالتجاء الي الصقور، باعتبارها السلاح الوحيد القادر علي مواجهة هذه المشكلة.

73. في الأصل: «دور».

74. الكلابزيين: القائمون على رعاية وتربية الكلاب.

75. الفهّادين: القائمون على رعاية وتربية الفهود.

76. في الأصل: «السياح».

77. ماركـو بولو (1254- 1324م): رحالة بندقي (فينيسي) قام برحلة إلى الصين. قضى سبع عـشرة سـنة فـي خدمة الإمبراطور قُبلاي خان. ومن ثم رجع إلى فارس مصطحباً أميرة صينية، ثم انقلب إلى البندقية ليصف رحلته في «كتاب ماركو بولو».

78. قُـبلاي خـان (1215- 1294م): إمبراطور مغولي. حفيد جنكيز خان. فتح الصين وأسس سلالة يُووان المغولية. امتدت إمبراطوريته من المحيط الهادئ إلى نهر الفولغا وبولندا.

79. قـارن: رحلات ماركوبولو. 1996. ت: عبد العزيز جاويد. ج2. القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص 57.

80. محمـود غازان خان بن آرغون خان بن آباقا خان بن هولاكو (ت 703هـ/1303م): تولى السلطان محمود غازان عرش الدولة الإيلخانية سنة (694هـ/1295م) وبه بدأ عصر جديد فـي تاريخ المغول؛ حيث كان أول مرسوم يصدره ينص على أن الإسلام هو الدين الرسمي للدولـة، وبإسلامه أسلم أكثر من مائة ألف شخص في فترة قصيرة، وانقطعت الروابط التي كانـت تـربطه ببلاط الخاقان الأعظم للمغول في الصين. وتوفى غازان، وهو لا يزال في ريعان الشباب وعمره لم يتجاوز الثالثة والثلاثين.

81. رشـيد الـدين فضل الله بن أبي الخير الهمداني (أو الهمذاني)(ت 718هـ/1318م): مؤرّخ وطبيب وعالم في دولة الايلخانيين. ووزير الخاقان محمود غازان خان. اتهم بالإلحاد، فقتل. عـاش نحـواً مـن ثمانين وفي رواية عاش بضعاً وسبعين سنة. من مؤلفاته: تفسير القرآن وسـماه مفتاح التفاسير، التوضيحات في العقائد والتصوف. إلاّ أن أشهر مؤلفاته كتاب جامع التواريخ.

82. المقصود هو باي سنقر بن شاه رخ بن تيمور: صاحب مملكة كرمان.

83. المقصود هو كيكاوس بن اسكندر بن قابوس بن وشمكير.

84. اشتهر أمراء الفرس من حكّام الولايات بشغفهم بالبيزرة، حتى أن بعضهم قد ألّف فيه الكتب والرسـائل، ولعـل من أشهر هؤلاء أمير جرجان كيكاوس بن اسكندر الزياري الذي صنّف لولده كتاب «قابوس نامه» سنة 475م، خصّ الباب الثامن عشر منه للبيزرة.

85. فون ديتس: لم أعثر على ترجمته في كتب التراجم.

86. يوهان فولفغانغ فون غوته (1749- 1832م): يعتبر غوته أشهر أديب وشاعر ألماني، ألف العديد من الأعمال النثرية والمسرحية والشعرية ويعد أبرز ممثل للتيار الكلاسيكي الألماني. لم يكن غوته أديباً مرموقاً فحسب، بل كان أيضاً عالم طبيعة ورجل دولة.

87. يوسف فون هامر بُرْجشتال (أو برجستال) (1774- 1856م): مستشرق نمساوي. برع في العـــربية والفارســـية والتركية، وعين أمين سر ومترجماً للسفير النمساوي بالقسطنطينية – آنـــذاك- فمستـــشاراً للـــسفارة النمساوية في باريس، فترجماناً للإمبراطور فرنسيس الأول، فمستـــشاراً لـــه، وتنقّل كثيراً في أوروبا، وزار مصر والشام وإيران، وأنشأ في مدينة فينة النمـــساوية أكاديمـــية للعلـــوم وتولـــى رئاستها. يعتبر الرائد الأول الذي تدين له الدراسات الاستـــشراقية بترجمته لعشرات الأعمال خاصة في مجال الشعر. فلولاه لم يجد غوته طريقه إلى حافظ الشيرازي ولا المستشرق الألماني روكيرت في محاكاته لشعر الشرق. من آثاره: ميقات الصلاة في سبعة أوقات بالعربية والألمانية.

88. أمير شكار: يتحدث صاحب هذه الوظيفة على الجوارح السلطانية من الطيور وغيرها وعلى ســـائر أمـــور الصيد. و(شكار) لفظ فارسي معناه الصيد، فيكون المراد أمير الصيد. وهناك وظيفة أخرى متعلقة بالصيد وهي حراسة الطير وموضوعها أن يكون صاحبها متحدثاً على حراسة الطيور في الأماكن والمزارع التي ينـــزل بها السلطان للصيد.

89. أميـــر العشرة أو أمراء العشرات كل منهم مقدم على عشرة فرسان وربما يكون فيهم من له عـــشرون فارســـاً ومع ذلك يعد في أمراء العشرات. وهذه الطبقة لا ضابط لعدد أمرائها بل تـــزيد وتنقص. ومنها يكون صغار الولاة ونحوهم من أرباب الوظائف. وهم يمثلون الطبقة الثالثة من طبقات الأمراء أرباب السيوف.

90. الخوندار: هو الذي يتصدّى لخدمة الطيور المستخدمة في الصيد.

91. الريدانية: العباسية الآن، القاهرة، مصر.

92. في الأصل: «أصيدت».

93. في الأصل: «يدهم».

94. في الأصل: «المكاتب».

95. قـــارن: الميدانـــي، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم. 1977. مجمع الأمثال. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ج1. القاهرة. عيسى البابي الحلبي وشركاه. ص 152.

96. قارن: المصدر السابق. ج3. ص 236.

97. البيت منسوب لمحمد بن عبد الله الهاشمي، المعروف بابن سُكّرة (ت 385هـــ/995م). شاعر كبير، من أهل بغداد. له ديوان شعر في أربعة مجلدات يربى على خمسين ألف بيت.

98. لم أعثر على الأبيات أو قائلها.

99. انظر: كرد علي، محمد. المقتبس. مرجع سابق. ج9. ص 115.

100. ابـــن سُرَيج، أبو العباس أحمد بن عمر البغدادي (ت 306هـــ/918م): فقيه العراقيين ومن أئمـــة الـــشافعية. يلقّب بالباز الأشهب، ويُلقب أيضاً بالشافعي الثاني. ولّي القضاء بشيراز، وتوفـــي في بغداد. له مصنفات كثيرة حتى قيل إنها بلغت 400 مصنَّف، منها: كتاب العين والدين في الوصايا، والأقسام والخصال في فروع الفقه الشافعي.

101. الجيلانـــي، عبد القادر. 1990. ديوان عبد القادر الجيلاني. تحقيق: يوسف زيدان. القاهرة. أخبار اليوم. ص 78.

102. الـــشيخ حمـــاد بن مسلم الدباس (ت 525هـــ/1131م): أحد أصحاب الشيخ عبد القادر الجيلاني، لازمه نيفاً وعشرين سنة. دفن بمقبرة الشونيزية في الجانب الغربي من بغداد (منطقة الكرخ).

103. الـباز الأشهب، واحد من أشهر ألقاب الجيلاني. وقوله: وفي العلياء باز أشهب، إشارة إلى علـو مقامـه فـي سماء الولاية، وكونه بين أهل الولايات مميزاً، كما يتميز الباز عن بقية الطيور. ومن هنا قال الواعظ المعروف بجرادة وهو يمدح الإمام الجيلاني:

البازُ أنتَ فإن تفخر فلا عجبُ وسائرُ الناس في عَيني فواخت.

104. شـاعت تسمية الباز أو لقب الباز الأشهب في التاريخ العربي الإسلامي منذ القدم، فلقّب به منـصور بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق (ت 577هـ/1182م)، وسمّي بالباز فخذ من آل عـبّودة في العراق. والباز في لبنان اسم أسرة مشترك بين المسيحيين في بيروت وجبيل وغزيـر وديـر القمر وبترومين الكورة وجرمانا ومراح الزيات البترون، وبين الموحدين الـدروز فـي بعذران وعاليه. (للمزيد انظر: أبو سعد، أحمد. 2003. معجم أسماء الأسر والأشخاص. ط3. بيروت. دار العلم للملايين. ص 124).

105. عند مطالعتنا للشعر المكتوب باللغة الانجليزية نلاحظ أن تصوير البزاة والصقور يختلف من شاعر لآخر. وهو لا يتبع تقاليد ثابتة للبلاغة والمجاز أو قوالب محددة في الأغراض والبناء الـشكلي، إنمـا ينسجم مع تجربة الشاعر الفعلية أو المتخيلة. ففي قصيدة للشاعر الأيرلندي ولـيم بتلـر ييتس (1865-1939م) بعنوان «الصقر»؛ نلاحظ أن الصقر هو رمز الحرية العقلية فيما يمثل العالم قفصاً يحول بين الحرية العقلية المجنحة وآفاقها:

أنـزلوا الصقرَ
اعصبوا عينيه
أو ضعوه في قفص
حتى تصير عينه الصافية الصفراء
وادعة أليفةً
ذلك أن القفصَ الخواء
علّمه الصيام
لقّنه النوم على القذى
إذا ما غضب العبيد
وزأر الخدام
لن تعصبوا عيني
لن تحتووني في قفص
لن أقبل التّدجين
لن أقبل الركون في اليدين
الآن قد عرفت أن الكبرياء
أجنحتي
تطير بي في الغاب والسماء
أغنيتي
قوافل السحاب
وبيرقي النجوم

أي غيوم شقها جناحك
يا أصفر العينين، يا أجدل في أعماقي
عند غروب الشمس
حين جلست أبكما
يطلب مني سافل جالسني بالأمس
دليل أفكاري!
بطاقة الدخول في القفص.

(علي، صلاح سليم. 1985. تصوير الصقور والبزاة في الشعر العربي والانجليزي. مجلة آفاق عربية. بغداد. العدد11. ص 61).

106. في الأصل: «وسط».

107. أي الأقوام الأولى.

108. يخلع الشاعر الانجليزي الفيكتوري (جيرارد مانلي هوبكنـز) على البازي صورة المسيح أو المـلاك ممثلاً تحليقه بارتفاع الروح وتساميها عن العالم المادي بقول هوبكنـز في قصيدته البازي:

رأيتُ خلَّ الفجر
محلقاً في عرشه العلوي في السماء
مُكللاً بثوبه المنسوج بالفجر والسناء
رأيتُ بازي الفجر
محلقاً يدور في مداه البعيد
ممتطياً مدارج الهواء
في الأفق الأبعد في مداره البعيد
من مفازة السماء
كيف يهز الوتر الخفي في جناحه الآفاق
في نسمة الأسحار
في جذل المغامر الجريء
والشاعر المغوار
ثم يطير عالياً فعالياً فعاليا
يعبر في تحليقه الآفاق
كأنما مزلجة تروم في انطلاقها
العملاق
مدارج النجوم
تشق في طريقها السماء مزلزلاً تحليقه سرادق الرياح
مضاعفاً في قلبي الوجيب
في ذهني المخلوب
للطائر العجيب.

(علي، صلاح سليم. تصوير الصقور والبزاة في الشعر العربي والانجليزي. مرجع سابق. ص 60).

109. رُوح القُدُس عند المسيحيين هو الأُقنُوم الثالث.

110. شُـبِّه المسيح في الكتاب المقدس بالنسر القوي (خر 4:19؛ تث 11:32)، وبالحمام الطاهر (خر 4:19).

111. الهامة: من معتقدات الجاهليين؛ كانوا يزعمون أن الإنسان إذا قتل ولم يأخذ بثأره يخرج من رأسه طائر هائم مرفوف يسمى (الهامة) وهو كالبومة يبتغي القصاص ويصرخ ويندب فلا يزال يصيح على قبره (اسقوني.. اسقوني) إلى أن يؤخذ له بثأره وتراق دماء مُغتاليه، فيُرى ويسكن. وتتبدى هذه الفكرة أو التضمينة – الهامة – عند اليهود في أحد أسْفَارهم الممنوعة، وهـو سِفر الحكمة، ويرى البعض أن مصدرها القبائل العبرية العربية – بني قريظة، بني النضير وبني قينقاع. وكان العرب الجاهليون مفرطين في هذه المعتقدات ومن هنا جاء دور العرّاف والساحر والرّاقي وتوابعهم، وبعد أن تطفئ الهامة ويرتاح الميت بالأخذ بثأره يأتي دور النـساء في العويل والبكاء، ويزعمون إن الهامة لا تزال عند ولد الميت لتعلم ما يكون من خبره، فتخبر الميت. (انظر: عبد الحكيم، شوقي. 1995. موسوعة الفولكلور والأساطير العربية. القاهرة. مكتبة مدبولي. ص 696–697). والهامة أو الهما في الفارسية؛ طير سعيد الفأل، أينما حلّ كان الخير والعمران، وإذا وقع ظلّه على شخص فاز بالملك والسلطان.

112. في الأصل: «أي».

113. عـن ابـن مسعود، قال النبي (ص): «إن أرواح الشهداء في جوف طير خُضر لها قناديل معلّقة تحت العرش تَسْرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطّلع إليهم ربّهم اطّلاعه، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ فقالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، فيفعل ذلك بهم ثلاث مرّات، فلما رأوا أنهم لم يُتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا ربّ، نريد أن تـردّ أرواحنا في أجسادنا حتى نرجع إلى الدنيا، فنُقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُركوا». وعن كعب بن مالك، قال النبي (ص): «إن أرواح الشهداء في طَير خـضر تَعْلُـقُ مـن ثمار الجنة». (انظر: الإمام السيوطي. 1984. جامع الأحاديث. ج2. القاهـرة. مطبعة خطاب. ص 222– 223). وانظر أيضاً: (ونسنك، أ.ي. 1943. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. ج2. ليدن. مطبعة بريل. ص40).

114. حكايـة (البلـبل/العندليب والوردة) هي حكاية متداولة منذ القديم في الشرق والغرب، ففي مثنوي مولانا جلال الدين الرومي نقرأ ما يلي:

«العشق حلّ في روح الطور (سيناء)، فسكر الطور، وخرّ موسى صعقا.

آه لو كانت شفتاي تقتربان بشفتي حبيبي، إذن لكنتُ كالناي أقول ما ينبغي قوله.

فكلّ من فرّقه الدهر عن أهل لسانه، يصبح بلا لسان حتى ولو سُمِع له مائة صوت!

وحين يذبل الورد وينقضي عهدُ بستانه، لا يعود البلبل – بعد هذا – يروي لك قصة (أشجانه).

إن المعشوق هو الكلّ وأما العاشق فحجاب، المعشوق هو الحيّ وأما العاشق فميت.

وحينما لا تكون للعاشق رعاية من العشق، فإنه يبقى تعساً كطائر بلا جناح.

وكـيف يكـون لـي عقـل يدرك ما أمامي وما ورائي، حينما لا يكون نور حبيبي أمامي وورائي؟

إن العــشق يقتــضينا أن نبوح بهذا القول، وإلاّ فكيف تكون المرآة، إذا لمَ تعكس صور المرئيات؟

أو تدري لِم أظلمت صفحة مرآتك؟ إنها أظلمت لأن الصدأ قد عَلاها، ولم ينفصل عنها».

(انظــر: الرومــي، جلال الدين. 1967. مثنوي جلال الدين الرومي. ج1. ت: محمد عبد السلام كفافي. بيروت. المكتبة العصرية. ص 75-76).

كمــا يقــرن الشاعر الفارسي فريد الدين عطّار في مؤلفه الصوفي الشهير (منطق الطير)، صورة البلبل بصورة الوردة. ذلك أن تعاطف البلبل مع الوردة حمله على التخلي عن سرب الطــيور الذاهبة في رحلة اكتشاف الذات، ليتسنى له تأملها بسلام وتقريظها وإنشادها بعض ألحان الغرام عندما يقترب موسم الورود. ويكتب عزيز محمود هُداي، المتصوف التركي: «لدى رؤية الوردة الذابلة، هل من كائن يسفح دموع التأثّر؟ وعند الإصغاء ليلاً إلى صداح البلابل على أماليد الورد، هل من صوت يرتفع يحث كبرياء الورد على الرقة والحنان؟»».

115. في الأصل: «النواحة».

116. يعتبر رمز البط والطاووس والغراب والديك، عند الصوفية مثال على هذه الخصال الأربعة في النفوس. فالبط هو الحرص، والديك هو الشهوة، والجاه كالطاووس، والغراب هو المنية.

117. فــريد الــدين أبــو طالب محمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن مصطفى بن شعبان عطّار (أو العطار) النيسابوري (ت 627هــ/1230م): شاعر، طبيب، صيدلي، فيلسوف وكبير مشايخ التصوّف الفارسي. سافر إلى ما وراء النهر والهند والعراق والشام ومصر. يقال أنه اشتغل فــي التأليف وجمع أشعار الفلاسفة الإسماعيلية مدة 39 سنة. ولما شعرت السلطات بنشاطه ألّــبت عليه الغوغاء، فاتهموه بالإلحاد والزندقة، فهدموا منــزله ونهبوا متاعه وقتلوه ودفن في نيسابور ولا يزال ضريحه هناك ويُزار. يعد ثالث ثلاثة بعد جلال الدين الرومي وسنائي الغزنوي، ومنظومة (منطق الطير) تعد من أعظم ما نظم في الأدب الصوفي خاصة، وتبلغ 4650 بيــتاً. وتذكــر بعض المصادر أن عدد مؤلفاته كان مساوياً لعدد سور القرآن وقيل زادت مؤلفاته على الخمسين. وعلى العموم أغلب آثار هذا الفيلسوف العبقري لم تطبع حتى الآن إلاّ طــباعة على الحجر في مدينة «لكنو» في سنة 1872م كما طبعت بعض آثاره في الهند وإيران وأوروبا.

118. إن جــبل قاف - الأصل المحتمل لكلمة قوقاز - الذي يقيم فيه السيمورغ، الطائر الخرافي الــذي نصفه فينيق ونصفه نسر من الميثولوجيا الفارسية ورمز القوة - هو موطن المجهول الإلهي. يحيط بجبل قاف بحر الظلمات ويرتاده الجن. ويكتب ل. بختيار في كتابه «التصوف»: «يــتوافق الجبل الكوني، قاف، مع تجديد العالم، مع عودة الكون إلى فتوّته، يرمز الجبل إلى الامتداد اللانهائي للسماء، وهو النقطة الوحيدة والعليا في الفضاء. إنه أصل الكوسموس ومــع ذلــك لا يشكل سوى نقطة في اللانهائية الإلهية. يرمز صعود جبل قاف إلى الأوجه العميق من الحياة». ويروي ابن عربي ما نصه: «أخبرني شيخي أبو يعقوب الكومي أن أبا عمــران وصــل يوماً إلى جبل قاف الذي يحيط بالأرض وصلى صلاة الضحى عند سفح الجــبل وصلاة العصر على ذروته. وعندما سئل عن ارتفاع هذا الجبل أجاب ثلاثمائة يوم ســفر».(انظــر: شــبل، مالك. 2000. معجم الرموز الإسلامية، ط1. ت: أنطوان الهاشم. بيروت. دار الجيل. ص 248).

119. الـسيمورغ (من الفارسية، سي = 30، مورغ = طير). يعتبر السيمورغ، ملك الطيور، عند الفـرس، وتجسيداً لمعنى الإلوهية بالذات؛ إنه طائر خرافي عمّمه فريد الدين عطار؛ تبحث عنه طيور الأرض كما بحث فرسان الملك آرثر عن (سان – غرال: وهو الكأس التي شرب بهـا السيد المسيح في العشاء السري وفيها تلقى يوسف الرامي الدم السائل من جنب المسيح عـندما طعن بحربة على الصليب). والسيمورغ يقيم بكل جلال في جبل قاف القائم، استناداً إلـى الأسـاطير الفارسـية، إلـى جانـب ألبروز (بركان منطفئ في جبال القوقاز). يمثّل الـسيمورغ، علـى صعيد التصوف، اكتمال الإيمان والإشراق على جميع مشاكل الوجود، وحده الكائن الأسمى بكونه، في الأساس، متعدداً (ثلاثون طائراً). (انظر: شبل، مالك. معجم الرموز الإسلامية. مرجع سابق. ص 167).

120. انظـر: كوبريلي، محمد فؤاد. 2002. المتصوفة الأولون في الأدب التركي. ج2. القاهرة. المجلـس الأعلى للثقافة. ص 114. وقارن: شيمل، آنا ماري. 2006. الأبعاد الصوفية في الإسـلام وتـاريخ الـصوفية. ت: محمد إسماعيل السيد ورضا حامد قطب. ط1. ألمانيا. منشورات الجمل. ص 377.

121. يرمز سليمان، النبي والملك، في التقاليد الإسلامية، إلى الاستقامة والمعرفة والحكمة. إنه مع نبـي الله داود أبيه أحد رموز العلم والحكمة (انظر: سورة الأنبياء، 79). وإذا كان لكل نبي مميـزات خاصـة (معجـزات)، فـإن من مميزات نبي الله سليمان أنه يأمر الرياح، ويكلّم الحيوانات والطيور التي يتوجّب عليها طاعته واحترامه.

122. يقول مولانا جلال الدين الرومي في إحدى مثنوياته:

إن بلبلاً قد انطلق من هنا ثم عاد!
ولقد أصبح بازاً في اصطياد تلك المعاني.
فليكن ساعد الملك مَسكناً لهذا الباز!
وليبق هذا الباب مفتوحاً أمام الخلق حتى الأبد!

(انظر: جلال الدين الرومي. مثنوي. مرجع سابق. ج2. ص 20).

123. في الأصل: «بالخاصة».

124. قالت العرب:

أخـاك أخـاك إنّ مـن لا أخـا لـه　　كـساعٍ إلـى الهـيجا بغيـر سـلاحِ
وإنّ ابـن عـمّ المـرء فـاعلم جـناحه　　وهـل يـنهض الـبازي بغيـر جـناحِ

انظر: الدميري، كمال الدين. حياة الحيوان الكبرى المصورة. مرجع سابق. ج1. ص 138.

ملحق

ببلوغرافيا أولى لمؤلفات الدكتورة
انا ماري شيمّل (1922- 2003)

الكتاب	التاريخ	اللغة	الموضوع	ملاحظات
1) الخليفة والقاضي في مصر في العصور الوسطى المتأخرة	1943	الألمانية	-	أطروحة دكتوراه
2) فهرس لتاريخ ابن اياس	1945	الألمانية	-	-
3) يعقوب قدري – "نور بابا: اللهب والفراشة"	1947	الألمانية	رواية عن الدراويش	مترجمة عن التركية
4) ترنيمة الناي (أو أغنية الناي)	1948	الألمانية	ديوان شعر	غزليات
5) اللغة التصويرية عند جلال الدين الرومي	1949	الألمانية	-	-
6) ابن خلدون: مقاطع مختارة من المقدمة	1951	الألمانية	-	مترجمة عن العربية
7) شعر الشرق	1952	الألمانية	ترجمة وكلمة ختامية عن الشعر في الشرق الأدنى	بالاشتراك مع فيلهلم غونديرت وفالتر شوبرنغ
8) ابو الحسن الديلمي: سيرة الشيخ الكبير أبو عبد الله ابن خفيف الشيرازي	1955	الألمانية	-	نص محقق نشرته كلية الإلهيات بأنقرة
9) محمد إقبال: كتاب الخلود	1957	الألمانية	-	مترجم عن الفارسية
10) محمد إقبال: جاويد نامه	1958	الألمانية	-	ترجمة كتاب الخلود إلى التركية وشرحه
11) إرنست ترومب: ملخص قصير لحياته وأعماله	1961	الانجليزية	-	صدرت الطبعة الألمانية للكتاب نفسه في عام 1998

الكتاب	التاريخ	اللغة	الموضوع	ملاحظات
12) الجُنينة..الأزهار والبساتين في حضارة المسلمين	1963	العربية	يتناول تاريخ الحدائق والجنائن في الحضارة الإسلامية	دراسة نشرت في مجلة (فكر وفن)
13) جناح جبريل	1963	الألمانية	دراسة في الفكر الديني عند السير محمد إقبال	–
14) محمد إقبال: رسالة الشرق بوصفها إجابة على الديوان الغربي الشرقي لجوته	1963	الألمانية	–	ترجمة عن الفارسية
15) البَازُ الأشهب.. ملاحظات في البيزرة في الشرق والغرب	1964	العربية	تاريخ البيزرة وهو الصيد بالباز وأبعاد هذا العلم الذي بدأ مع حرفة وهواية الصيد وتراكم الخبرات والمهارات والمعارف الخاصة بالطيور حتى صارت علماً تاما	دراسة نشرت في مجلة (فكر وفن)
16) مولانا جلال الدين الرومي، من الديوان	1964	الألمانية	–	ترجمة عن الفارسية
17) التَّشبيهُ بالحُروف في الأدب الإسلاميّ	1964	العربية	سياحة فكرية في القيم الروحية والأبعاد التجريدية في الحروف العربية وقدرتها على ترجمة مواقف الإنسان العربي المسلم من الكون والحياة والقيم	دراسة نشرت في مجلة (فكر وفن)
18) ورقة من تاريخ الاستشراق في ألمانيا: اوجوست فيشر	1965	العربية	ترجمة ذاتية وثقافية وفكرية لهذا المستشرق	دراسة نشرت في مجلة (فكر وفن)
19) ورقة من تاريخ الاستشراق في ألمانيا: يوسف فون هامر–بورجستال	1965	العربية	ترجمة ذاتية وثقافية وفكرية لهذا المستشرق	دراسة نشرت في مجلة (فكر وفن)
20) باكستان: قصر ذو ألف باب	1965	الألمانية	–	–
21) الحلاج، شهيد الحب الإلهي	1968	الألمانية	–	ترجمة ألمانية عن العربية

الكتاب	التاريخ	اللغة	الموضوع	ملاحظات
				والفارسية والتركية والسندية والأردية
22) محمد إقبال: مزامير فارسية	1968	الألمانية	–	ترجمة عن الفارسية والأردية والانجليزية
23) جون دون: قلب يفكر عاريا	1969	الألمانية	–	ترجمة عن الانجليزية
24) فن الخط الإسلامي	1970	الانجليزية	–	ضمن سلسلة إيقونات الأديان
25) ميرزا أسد الله غالب: موج الزهور (الورد)- موج الخمور (الخمر)	1971	الألمانية	مختارات من شعر أسد الله غالب	ترجمة ألمانية عن الديوان الفارسي والأردي
26) أدب السند (أو الأدب السندي)	1974	الانجليزية	تاريخ الأدب الهندي	في: سلسلة تاريخ الآداب الهندية
27) الأبعاد الصوفية للإسلام	1974	الانجليزية	تتناول تاريخ التصوف في الإسلام ونشأتها	ترجم إلى الألمانية عام 1985، وترجم إلى العربية عام 2006
28) مختارات من الشعر العربي	1975	الألمانية	ترجمة لقصائد الشعراء: نازك الملائكة والسياب والفيتوري وعبد الصبور وحجازي وطوقان ودرويش والقاسم وقباني وتوفيق صايغ وأدونيس	
29) أدب اللغة الأوروية – من البدايات إلى إقبال (أو الأدب الأردي الكلاسيكي منذ البداية وحتى إقبال)	1975	الانجليزية	–	في: سلسلة تاريخ الآداب الهندية
30) آلام وألطاف (أو الألم واللطف): دراسة عن كاتبين متصوفين من مسلمي الهند في القرن الثامن عشر.	1976	الانجليزية	حياة الشاعرين الهنديين مير دارد الدهلوي وشاه عبد اللطيف البهيتي وأعمالهما	–
31) الملك لك: أدعية إسلامية	1978	الألمانية	–	ترجمة ألمانية عن العربية والفارسية والتركية

الكتاب	التاريخ	اللغة	الموضوع	ملاحظات
32) الشمس الظافرة – دراسة في أعمال جلال الدين الرومي	1978	الإنجليزية	كتاب شامل، يسبر حياة جلال الدين الرومي وأعماله	ظهرت الطبعة العربية من هذا الكتاب عام 2000 تحت عنوان: الشمس المنتصرة. دراسة آثار الشاعر الكبير جلال الدين الرومي
33) الرومي– أنا النسيم وأنت اللظى (أو الرومي: أنا ريح وأنت نار. حياة ومؤلفات الصوفي الكبير)	1978	الألمانية	حياة مولانا جلال الدين الرومي وأعماله باللغة الألمانية	ظهرت الترجمة الانجليزية في بوسطن عام 1992
34) رقص الشرار– مجاز النار في شعر أسد الله غالب (أو رقص الشرر – دراسات عن المجاز عند غالب)	1979	الإنجليزية	–	–
35) حكايات من باكستان	1980	الألمانية	–	ترجمة عن السندية
36) إسهامات ألمانية في دراسة اللغات الهندو–باكستانية	1981	الألمانية	–	–
37).. ومحمد رسول الله	1981	الألمانية	منـــزلة الرسل في الإسلام، والرسول محمد (ص) بصورة خاصة	ترجم إلى الانجليزية عام 1983
38) وكأنه من خلال حجاب– الشعر الصوفي في الإسلام	1982	الانجليزية	–	ويتكون هذا الكتاب من مجموعة محاضرات ألقتها شيمل سنة 1980 في المجلس الأميركي لجمعيات المثقفين في جامعات أمريكية وكندية عدة.
39) الإسلام في الهند وباكستان	1982	الانجليزية	–	صدر في ليدن بهولندا
40) جنان المعرفة (أو حدائق المعرفة)	1982	الألمانية	منتخبات لنصوص من التصوف الإسلامي. وهو ترجمات عن العربية والفارسية والتركية والأردية والسندية.	–

الكتاب	التاريخ	اللغة	الموضوع	ملاحظات
41) الإسلام في شبه القارة الهندية	1983	الألمانية	-	ترجم إلى الانجليزية
42) بحث بلا نهاية	1983	الألمانية	حكايات وقصص وطرائف لشاه عبد اللطيف السندي	في التصوف الشرقي
43) قطة المشرق (أو القطة المشرقية)	1983	الألمانية	متصوفة الشرق وأشعارهم - قصص وحكم وأناشيد	-
44) ديوان أنوري	1983	الانجليزية	-	بالاشتراك مع ستيوارت كاري ويلش
45) فن الخط والثقافة الإسلامية (أو فن الخط العربي والثقافة الإسلامية)	1984	الانجليزية	-	كان أساسه سلسلة محاضرات ألقتها شيمل عام 1982، في معهد كيفوركيان لدراسات الشرق الأوسط التابع لجامعة نيويورك.
46) عالم الأعداد (أو غرائبية العدد)- رمزية الأعداد في مقارنة حضارية	1984	الألمانية	مقارنة للرمزية العددية في عدد من الحضارات	ترجمة عن الطبعة الأولى لفرانتس كارل ايندرس
47) النجم والزهرة (أو نجمة وزهرة)-عالم الصور (المجازات) في الشعر الفارسي	1984	الألمانية	يتناول اثنين من أهم مصادر الصور الشعرية في خيال شعراء الشرق: عالم الكواكب، وعالم الأزهار.	-
48) ابن إياس: مواطن مصري	1985	الألمانية	-	ترجمة عن العربية
49) روبرت ايرفن: الكابوس العربي أو حكاية الليلة الثانية بعد الألف	1985	الألمانية	-	ترجمة عن الإنجليزية
50) الحلاج:"أيها الناس، أنقذوني من الله"	1985	الألمانية	-	ترجمة عن العربية والفارسية والتركية والأردية والسندية
51) لآلئ من الهند. دراسات في الثقافة السندية	1986	الإنجليزية	-	-
52) فريدريش روكرت. صورة حياة ومدخل إلى أعماله	1987	الألمانية	حول حياته وأعماله	-

الكتاب	التاريخ	اللغة	الموضوع	ملاحظات
53) ابن عطاء الله: بُسُط مملوءة بالرحمة (أو الفاقات بُسُط المواهب) (أو العسر واليسر)	1987	الألمانية	هو مجموعة حكم الصوفي المصري ابن عطاء الله (القرن الثالث عشر)، الذي عُرف بأنه "آخر معجزة صوفية على النيل"، والتي ظهرت في سلسلة "نصوص للتأمل"	ترجمة عن العربية
54) خذ وردة وسمّها أغاني (أو خذ وردة وسمها أغنية)	1987	الألمانية	حول شعر الشعوب الإسلامية	–
55) مرآة قمر شرقي	1987	الإنجليزية	وهو عبارة عن قصائد بالإنكليزية عن موضوعات شرقية.	–
56) فريدريش روكرت: أعمال مختارة في مجلدين	1988	الألمانية	–	–
57) مولانا جلال الدين الرومي. من الكل ومن الواحد	1988	الألمانية	–	ترجمة عن الفارسية والعربية
58) من الخالق ومن المخلوق	1988	الألمانية	وهو ترجمة ودراسة لمحاورة جلال الدين الرومي؛ «فيه ما فيه»	–
59) الرؤية الزمردية: إنسان النور في التصوف الفارسي	1989	الألمانية	–	ترجمة عن الفرنسية لكتاب لهنري كوربان
60) محمد إقبال– شاعر نبوي وفيلسوف	1989	الألمانية	حول حياة وأعمال الشاعر والفيلسوف الكبير	–
61) الأسماء الإسلامية	1989	الإنجليزية	حول الأسماء والتسمية في الإسلام	ظهرت الطبعة الألمانية من هذا الكتاب تحت عنوان: من علي إلى الزهراء – الأسماء واختيارها في العالم الإسلامي
62) جولات مع يونس إمره (أو ارتحالات مع يونس إمره)	1989	الألمانية	–	كتاب عن متصوف تركي اختارته منظمة

الكتاب	التاريخ	اللغة	الموضوع	ملاحظات
				اليونيسكو في العام 1991 كرجل العام
63) الإسلام- مدخل وتعريف	1990	الألمانية	–	–
64) أخي إسماعيل- ذكريات تركية	1990	الألمانية	خواطر وذكريات من تركيا	–
65) ما الذي له عين وليس له رأس؟	1990	الألمانية	300 أحجية (فزورة) شعبية تركية	–
66) الوردة	1991	الألمانية	–	–
67) الرومي: انظر! هذا هو الحب	1991	الإنجليزية	يعرض في مائة صفحة من القطع الصغير بعض رباعيات مولانا الرومي وغزلياته المترجمة بدقة ومهارة إلى الإنكليزية التي صارت المؤلفة تتقنها في تلك الأثناء مثل الألمانية تماماً.	ترجمة إنجليزية عن الفارسية
68) يونس إمره: مختارات شعرية	1991	الألمانية	مختارات من قصائد الشاعر التركي	مترجمة إلى الألمانية عن التركية
69) نسيج ذو لونين- المجاز في الشعر الفارسي	1992	الإنجليزية	–	–
70) ديمرشي يعني شمت (أو السيد ديمرجي اسمه ببساطة "شميدت")	1992	الألمانية	الأسماء التركية ومعانيها	–
71) تاريخ التعليم	1993	الإنجليزية	–	–
72) من القدح الذهبي (أو من الكأس الذهبية). أشعار تركية في سبعمائة عام.	1993	الألمانية	مختارات من الشعر التركي منذ العصور الوسطى وحتى الآن	ترجمة عن التركية
73) أردية الله (أو العزة ردائي)	1993	الألمانية	–	–
74) اصنع درعاً من الحكمة: منتخبات شعرية من ديوان ناصر خسرو	1993	الإنجليزية	–	ترجمة إنجليزية عن الفارسية
75) جبال وقفار ومقامات (أو	1994	الألمانية	عروض وشروح	–

الكتاب	التاريخ	اللغة	الموضوع	ملاحظات
جبال وصحاري ومعابد): رحلاتي في الباكستان والهند			لرحلات الدكتورة شيمل إلى باكستان والهند	
76) فك شفرة الإله. مقاربة ظواهرية للإسلام	1994	الإنجليزية	–	ظهرت الطبعة الألمانية عام 1995 تحت عنوان: آيات الله: العالم الديني للإسلام
77) عندليب تحت الثلج المتساقط	1994	الإنجليزية	ديوان شعر	–
78) عالم الإسلام. عن مصادر الشرق الإسلامي، رحلة إلى الداخل	1994	الفرنسية	–	صدرت الطبعة الألمانية في العام نفسه
79) الحكمة في الإسلام (أو حكمة الإسلام)	1994	الألمانية	–	–
80) روحي أمرأة (أو روحي مؤنثة). الأنوثة في الإسلام	1995	الألمانية	–	–
81) من عطر المقدس	1995	الألمانية	–	–
82) أجمل الأشعار من الهند وباكستان. شعر إسلامي من ألف سنة	1996	الألمانية	–	–
83) المسيح ومريم في التصوف الإسلامي	1996	الألمانية	–	–
84) ما مدى كونية التصوف؟ رحلة الروح في أديان العالم الكبرى	1996	الألمانية	–	–
85) الدور الثقافي لفن الخط والخطاطين	1996 (محاضرة)	العربية	–	ألقتها شيمل بدار الآثار الإسلامية في الكويت.
86) الوعود الثلاثة للعصفور: أجمل الخرافات الحيوانية في العالم الإسلامي	1997	الألمانية	–	–
87) أحلام الخلفاء. الأحلام وتفسيرها في العالم الإسلامي	1998	الألمانية	–	ظهرت الطبعة العربية عام 2005 تحت عنوان: أحلام الخليفة. الأحلام وتعبيرها في الثقافة الإسلامية

الكتاب	التاريخ	اللغة	الموضوع	ملاحظات
88) انعكاسات مكررة	1998	الألمانية	أشعار	-
89) العطار: منطق الطير ونصوص كلاسيكية أخرى	1999	الألمانية	حول منظومة فريد الدين عطار الفريدة في فكرها وحبكة قصتها	ترجمة عن الفارسية
90) التصوف كجسر بين الأديان والحضارات	1999	العربية	تسيح المؤلفة في معنى التصوف في الحضارات والأديان المختلفة عبر القرون	دراسة قدمت في فعاليات الدورة الثالثة لملتقيات قرطاج الدولية في ندوة بعنوان: الواقع الديني اليوم
91) في مملكة المغول العظام: تاريخ، فن، ثقافة.	2000	الألمانية	حول تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند	ظهرت الترجمة الإنجليزية في لندن 2004
92) الصوفية. مقدمة في التصوف الإسلامي	2000	الألمانية	-	-
93) الرومي: مرشد الروحية	2001	الألمانية	-	-
94) جنات صغرى. الأزهار والحدائق في الإسلام	2001	الألمانية	-	-
95) السنة الإسلامية. المواسم والأعياد	2001	الألمانية	-	-
96) التورية بالكتب في الآداب الإسلامية	2003	العربية	بحث في المجازات المتصلة بالكتاب في الأدب الإسلامي، وعشق المسلمين الكبير للكتب، والأساليب المجازية التي استخدمت فيها الكتب على سبيل التشبيه والاستعارة في المؤلفات الإسلامية المختلفة	دراسة نشرت في كتاب: الكتاب في العالم الإسلامي: الكلمة المكتوبة كوسيلة للاتصال في منطقة الشرق الأوسط. عالم المعرفة – الكويت.
97) قولك الحق*	-	الألمانية	قبسات من روائع الدعاء في الإسلام	-
98) اللغة العربية*	-	الألمانية	كتاب تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها	-
99) الصوفي- حب للأحد*	-	الألمانية	نصوص من التراث الصوفي	-

الكتاب	التاريخ	اللغة	الموضوع	ملاحظات
100) موسوعة أديان البشر*	-	الألمانية	-	القسم الإسلامي من الموسوعة المكونة من 36 مجلداً
101) الإسلام- حضارته وإتجاهاته المعاصرة*	-	الألمانية	-	-
102) التقارب بين المشرق والمغرب*	-	الألمانية	اتصالات أوروبا بالعالم الإسلامي	-
103) القرآن*	-	الألمانية	مقدمة ترجمة معاني القرآن لماكس هننغ	-
104) الكون والخالق*	-	الألمانية	مناجاة جلال الدين الرومي	-
105) وكأنه من خلال حجاب*	مطلع الثمانينيات	الانجليزية	يتناول الحجاب الصوفي، ويتكون هذا الكتاب من مجموعة محاضرات ألقتها شيمل سنة 1980 في المجلس الأميركي لجمعيات المثقفين في جامعات أمريكية وكندية عدة.	-
106) رسالة المشرق*	-	الألمانية	مختارات من أعمال محمد إقبال	-

- اعتمدت هنا على تواريخ الطبعات الأولى.
- العناوين التي تحمل علامة (*) تشير إلى أنني لم أهتدِ إلى تاريخ التأليف أو الطبع.

المصادر والمراجع

في اللغة العربية

1. القرآن الكريم.
2. ابن خلدون، عبد الرحمن. 1992. تاريخ ابن خلدون. ط1. بيروت. دار الكتب العلمية.
3. ابن سيرين، محمد. 2000. تفسير الأحلام. بيروت. دار الفكر العربي.
4. أبو الدهب، أشرف طه. 2002. المعجم الإسلامي. ط1. القاهرة. دار الشروق.
5. أبو سعد، أحمد. 2003. معجم أسماء الأسر والأشخاص. ط3. بيروت. دار العلم للملايين.
6. ابن عربي، محي الدين. 1975. الفتوحات المكية. ج1. القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
7. أبو نواس، الحسن بن هانئ. 2003. ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ الحكمي. تحقيق: ايفالد فاغنر وغريغور شولر. بيروت. دار المدى.
8. إلياس، نديم عطا. 1996. سيقهر الماء صم الحجر. ط1. بون – ألمانيا، الدار الإسلامية للإعلام.
9. الإمام السيوطي. 1984. جامع الأحاديث. القاهرة. مطبعة خطاب.
10. أمره، يونس. 1991. مختارات يونس أمره. القاهرة. الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع.
11. اوغلو، عبد اللطيف بندر. 1978. قصائد مختارة مع الشعر التركي المعاصر. بغداد. منشورات وزارة الثقافة والفنون.
12. اوغلى، أكمل الدين إحسان (إشراف). 1999. الدولة العثمانية تاريخ وحضارة.ت: صالح سعداوي. استانبول. مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية.
13. الباقوري، أحمد حسن. 1984. في عالم الصيد. القاهرة. دار المعارف.
14. براون، إدوارد جرانفيل. 2005. تاريخ الأدب في إيران. ط1.ت: أحمد كمال الدين حلمي وإبراهيم أمين الشواربي. القاهرة. المجلس الأعلى للثقافة.
15. البغدادي، إسماعيل باشا. 1951. هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. بيروت. دار إحياء التراث العربي.

16. تيمور باشا، أحمد. 1961. الموسوعة التيمورية من كنوز العرب في اللغة والفن والأدب. ط1. القاهرة. لجنة نشر المؤلفات التيمورية.
17. الجيلاني، عبد القادر. 1990. ديوان عبد القادر الجيلاني. تحقيق: يوسف زيدان. القاهرة. أخبار اليوم.
18. الحموي، شهاب الدين ياقوت. 1955. معجم البلدان. بيروت. دار صادر ودار بيروت.
19. الحميري، محمد بن عبد المنعم. 1980. الروض المعطار في خبر الأقطار. ط2. مؤسسة ناصر للثقافة.
20. الحنفي، محمد بن أحمد بن إياس. 1960. بدائع الزهور في وقائع الدهور. تحقيق: محمد مصطفى. ط2. القاهرة. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
21. الدميري، الشيخ كمال الدين. 2003. حياة الحيوان الكبرى المصورة. بيروت. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
22. دياب، كوكب ديب. 1995. قاموس الحيوان. ط1. بيروت. جرّوس برس.
23. ديوان ابن الزقاق البلنسي. (ب.ت). تحقيق: عفيفة محمود ديراني. بيروت. دار الثقافة.
24. ديوان ابن المعتز. 1980. تحقيق: كرم البستاني. بيروت. دار بيروت للطباعة والنشر.
25. ديوان ابن المعتز. 1995. ط1. بيروت. دار الجيل.
26. ديوان البحتري. (ب.ت). تحقيق: عمر فاروق الطباع. بيروت. شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.
27. ديوان المعتمد بن عباد. 2002. القاهرة. مطبعة دار الكتب والوثائق القومية.
28. ديوان حاتم الطائي. 1963. بيروت. دار صادر- دار بيروت.
29. ديوان كشاجم. 1970. تحقيق: خيرية محمد محفوظ. بغداد. مطبعة دار الجمهورية.
30. ديوان منوجهري الدامغاني. 2002. ط1. ت: محمد نور الدين عبد المنعم. القاهرة. المجلس الأعلى للثقافة.
31. الرومي، جلال الدين. 1967. مثنوي. ت: محمد عبد السلام كفافي. بيروت. المكتبة العصرية.
32. الزوبي، محمود. 2004. معجم الصوفية. ط1. بيروت. دار الجيل.
33. سركيس، يوسف اليان. (ب.ت). معجم المطبوعات العربية والمعرّبة. القاهرة. مكتبة الثقافة الدينية.

34. السندوبي، حسن. 1982. شرح ديوان امرئ القيس. بيروت. المكتبة الثقافية.
35. السيد، أحمد. 2003. مفتاح الذهب: تاريخ ملوك الإسلام وخلفاء العرب. ط1. القاهرة. دار الفضيلة.
36. شبل، مالك. 2000. معجم الرموز الإسلامية. ط1. ت: انطوان هاشم. بيروت. دار الجيل.
37. شرح ديوان الأخطل التغلبي. 1968. بيروت. دار الثقافة.
38. الشمري، هزاع بن عيد. 1995. أبو دلف العجلي مفخرة من مفاخر العرب. الرياض. دار أجا.
39. الشوكاني، محمد بن علي. 1392هـ. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة. بيروت. المكتب الإسلامي.
40. الشيرازي، حافظ. 1999. ديوان حافظ الشيرازي. ط1. ت: إبراهيم أمين الشواربي. طهران. مهرانديش للنشر.
41. شيمل، أنّا ماري. 2004. الشرق والغرب: حياتي الغرب – شرقية. ط1. ت: عبد السلام حيدر. القاهرة. المجلس الأعلى للثقافة.
42. شيمل، أنّا ماري. 2005. أحلام الخليفة: الأحلام وتعبيرها في الثقافة الإسلامية. ط1 . ت: مجموعة مترجمين. ألمانيا. منشورات الجمل.
43. شيمل، أنيماري. 1421هـ. الشمس المنتصرة. ط1. ت: عيسى علي العاكوب. طهران. مؤسسة الطباعة والنشر – وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.
44. شيمل، آنا ماري. 2007. الإسلام دين الإنسانية. ت: صلاح عبد العزيز محجوب. ط3. القاهرة. سلسلة قضايا إسلامية. العدد 147.
45. شيمل، آنا ماري. 2006. الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف. ت: محمد إسماعيل السيد (و) رضا حامد قطب. ط1. ألمانيا. منشورات الجمل.
46. عبد الحكيم، شوقي. 1995. موسوعة الفولكلور والأساطير العربية. القاهرة. مكتبة مدبولي.
47. علي، صلاح سليم. 1985. تصوير الصقور والبزاة في الشعر العربي والانجليزي. مجلة آفاق عربية. بغداد. العدد 11. ص 56- 63.
48. غالب، عبد الرحيم. 1988. موسوعة العمارة الإسلامية. ط1. بيروت. جرّوس برس.
49. القلقشندي، الشيخ أبو العباس أحمد. (ب.ت). صبح الأعشى في كتابة الإنشا. القاهرة. دار الكتب المصرية.

50. كحّاله، عمر رضا. (ب.ت). معجم المؤلفين. بيروت. دار إحياء التراث العربي.
51. كرد علي، محمد. 1917. المقتبس. ج9. بيروت. دار صادر.
52. كوبريلـي، محمد فؤاد. 2002. المتصوفة الأولون في الأدب التركي. ط1. ت: عبد الله أحمد إبراهيم. القاهرة. المجلس الأعلى للثقافة.
53. لوبـون، غوسـتاف. 2000. حـضارة العرب. ت: عادل زعيتر. القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
54. مجموعة مؤلفي. (ب.ت). دائرة المعارف الإسلامية. بيروت. دار الفكر.
55. مجمـوعة مؤلفـين. 1989. معجم ألفاظ القرآن الكريم. ط2. القاهرة. مجمع اللغة العربية.
56. مجمـوعة مؤلفـين. 1998. معجـم العالم الإسلامي. ط2. ترجمة: جورج كتورة. بيروت. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
57. مجموعة من المؤلفين. 1987. قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية. ط1. بيروت. دار العلم للملايين.
58. المسعودي، أبو الحسن علي. 2005. مروج الذهب ومعادن الجوهر. ط1. بيروت. المكتبة العصرية.
59. مصطفى، محمد. 1953. سجاجيد الصلاة التركية. القاهرة. مطبعة وزارة المعارف العمومية.
60. المعتـز بـالله الخليفة العباسي، عبد الله بن محمد. (ب.ت). ديوان أشعار الأمير أبي العباس. تحقيق: محمد بديع شريف. القاهرة. دار المعارف.
61. المقريزي، أحمد بن علي. 1270هـ. خطط المقريزي. القاهرة. دار التحرير للطبع والنشر.
62. نـولدكه، تـيودور. 2004. تاريخ القرآن. ط1. ت: جورج تامر. بيروت. مؤسسة كونراد – أدناور.
63. النيسابوري، فريد الدين العطار. 2006. منطق الطير. ط4. ت: بديع محمد جمعة. القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
64. الوائلـي، عـبد الحكيم. 2000. موسوعة شعراء الأندلس. ط1. عمّان. دار أسامة للنشر والتوزيع.
65. ونسنك، أ.ي. 1936. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. ليدن. مكتبة بريل.

في اللغة الإنجليزية

1. Emre، Yunus. 1989. The drop that became the sea. T: Kabir Helminski & Refik Algan. Boston &London. SHAMBHALA.
2. Goring، Rosemary. 1995. The Wordsworth Dictionary Of Beliefs & Religions. London. W&R Chambers Ltd.
3. Rosemary، Goring. 1992. The Wordsworth Dictionary Of Beliefs And Religions. U.K. W&R Chambers Ltd.
4. Schimmel، Annemarie. 2004. The Empire of the Great Mughals. T: Corinne Attwood. London. Reaktion Books.

في اللغة الفارسية

1. بوذرجمهـــر، محمـــد حسن. 2002. القاموس الشامل: فرهنك (فارسي – عربي). بيروت. نوفل.
2. معلوف، لويس. 1384 (شمسي). فرهنك بزرك جامع نوين (عربي – فارسي).ت: أحمد سياح. تهران. انتشارات اسلام.

الكاتب في سطور

عقيل يوسف عيدان:

- باحث وكاتب كويتي (1976).
- ماجستير في الفلسفة الإسلامية والفكر العربي.
- نشر العديد من الدراسات والمقالات الفلسفية والنقدية في الصحف والمجلات الكويتية والعربية.

صدر له:

- كتاب (العقل في حريم الشريعة: العقلانية عند الشيخ محمد عبده) 2005.
- كتاب مشترك بعنوان (المجتمع المدني: فكر وواقع) 2006.
- كتاب مشترك بعنوان (المرأة.. الإنسان) 2007.
- كتاب (أوجه المكعب الستة: ألعاب اللغة عند فتغنشتاين) 2007.

البريد الالكتروني: ayemh@hotmail.com

تعتبر المستشرقة الألمانية الدكتورة آنا ماري شيمل (١٩٢٢ - ٢٠٠٣) نموذجاً بارزاً للذين أحبوا بصدق الحضارة الإسلامية بكل أبعادها ومعانيها الساحرة، ووقفوا على الإسهامات العظيمة التي قدّمتها للإنسانية، وقدموا عبر دراساتهم وأبحاثهم خدمات رائعة للإسلام، بل وقدّم بعضهم تضحيات باهظة لأجل الثبات على مواقفهم.

تميزت الدكتورة شيمل عن أترابها من المستشرقين الألمان أنها نجحت في إدراك الكثير من الأهداف السامية التي عجزت عن تحقيقها غالبية نظرائها، مردُّ ذلك إلى الخلفيّة التي تعاملت بها «عميدة» الاستشراق الألماني مع الحضارة الإسلامية التي درستها، فقد ارتكزت هذه الخلفية على الكثير من الحب والرغبة في اكتشاف الجوانب المضيئة فيها.

لقد كرّست الدكتورة شيمل حياتها لتحقيق فهم أفضل للإسلام والعالم الإسلامي في الغرب. كما عملت كجسر هام للحوار بين الأديان المختلفة وبين الثقافات المتعددة، الأمر الذي حقّق لها اعترافاً كبيراً في مختلف الأوساط.

وتعرض في هذا الكتاب لثلاثة بحوث تسلّط فيها الدكتورة شيمل الضوء على صور «خلاّقة» وغير تقليدية من إبداعات هذه الحضارة العظيمة التي قادت الغرب كما الشرق إلى ولوج آفاق جديدة من العلم والعمل.

عقيل عيدان



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb
ص.ب. 5574-13 شوران 2050-1102 بيروت - لبنان
هاتف 785107/8-1-961+ فاكس: 786230-1-961+
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

جميع كتبنا متوفرة على شبكة الإنترنت
في
نيل وفرات.كوم
www.neelwafurat.com

ISBN 978-9953-87-386-2
9789953873862